

العقيدة الإسلامية

وربطها بشعب الإيمان (السلوك والعمل)

د. الصادق بن عبد الرحمن الغرياني

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً
غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري



مجلس الشورى الإسلامي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً
غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

العقيدة الإسلامية
وربطها بشعب الإيمان

Title: Islamic faith
Editor: Dr. Sadeg Elgariani

Pages: 256
Year: 2018
Printed in: Beirut, Lebanon
Edition: 1

Exclusive rights by ©

مفهرسة لخدمة النشر / إصدار دائرة الشؤون الفنية / دار الكتب المصرية
الغرياني، صادق
العقيدة الإسلامية وريعتها بضم الغيمان / تأليف: صادق الغرياني
الطبعة: عالم الأدب للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١٨م
٢٥٦ ص، ٢٢٣×٢٧٠ سم
رقم الإيداع: ٢٠١٨/٧٧٠٣

ISBN: 978-977-6539-51-8

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً
غير مآذون بطاعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري



الكاتب: العقيدة الإسلامية وريعتها بضم الغيمان
المؤلف: د. صادق بن عبد الرحمن الغرياني

عدد الصفحات: ٢٥٦ صفحة
سنة الطباعة: ٢٠١٨م
بلد الطباعة: بيروت / لبنان
الطبعة: الأولى

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة

عالم الأدب للدراسات والنشر والتوزيع
مؤسسة عربية تعنى بنشر النصوص لترجمة والعربية
في مجالات: الثقافة العامة والأدب والعلوم الإنسانية



الهاتف: 00201099938159
البريد الإلكتروني: info@aalamaladab.com
الموقع: www.aalamaladab.com
القاهرة - جمهورية مصر العربية

مفروق الطبعة محفوظة

يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة نشر أو أي شكل من أشكال النشر
جزء منه أو تسجيله على أي شكل من أشكال النشر أو أي شكل من أشكال النشر
أو نسخه على أي شكل من أشكال النشر أو أي شكل من أشكال النشر

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الباب الأول: في التوحيد وما يجب الإيمان به	١٥
الاعتقاد	١٧
معنى العقيدة والاعتقاد	١٧
تسمية كتب الأقدمين في علم العقيدة	١٧
حاجة الإنسان إلى العقيدة	١٨
إن الدين عند الله الإسلام	٢٠
الإيمان والإسلام	٢٢
أول ما يجب على المكلف	٢٢
الاكتفاء بالإيمان الإجمالي	٢٢
تعريف الإيمان والإسلام	٢٣
ما يجب الإيمان به	٢٥
الإيمان والإسلام مبناهما التسليم	٢٦
الإيمان يزيد وينقص	٢٧
الإيمان قول وعمل	٢٨
توجيه حديث البطاقة	٣٠
القائلون بأن الإيمان الإقرار دون العمل	٣١
المعرفة وحدها دون إذعان لا تكفي	٣٣
حسن النية وحده لا يكفي	٣٤
قول الإنسان: أنا مؤمن - إن شاء الله -	٣٥
مرتكب المعصية ليس كافراً	٣٦

الموضوع	الصفحة
سلب الإيمان	٣٨
أمثلة لما يسلب الإيمان	٣٩
شروط تكفير المعين	٤٠
ما يترتب على الردّة	٤٢
العذر بالجهل	٤٣
مصير المؤمنين ومصير الكافرين	٤٥
وجود الله	٤٨
وجود الشيء لا يتوقف على إدراكه	٤٨
الدليل على وجود الله - تعالى -	٤٩
١- نداء الفطرة	٥٠
٢- نداء العقل	٥١
المصنوعات تدل على صانعها	٥٢
الصدفة في خلق الكون لا يقبلها العقل	٥٢
التوحيد	٥٥
وحدة النظام تدل على وحدانية الخالق	٥٥
معنى توحيد الله	٥٥
معنى لا إله إلا الله	٥٦
توحيد الألوهية	٥٧
توحيد الربوبية	٥٨
وحدة الذات ووحدة الصفات	٦٠
أ- صفة الذات	٦١
الصفات الخيرية	٦١
ب- صفات الفعل	٦٣
الكف عن الخوض في الصفات	٦٦
دفع شبهة المؤولين	٦٧
ما ورد فيه من الصفات تأويل عن السلف	٦٨
صفة الكلام	٦٩
الكلمات التشريعية والكلمات الكونية	٧١
القرآن كلام الله	٧١
التفصيل في مقام التعليم	٧٣

٧٤	رؤية الباري ﷻ
٧٥	الأسماء الحسنی وإحساؤها
٧٩	أسماء الله توفیفة ولست محصورة فی هذا العدد
٨٠	أسماء الله لا تعرف إلا عن طریق الشرع
٨١	اسم الله الأعظم
٨٣	الإیمان بالملائكة
٨٣	صفات الملائكة
٨٥	وظيفة الملائكة
٨٧	ما يجب الإیمان به من الملائكة إجمالاً وتفصيلاً
٨٨	تفضیل المطیع من بني آدم علی الملائكة
٩٠	الإیمان بالأنبياء والرسل
٩٠	وظيفة الرسل
٩٠	وجوب طاعتهم والإیمان بهم
٩١	الإسلام دين الأنبياء جميعاً
٩٢	الرسول والنبي
٩٢	عدد الرسل وما يجب الإیمان به إجمالاً وتفصيلاً
٩٣	أولو العزم
٩٣	الصفات الواجبة للرسل
٩٤	فضل نبينا محمد ﷺ
٩٥	صوم رساله ﷺ وأنه خاتم النبيين
٩٦	وجوب محبة وتقديمها علی النفس والأهل
٩٨	المقياس الذي تعرف به محبة رسول الله ﷺ
٩٩	الإیمان بالكتب
٩٩	الكتب التي يجب الإیمان بها تفصيلاً
١٠٠	القرآن الكريم مهيمن علی ما قبله من الكتب
١٠١	الإیمان بالقضاء والقدر
١٠١	معنى القضاء والقدر
١٠١	الدليل علی وجوب الإیمان بالقدر
١٠٢	معنى الإیمان بالقدر
١٠٢	ثمرة الإیمان بالقدر

الموضوع	الصفحة
الرضا بالقدر لا يتنافى بالأخذ بالأسباب	١٠٤
الإيمان بالقضاء لا يتنافى الدعاء برفع البلاء	١٠٦
الاحتجاج بالقدر	١٠٦
أفعال العباد والأخذ بالأسباب	١٠٨
من طلب الهداية هداه الله	١٠٩
الشر لا يُنسب إلى الله -تعالى-	١١٠
كراهية الخوض في القدر	١١١
علامات الساعة	١١٣
الساعة لا يعلم وقتها إلا الله	١١٣
العلامات الصغرى	١١٤
العلامات الكبرى	١١٥
١- خروج الدجال	١١٥
٢- نزول عيسى عليه السلام	١١٧
٣- خروج يأجوج ومأجوج	١١٨
٤- طلوع الشمس من مغربها	١١٩
٥- خروج الدابة	١١٩
٦- الريح التي تقبض أرواح المؤمنين	١٢٠
العالم الآخر	١٢٢
أحوال العالم الآخر لا تخضع للقياس	١٢٢
أحوال الموت والبرزخ	١٢٣
الموت	١٢٣
سؤال الملكين وعذاب القبر	١٢٥
ضغطة القبر	١٢٩
مستقر الأرواح بعد الموت	١٢٩
النفخ في الصور	١٣٢
الحياة الآخرة	١٣٥
١٠ - البعث	١٣٥
معنى البعث	١٣٥
الحكمة من البعث	١٣٥
إقامة الحجة على منكري البعث	١٣٦

الموضوع	الصفحة
٢ - الحشر	١٣٨
معنى الحشر	١٣٨
٣ - الشفاعة	١٤٠
الشفاعة	١٤٠
الشفاعة أنواع كما ذكرها العلماء ودلت عليها الأحاديث	١٤١
٤ - العرض والحساب	١٤٣
الفرق بين العرض والحساب	١٤٣
حساب الكافر	١٤٣
تمييز المؤمن من المنافق في المحشر	١٤٤
كيفية الحساب وإحصاء الأعمال	١٤٥
تفاوت المؤمنين عند الحساب	١٤٦
٥ - الميزان	١٤٨
٦ - الحوض	١٥٠
صفة الحوض	١٥١
٧ - الصراط	١٥٢
الإيمان به وصفه	١٥٢
القصاص من المظالم	١٥٣
الجنة والنار	١٥٥
٨ - النار	١٥٥
جهنم - أحاطا الله منها -	١٥٥
النار لا تفتنى ولا ينقطع عذابها	١٥٦
صفة أهل الجنة وأهل النار	١٥٧
٩ - الجنة	١٥٩
الجنة لا تفتنى ولا ينقطع نعيمها	١٦٠
أولاد المسلمين وأولاد المشركين	١٦٢
أهل الفترة	١٦٣
الباب الثاني: في السلوك	١٦٥
الإيمان والمفاهيم الخاطئة	١٦٧
عزل الإيمان عن السلوك	١٦٧

الموضوع	الصفحة
التجارة والمكاسب	١٦٨
المال والتعامل	١٦٩
عدم الانضباط	١٧٠
١- الاستهتار بالوقت	١٧١
٢- المغالبة على الحقوق	١٧٣
استحلال المال العام	١٧٥
السفر والسياحة	١٧٧
الطب والمستشفيات	١٧٨
من هذه الممارسات	١٨٢
المصحات الخاصة	١٨٤
تسويق السلعة للمريض دون أن يستشار	١٨٤
الجامعات والمعاهد	١٨٧
الجامعات الخاصة	١٨٨
الموظفون والإداريون	١٨٨
فتن كقطع الليل	١٩٢
فتنة الاعتقاد	١٩٢
الافتتان بالأضرحة	١٩٣
فتنة اللسان	١٩٤
فتنة الانقياد للشهوات	١٩٥
غربة الحق	١٩٧
التقليد الأعمى (زي الناس)!!	١٩٨
من شعب الإيمان	١٩٩
فرائض وسنن مضيئة	١٩٩
لا يجوز الإقدام على عمل حتى يعلم حكم الله فيه	١٩٩
النصح في الدين من الإيمان	٢٠٠
النصح لله	٢٠٠
النصح لرسول الله ﷺ	٢٠١
النصح لكتاب الله	٢٠١
النصيحة الملقاة على كاهل العلماء	٢٠٢
تحري الفتوى بصحيح الأقوال	٢٠٤

٢٠٥	لصبيحة المظلومة من عامة المسلمين
٢٠٥	لحب في الله والعص في الله
٢٠٧	هجران أهل البدع
٢٠٨	لهجر المبتدع شرطان
٢٠٩	بمطة الأدي عن الطريق
٢١١	الإفاق في السعة والبحل في الواجبات
٢١١	الصبر من الإيمان
٢١٢	الصبر على العمل ابتداء ودواما
٢١٣	لصبر على المصيبة
٢١٤	الصبر ثلاثة أنواع
٢١٤	الابتلاء بالنعم أشد من الابتلاء بالنقم
٢١٦	حميدة التوحيد
٢١٦	سد درائع الانحراف في العقيدة
٢١٦	بخلاص العمل لله ومراته
٢١٨	لتحذير من العلو
٢١٩	لتحذير من العلو في رسول الله ﷺ
٢٢٠	لعلو في الأولياء وتعارضه مع التوحيد
٢٢٤	تحريف الناس بالكرامات وإفساد العقائد
٢٢٥	لحلف بغير الله
٢٢٧	سبة الاختراع والإبداع لعير الله
٢٢٨	تسمية المخلوق بالرب والمولى والسيد
٢٢٩	سب الدهر
٢٣٠	لأنلي على الله
٢٣١	التشريك في المشيئة والقدرة
٢٣٢	لتوسل الجائر
٢٣٣	لتوسل المختلف فيه
٢٣٤	التوسل المحظور
٢٣٦	لاستدانة بالمخلوق
٢٣٧	تشديد الأصححة وناء القصور
٢٣٧	اتحاد القصور مساحد

٢٣٨	النذر للأصرحة والدبح عندما
٢٤٠	من مظاهر ضعف الإيمان
٢٤٠	لتطير والتداول
٢٤٣	العدوى
٢٤٤	استطلاع العيب بالكهانة والأبراج وتنزيل الحاتم
٢٤٨	(لو) تفتح عمل الشيطان
٢٤٩	لا يُقال - هلك الناس
٢٥٠	تعليق الدعاء على المشيئة
٢٥١	دعاة الشيطان تتعبد ما يوسوس به
٢٥٢	أنوع الوسواس
٢٥٢	لوسوسة في العقيدة
٢٥٤	لوسوسة في العادات
٢٥٤	لوقبة من الوسوسة
٢٥٥	علاج الوسواس بعد وقوعه

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مآذون بطلباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، حمداً كثيراً طيباً مبارك فيه، لا تحصى ثناء عليه، كما أثنى على نفسه، والصلاة والسلام على سيد الأولين والأخريين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه، وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد

فهذا كتاب في العقيدة، توجت به الوصوح والشمول، والتوثيق العممي والتدليل، فصدت فيه ربط العقيدة بالسلوك، وفهمها على طريقة الأئمة المحدثين بهم من أئمة الدين، المختل في أمرين أساسيين هما:

الأول: ما أثبتته الوحي من القرآن أو السنة في أمر العقيدة أثبتوه، وما نفاه نفوه، وما سكب عنه سكوا عنه، ولم يحوصوا فيه، فطلوا السلامة لأنفسهم، ولم يتكلفوا عنه، ثم يكتمهم الله ﷻ به، فكان طريقتهم أسلم وأمنع، وأعلم وأحكم، فحرامهم به عن الأمة خير الجراء.

كان أسلم؛ لأنه طريق الفرقة الناجية التي عليها رسول الله ﷺ وأصحابه، وكان أمنع، لأن مفهوم لعقيدة عندهم كان منهج حياة للمسلم، بما في هذه الكلمة من معنى

وكان أحكم وأعلم، لأنه ليس على وجه الأرض أحد أعلم بالله ﷻ وما يجب له من رسول له ﷺ، فيه أعلم الناس بربه، وأتقاهم وأحشاهم لله، بإجماع أهل الإسلام، وليس كما شاع عند المتأخرين ممن كتبوا في علم الكلام، من أن طريقة الحنف في تأويل لصفات، أعلم وأحكم، فإن هذا القول مؤذاه أن المشتعين بعدم الكلام ولأويل في القرون المتأخرة أعلم بالله ﷻ من رسول الله ﷺ وأصحابه، ولا يصح ذلك في اعتقاد مسلم

الثاني ربط العقيدة بعمل المسلم وسلوكه، فلم تكن مسائل العقيدة عندهم مجرد بطق واعتقاد، بل جمعت مع البطق والاعتقاد السلوك والأعمال العقيدة بمعناها عندهم ليس كلمة ترقددها الشفاء وتتاقصها النيات والأقوال والأفعال العقيدة عندهم انصاف لسلوك الفرد المؤمن الموحد القائم بحق ربه وحق عباده، هذا هو مفهوم العقيدة عندهم، الذي صار غريباً بيننا هذا ما قصدت إليه، والعون من الله وحده لا شريك له، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وما توفيقي إلا بالله

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الصادق بن عبد الرحمن الغرياني

تاجوراء ليبيا

الباب الأول

في التوحيد وما يجب الإيمان به

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

الاعتقاد

معنى العقيدة والاعتقاد:

الاعتقاد هو: الحكم الذي لا يقل الشك لدى معتقده، وهو ما انطوى عليه قلب الإنسان من تصديقات يعيه تشأ معه، لحاحته إنيها، مما يتعلق بأمرين، سواء كانت هذه التصديقات فطرية اضطرابية، كاعتقاد النوع الإنساني بأسره في وجود الخالق لمكون قبل معرفه البراهين الدالة عليه، أو كانت المعرفة نتيجة عن إقامة الأدلة والبراهين.

لذا سُمي العلم المتكلم بما يجب الإيمان به علم العقائد، وصار علم العقيدة علماً على العلم الذي يتناول ما يجب الإيمان به في حق الله تعالى من صفات الكمال والأسماء الحسنى، وما يستحيل، وما يجوز، وفي حق رسله، وما يتعلق باليوم الآخر، وما يجب الإيمان به من أمور العيب والاعتماد ينقسم إلى صحيح وفاسد، فمن اعتقد الشيء على ما هو عليه مطابقاً للواقع، فاعتقاده صحيح، ومن اعتقد الشيء على غير ما هو عليه، مخالفاً لواقع الحال، فاعتقاده فاسد، ويسمونه جهلاً^(١).

تسمية كتب الأقدمين في علم العقيدة.

تسمية العلم الذي يتناول ما ذكر باسم العقيدة تسمية متأخرة، شهرت مع بداية القرن الخامس، وهُئِمَ جرّاً.

ومن الكتب التي وصلت إلينا مسماه بالعقيدة، كتاب (شرح أصول الاعتقاد) لبالكني (ت ٤١٨هـ)، و(الاعتقاد) للسهي (ت ٤٥٨هـ)، وكانت الكتب التي تتكلم

(١) الحدود للبجي ص ٢٨

على هذا العلم قبل ذلك تسمى بمسميات أخرى، منها

١ (لفقه لأكثر)، وأول من استعمل هذا الاسم الإمام أبو حنيفة،
(ت ١٥٠هـ)

٢ (لشعة)، وسبب ذلك لأنها جمعت الأحاديث والنسب الواردة في الاعتقاد،
وممن نسب إليه كتاب بهذا الاسم أبو بكر بن أبي شيبة صاحب كتابي (المسند)
(والمصنف) (ب ٢٣٥هـ)، والإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤٠هـ)، وأبو داود
التحسني صاحب السنن (ت ٢٧٥هـ)، وابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ)، والطبراني
(ت ٣٦٠هـ)، ومحمد بن نصر القروزي (ت ٤٣٤هـ).

٣ (الإيمان)، كالإيمان لأبي عبيد (ت ٢٢٤هـ)، وابن سناء (ت ٣٩٥هـ)
وأبي يعلى (ت ٤٥٨هـ)

٤ (التوحيد)، ككتاب التوحيد من صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن
إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، و(التوحيد) لابن حزيمة (ت ٣١١هـ)
٥ (الشريعة)، ككتاب الشريعة للأجري (ت ٣٦٠هـ)

٦ (أصول الدين)، ككتاب (الإمارة عن أصول الديانة) لأبي الحسن الأشعري
(ب ٣٢٤هـ)، و(لأصول إلى معرفة الأصول) لأبي عمر الطنمكي (ب ٤٢٩هـ)
وغيرهما^(١)

والاعتقاد ينقسم إلى صحيح وفاسد، فمن اعتقد الشيء على ما هو عليه مطابقاً
للمواقع، واعتقاده صحيح، ومن اعتقد الشيء على غير ما هو عليه، مخالفٌ لمواقع
الحال فاعتقاده فاسد، ويسمونه جهلاً^(٢)

حاجة الإنسان إلى العقيدة

الإنسان مخلوق ضعيف في هذا الكون الكبير، والحياة حضم واسع من الصراع
بين الخير والشر، والآلام والأمال، والضر والنفع، وقد يطعن الشر ويتصر الظلم،
وقد تحيط بالإنسان الشدائد بأنواعها، فيصيبه الضر والفقر، والجوع والمرض،

(١) نظر محمد بن حكيم العدد الرابع عشر من ٣٥ مقال (عود من دوح)، ودائرة معارف نفرد لعدد ١ ٤٨٣.

و موسوعة العربية المجلد ٢/ ١٢٢٢

(٢) الحدود للباجي ٣٨

ويُصاب بمقدار لأحباب وأنبواع الانلاءات، في النفس والأهل والعدل، إلى غير ذلك من المكروهات التي لا يد للإسان على دفعها

لذلك كان لإسان دائماً في حاجة إلى الاحتماء بقوة عظمى تُصهه إذا طُم، وتحصيه إذا أُرده أحد سوء، وتمّته بالنصر إذا قل ناصر، وتدفع عنه الشدائد إذا حثت به محاح إلى قوة تُعوّضه عما فقد، ويستعيث بها إذا مسه الضرر، تُطعمه إذا جاع، وتشفيه إذا مرض، وتصرف عنه سوء إذا حافه، وتحيطه بالنظامية واستقرار النفس إذا تطرّفت به الطموحات، وتكالبت عليه مطالب الحياة

هذه القوة مصدرها الدين والعقيدة، لم يختلف على ذلك الناس قديماً ولا حديثاً، لا في المجتمعات لثائية، ولا في العالم المتمدّن، فالاحتماء بالعقيدة شيء معرور في فطرة لسان لا بد لهم منه، شاء من شاء وكره من كره، حتى الممدّد ومدعي الألوهية، إذا أحاط به الهلاك وشاهد مصرعه قال يا رب، قد يقول ذلك دون أن يفكر، اسحابة للنداء المعرور في فطرته، وقد يقوله اعترافاً بالحق بعد أن يرى برهانه، قال تعالى ﴿وَمَنْ الْإِنْسَانُ صَرَّ دَعَا رَبَّهُ مُبِينًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ مُبِمَةً بَيْنَهُ سَبَّحَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَهَ مِنْ قَبْلُ وَنَحَلَ لَهُ آثَادًا لِبَلِّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ نَسْعَ بِكَفَرِكَ قَبِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ لَدْرٍ﴾ [الرمر ٨]

هذه حاجة لإسان إلى العقدة الصحيحة على الجانب المادي في الحياة لديد، أما على الجانب الآخر في الحياة الآخرة، فإن حاجة الإنسان إليها أشد إلحاحاً وضرورة، لأن الحياة الآخرة هي الحياة الناقية التي لا تصفى، والإنسان فيها يُوقى حراء أعماله، فيما يعيم مقيم لا ينقطع، إن امن وكان معتقده صحيحاً، وإما عذاب أليم لا يطاق، إن أشرك وضل الطريق

وما يموت لإسان في الدنيا من امال، وما يصيبه فيها من حاحة أو حرمان، لا يؤلمه ففقه كثيراً بالمقارنة إلى ما يرحوه في يوم الدين والنجاء من حير عظيم، فإن في ذلك اليوم تعويضاً رايحاً عما فات، وفي وعده بذلك تسوية نفسه، تحصف عنه وقع المصائب وقت برولها، فهو بالاعتقاد الصحيح رايح في النجائين، في السراء والضراء، قال ﷺ «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا

للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له^(١)

نظرًا لهذه الحاجة إلى الاحتماء بالعقيدة سواء في ما يتعلق بالجانب المادي المعامل في الحياة الدنيا، أو فيما يتعلق بالجانب الأخروي الآجل في الحياة الباقية كان الدين ولعقيدة على مر العصور في الماضي السحيق ولا يزال كذلك في الحاضر لمعاصر حرة من كيان الناس لا يفكرون فيه، ولا يدبرونهم، حتى إهم إذا لم يهدوا بهداية الله إلى الإيمان بالإله الحق، التجنوا إلى أديان أخرى باطلة، يعدون فيها الكواكب والأوثان، يعدون الإنسان والأنوار، ويجعلونها أندادًا لله، وهي لا تعي شيئًا، ولا تدفع صرا، ولكن حاجتهم إلى العقيدة جعلهم يعترفون بأي معتقد

وهما ترز الحاجة الحقيقية إلى العقيدة الصحيحة والدين الحق، الذي ينشئ حاجة الإنسان، ويعطيه الحماية الحقيقية، والسعادة التي يشدها في الدارين

إن الدين عند الله الإسلام

لا شك أن الإسلام هو الدين الحق، لأنه الدين الذي رصيه الله تعالى لهذه الأمة، وسح به جميع الشرائع السماوية، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة ٣]، وهو الدين الذي يقوم على عبادة إله الكون الذي لا شريك له، لمهمس على كل شيء، الذي وسع علمه كل شيء، وأحاطت قدرته بكل الكائنات، فكل موحود بأمره، وكل نعمة على الناس هي من عنده؛ فكان لذلك مستحقًا لعبادة لداته، وهي حقه على عباده، يعدونه لا يشركون به شيئًا

ولما كان الدين الإسلامي حاتم الأديان السماوية وأحرها، وكان دينًا ليس كدفع على محض أحاسيسهم وألوانهم وعصورهم، أحكم الله تعالى شريعته على لسان نبيه محمد ﷺ فجعلها صالحة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، دسورها كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهدى نبيه محمد ﷺ

(١) مسلم حديث، رقم ٢٩٩٩

المؤيد بالوحي، فكان في هذا الدستور شفاء الصدور، فيه العقيدة الصحيحة، والعدة المثلى، والسلوك لقويم

كان شريعة في حاسها الاعتقادي تقوم على الإيمان بالله، الذي يملأ النفس البشرية ثقة وقوة واعتزاز بالله تعالى وحده ويحررها التحرر الكامل من التبعية لغيره، فلا عبودية إلا لله وحده، وبذلك توجه التوجيه النافع في الحياة الذي يحمد على التضيحية لتحقيق أسمى الأهداف وأبل العايات

وفي حاسها العبدى تمثل هذه الشريعة منهج الإخلاص الذي تنعكس آثاره على الإنسان شعوراً بالمسئولية واستقامة وصلاح نفس

وفي حاسها لسلوكى تعطى المثل الرائع في حسن التعامل والإبصار والوفاء بالدمم، والعدل بين الناس

وهذه الحصن التى هي حمار الإيمان، ما اجتمعت فى أمة إلا جمعت الخير من أطرافه، وكان لأهلها شأن عند الله وعند الناس، وكان لهم السمكين والعلاج، قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْلِبَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْلِفَتْ أَوَّلَ ذَلِكَ مِن مَّالِهِمْ وَلَيُكَبِّرَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن قَعْدِ حَوَافِئِهِمْ فَمَا تَعُدُّونَنِ لَا شَرِيكَ لِي فِي شَيْءٍ﴾ [الثورة ٥٥]

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

الإيمان والإسلام

أول ما يجب على المكلف:

أول ما يجب على المكلف هو التوحيد، تطلقاً واعتقاداً وعملاً، وليس النظر ولا التفكير، ولا العصد إلى النظر، ولا الشك لخصب المراهين وإفهام الأدلة، كما هو مذكور في كثير من كتب علم الكلام، وهي مسألة ذكر أبو الوليد السجستاني عن بعض شيوخه أنها من مسائل المعتزلة التي بقيت في كتب الأشاعرة، وكذلك قال أبو جعفر السمناني وهو من رءوس الأشاعرة^(١)

الاكتفاء بالإيمان الإجمالي:

يكفي عامة المسلمين الإيمان الحارم والتصديق المحمل بكل ما جاء به النبي ﷺ أما معرفة تفصيل مسائل الإيمان والحلافيات، والاستدلال ورد الشبهات، فهذا من فروض الكفاية، لا يجب إلا على من أعطاه الله تعالى قدرة عليه من أهل العلم، ولا يجب على عامة المسلمين

قال القرطبي في المفهم «الذي عليه أئمة الفتوى وبهم يقتدى، كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد، وغيرهم من أئمة السلف، أن أول الواجبات على المكلف الإيمان بالتصديقي الحرمي، الذي لا ريب معه في الله تعالى ورسوله وكنهه، وما جاءت به الرسل، كيف حصل ذلك الإيمان، وبأي طريق إليه توصل»^(٢). وهذا الذي قدّمه القرطبي هو الذي دل عليه حديث حبريل في تعريف الإيمان «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله

(١) نظر المجلد ١٥٢/٧، دمج لـ ١، ٧٧، ١١٦/١٧

(٢) المفهم ١٨٢/١

وملائكته وكُتبه ورُسُله واليُوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١)

ويذكر له أبصَحَ أحاديث إسلام أصحاب رسول الله ﷺ كحديث إسلام الأعرابي، وإسلام أبي ذر، وحالدين الوليد، وحديث نهر من حكيم، وغيرهم من الصحابة، فقد روى نهر من حكيم عن أبيه عن حده أنه قال: «قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَفِضْتُ أَكْثَرَ مِنْ عِدْهِمْ لِأَصَاحِبِ يَدَيْهِ أَنْ لَا أَتِيكَ وَلَا أَتِي دَيْكَ، وَإِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لَا أَغْفُلُ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ ﷻ وَرَسُولُهُ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَحْيِ اللَّهِ، لِمَ نَغِثَكَ رِثْتَ إِيَّيْ؟ قَالَ بِالْإِسْلَامِ، قُلْتُ وَمَا آيَاتُ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ أَنْ تَقُولَ أُسَلِّمُ وَخَهِي إِلَى اللَّهِ، وَتَحْيِيَّتُ، وَتَقِيْمُ الصَّلَاةِ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ»^(٢)

فمن يكرر لبي ﷻ بطلب ممن يأتيه راعيًا في الإسلام إقامة السرايين ودلائل العقيدة على إثبات ما يجب لله تعالى، وما يستحيل، وما يجوز، من يكتفي به بالتصديق والتسليم الإجمالي بما يجب الإيمان به، والنظر في شهادتين، وتعيينه أركان الإسلام ليعمل بها.

قال ابن عبد البر «به من نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعبي وطبيعة وسعد وعبد الرحمن وسائر المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دحبوا في دين الله أفواجا، علم أن الله ﷻ لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام السورة، ودلائل الرسالة، لا من قبل حركة، ولا من باب الكل والنقص، ولا من باب كذب ويكون، ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجبا، وفي الجسم وفي بنيه، والتنشيه وفيه لادما، ما أصاعوه، ولو أصاعوا الواجب ما نطق القرون سركيتهم وتقديمهم، ولا أطب في مدحهم وتعظيمهم، ولو كان ذلك من عملهم مشهورا أو من أخلاقهم معروف، لاستفاض عنهم، ولشهروا به، كما شهروا بالقران والروايات»^(٣)

تعريف الإيمان والإسلام

الإيمان في اللغة التصديق والإدعان، قال تعالى ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنْ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف ١٧]، أي بمصدق. والإسلام معناه. الاستسلام والالقياد،

(١) مسلم حديث رقم ٨

(٢) سنن السائي حديث رقم ٢٤٣٦

(٣) التمهيد ١٥٢ / ٧

فهو إسلام لوحه لله، وإيمانه بالنيات، والأعمال، والطاعات

والإيمان والإسلام المصحيان عند الله تعالى يوم القيامة يردان في الشرع عن شيء واحد، وهو الاستسلام لله تعالى، والخصوع له، والطاعة لأمره، وإن كان أحدهما وهو الإيمان أدخل في عمل القلب، والآخر، وهو الإسلام أدخل في السطق والعمل بالجوارح، فليس هناك إيمان منح لصاحبه في الآخرة من غير إسلام، ولا إسلام منح من غير إيمان، فهما متلازمان، هما كشجرة الإيمان، في القلب حدودها، والإسلام في الجوارح فروعها، والجذور والفروع كلاهما حرمان لشيء واحد، لا يعنى واحد منهما عن غيره

قد اسعد لير أكثر أصحاب مالك على أن الإسلام والإيمان شيء واحد^(١)، وهو قول جمهور أصحابنا وغيرهم من المالكيين والشافعيين، وهو قول داود وأصحابه، وأكثر أهل السنة والنظر، المتعين للسلف والأثر، قال الله تعالى ﴿وَيَذَرُهَا عِبَرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلِينَ﴾ [الذاريات ٣٦]، أي غير بيت مسلم من المؤمنين، فسوى بين الإيمان والإسلام، وقال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُوَ أَوَّلَ مَسْجِدٍ بَنِيَ لِلنَّاسِ وَالْأَشْهُدُ﴾ [البقرة ١٢٥] وقد ثبت بات القرآن أن الإسلام دين الأشياء جميعاً، قال تعالى محاطاً إبراهيم عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ مَا لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ قَالَ اتَّخَذْتُ الرَّبَّ الْغَلِيظَ﴾ [البقرة ١٢٥]، ومن دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا فَبِئْسَ الْاٰوْلَادَ﴾ [البقرة ١٢٥]، وقال يوسف عليه السلام ﴿يَا زَوْجَتِي إِنَّكَ أَنْتِ الْغَالِيَةُ﴾ [يوسف ١٠١]، ولا شك أن الإسلام لدي عليه الأشياء وأحر القرآن بأنه الدين الحق، لا يكون مدلوله إلا شاملاً للإقرار بالوحيد باللسان، والإدعان لله والخصوع له بالتقرب والجدد، والعمل بالطاعات بالجوارح والأركان

ويدل على أن الإيمان والإسلام سواء، معنى التعبير بأحدهما عن الآخر، فقد سئل النبي ﷺ «أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟» قَالَ «الْإِيمَانُ»^(٢)، قال ﷺ لو قد عبد القيس «أَتَذَرُونَّ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَخَدَّه٩ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تَطُوعًا

(١) صحيح ٢٤٧/٧ ٢٥٠

(٢) مسند أحمد حديث رقم ١٦٥٧٩

مِنَ الْمُشْتَمِ الْعُصَى^(١) وجاء التعبير بهذه الأركان في حديث جبريل عن الإسلام، فقال: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا^(٢)»
 وأما ما جاء من مثل قوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ: إِنَّا عَلَى قُلِّ نَمٍ نُّؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات ١٤]، مما يقتضي المعايير بين الإيمان والإسلام، فليس لمراد به الحقيقة الشرعية للإسلام، وإنما المراد الحقيقة العلوية، وهي الاستسلام طاهرًا، خورًا من القتل؛ لأن من أظهر الاستسلام عصم دمه، لكنه لا يكون مؤمنًا على دين الإسلام، لدى ارتضاء الله تعالى لعاده دينًا في قوله ﴿إِنَّ الذِّينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَآ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ إِيمَانِكُمْ أَشْيًا^(٣)﴾

ما يجب الإيمان به

يكفي لمسلم في الإيمان أن يؤمن بالله وحده لا شريك له، وملائكته، وكسبه، ورسوله، وما جاء به الرسل، وباليوم الآخر، وبالقدر خير وشره، وبالبعث بعد الموت، وأن الله تعالى ليس كمثله شيء إيمانًا عامًا محملاً، على ما جاء في حديث حبريل عليه السلام وهو قوله ﷺ في الجواب عن حقيقة الإسلام: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، وقوله عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بالله،

(١) سنن أبي داود، حديث رقم ٥٣

(٢) مسلم، حديث رقم ٨. ومما انفك من ذهب إلى أن الإيمان أخص من الإسلام، فكل مؤمن مسلم ولا يعمك ويد له قول سعد بن أبي السرح رضي الله عنه في الحديث: يا رسول الله أعط فلاناً ديناً مؤمراً، فقال: سي ﷺ «أَوْ مُسْلِمًا، أَوْ يَدْعَا عَلَى ثَلَاثَةِ وَبَرَدَهَا عَلَى ثَلَاثَةِ «أَوْ مُسْلِمًا» ثم قال: «إِنِّي لَأُعْطِي الرِّحْلَ، وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُفُّ اللَّهُ فِي الثَّأْرِ» صحيح مسلم رقم ١٥٠. فقد فرق النبي ﷺ بين ما يفيد أن «إيمان» أخص من الإسلام وهذا من الصالحين من يحمل الإيمان غير الإسلام فحمل للإيمان هو تصديق وإدعاء صاحب دينه تعالى ولو كان صاحبه غير معاد ولا مقر في ظاهر وهذا يكون عند الله حجة ولا يعمد في الدنيا معاملة لمسلم، والإسلام هو الاعتقاد في ظاهر الذي قد يكون صاحبه صادق في داخل وقد يكون صادقاً وهذا لا يكون ناجزاً عند الله لكن في الظاهر يعمل معاملة لمسلم لقول النبي ﷺ =
 في ح. ومما أنقلب عن قلوب الناس ولا أشد بطونهم صحيح البخاري رقم ٤٣٥١

(٣) البخاري مع فتح الباري ١/٨٦

وملائكته، وكُتبه، ورُسُله، واليُوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيرَه وشَره ^(١)

فالإيمان بالله معناه توحيدَه في ذاته وصفاته، وأنه متَّصف بكل كمال، ومُسَرَّه عن كل نقص، وأنه ليس كمثله شيء، وتصديقُ ذلك بالقلب واللسان، مع الخضوع لأمره والإيمان بالملائكة معناه التصديق بما سمى الله تعالى لما مهم في القرآن عن العيس والتصديقُ ساقبهم إجمالاً، وذلك باعتقاد أن لله تعالى ملائكة غير المذكورين، لا يعلم أعدادهم وأسماءهم إلا هو

والإيمان بالكتب يعني الإيمان بما سماه الله لما من الكتب، وهو القرآن، والنبوة، والإنجيل، والفرقان، وصُحف إبراهيم وموسى، وكذلك الإيمان بأن لله كتباً أخرى أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا هو

والإيمان بالرسول يعني التصديق بما سماه الله لما مهم في القرآن، والإيمان كذلك بأن له رسلاً آخرين لا يعلم أعدادهم وأسماءهم إلا هو، كما قال الله تعالى ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [عمر ١٧٨]

والإيمان باليوم الآخر معناه الإيمان بالبعث بعد الموت، وبكل ما في ذلك اليوم من الحساب، والحجاء، والجنة، والنار، والميزان، والضرار والإيمان بالقدر هو التسليم لقضاء الله تعالى وقدره، وأن نعم أن ما أصاب لم يكن ليخطئ، وما أخطأ لم يكن ليصيب، وأن برضى بذلك

الإيمان والإسلام مبنيان على التسليم

لا يصح للمؤمن إيمان ولا إسلام إلا بالتسليم المطلق، والإدعاء الكامل بالقبول واللسان لكل ما أمر به الله تعالى ورسوله ﷺ دون اعتراض أو انتقاد فليس لمسلم أن يقول: لم أمر الله تعالى بكذا؟ أو لم يهي عن كذا؟ أو لم قدر كذا؟ أو لم فعل كذا؟ ولم حكم بكذا؟ فإن ذلك مناقض للإيمان، صاف لتسليم، قال الله تعالى ﴿لَا تَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُنْتَلَوْنَ﴾ [الأنبياء ٢٣]، وقال تعالى لرسوله ﴿وَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِرُكَ حَتَّى يُحْكُمَوكَ بِمَا شَكَرَ إِلَهُكُمْ ثُمَّ لَا يُحَدِّثُوا فِي آبَائِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قَصَّيْتُمْ وَيُسَلِّمُوا قَبِيلًا﴾ [النساء ٦٥]

(١) مسلم حديث رقم ٨

ولله ﷻ لا يُسأل عما يفعل، وذلك لكمال حكمته وعدله، لا لمجرد فهمه وسلطانه. فالمسلم إذا سأل يقول: بم أمر ربنا؟ ولا يقول: لم أمر ربنا؟ ولا ضير من سؤال المستعلم، الرابع في العلم، الساحت عن حكمة ترتفع بها عن المنس الشبهة، أو يرتح القلب عند الوقوف عليها في أمر من أمور الدين، فيما شفاء العي السؤ

والسؤ للمدوء هو سؤال المتعصب المكر، الذي لا يريد المعرفة، وإنما يريد العدد، ومعرضة الحق والوحي برأيه^(١)

والصفة التي تُميز السائل المعترض، عن السائل المستعلم، أن الأول إذا لم يعرف الحكمة ولعاية من الأمر، رخص الإيمان، وتشكك في صحة الأحكام أما المستعلم تعلماً وتعقلاً، فهو على إيمانه وبقائه وتسليمه، عرف الحكمة أم لم يعرفها، فعدم معرفة الحكمة لا تسلب الإيمان، ولا تشككه فيما عده من يقين، ومعرفتها تزيد أطمناً

الإيمان يزيد وينقص

الإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، فهو مراتب بعضها فوق بعض فليس إيمان الأنبياء كإيمان غيرهم، وليس إيمان أبي بكر الصديق كإيمان سائر الناس، وليس إيمان المطيع كإيمان العاصي، قال تعالى ﴿إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجِيتَ فَلَوْهُمْ وَاذْكُرْ لِي يَوْمَ إِتْمَمْتُمْ بِهِمْ آيَاتِهِمْ إِيْمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأفكار ٢]، وقال تعالى ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِإِيمَانِهِمْ﴾ [المائدة ٣١]، وقال تعالى ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف ١٣]، وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّسَالَاتِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْتَدَّوا إِلَيْنَا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح ٤]، والآيات صر في الدلالة على زيادة الإيمان، والزيادة تستلزم النقص لا محالة وقال ﷺ «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُهُمْ خَيْرُهُمْ لِنِسَائِهِمْ»^(٢)، ولا يكون من نصف بهذه الصفة أكمل إلا إذا كان النصف بعدها أنقص وقال ﷺ «أوثق عرى الإيمان

(١) انظر تفسير القرطبي ٣٠٩/٦ وشرح المعاني الضحاوي ص ٢٩٠

(٢) مسر سريسي حديث ص ١١٦٢

الحب في الله والبغض في الله^(١)، فإنه يدل على أن عرى الإيمان بعضها أوثق من بعض وأكمل وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سَقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَمْلُؤَ قَبْضَهُ، وَهُوَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» ﴿كَلَّا لَمْ يَنْزِلْ عَنْ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)

وقد ﷺ «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٣)، وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه «هدموا برداء إيمانكم، فذكروا الله ﷻ»^(٤)، وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»^(٥)

الإيمان قول وعمل

قال الشافعي رحمه الله تعالى كان الإجماع من الصحابة والسابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجرى واحد من الثلاثة إلا بالأحر^(٦). وقال الأوزاعي. كان من مصنف من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل وقد أسعد الله أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، وذكر منهم مالك، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، وابن عينة، والأوزاعي، ومغمر بن راشد، وابن جريح، وعبد الله بن عمر، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ودود بن علي، وأبو جعفر الطبري، فبينهم ومن سلك مسلكهم يقولون الإيمان قول وعمل^(٧). قول باللسان وهو الإقرار لله بالوحدانية، ونسبه ﷺ بالرسالة، واعتقاد بالقلب، بتصديق ما جاء به الرسول ﷺ، مع التسليم والقول، وعمل

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦ - ١٧٠

(٢) سنن ترمذي حديث رقم ٢٣٢٤ و٥٩. حرس صحيح

(٣) البخاري حديث رقم ٢٤٧٥

(٤) انشريعة ص ١١٢

(٥) انشريعة ص ١١٨

(٦) مجموع الفتاوى ٣٠٨/٧

(٧) التمهيد ٢٣٨/٩ و٢٥٣، والاستدكار ١٣٤/٢٦

بالجوارح، بكل ما يطاع الله ﷻ به من الفرائض والموافق واجتناب النواهي وهذا هو تعريف الإيمان الواجب، الجامع لشعب الإيمان كلها الذي وعد الله تعالى أهله دخول الجنة دون عذاب، وهو معنى الإيمان عند الإطلاق فالعمل لازم من لوازم الإيمان الصحيح في الآخرة، لا يتحقق بدونه

ومن فرط في شيء من الفرائض مع إذعانه وإقراره بالتوحيد، لا يكون بمجرد ذلك كدورا عند جماعة المسلمين، ولكن لا يكون مؤمنا الإيمان الذي أوجه الله تعالى على المؤمنين، ووعدهم عليه الجنة دون عذاب

والدليل على أن العمل من الإيمان قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ بِضَعِيفٍ يُمَسِّكُكُمْ﴾ [الفرقة ١٤٣] فإن أهل التفسير لم يختلفوا في أن المراد بالإيمان الصلاة إلى بيت المقدس^(١)، فسمى القرآن الصلاة إيمانا، وقال تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُلْوَاُ وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْحَبِيبَةِ وَالْكِتَابِ وَالْيَسَعِ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَآتَى السَّبِيلِ وَالسَّابِقِينَ فِي الْإِقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلُمُؤْمِنُكُمْ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَبَيْنَ أَلْيَاسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقة ١٧٧]

فجعل له ﷻ في الآية إتياء المال، وإقامة الصلاة، والوفاء بالوعد، والنصر، كل ذلك من وصف لإيمان وقال ﷻ لوفد بني عبد القيس «أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَخُدَّةُ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَهْلَمَ، قَالَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَنَسَمِ الْعُمَسِ»^(٢)

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نَهْيَهُ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَنْتَهِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٣) وقال ﷻ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا

(١) سميد ٩ ٢٤٥

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٥٣، مشكاة ١ ١٧١

(٣) سنن أبي داود حديث رقم ٢٤٧٥

إِمَاطَةُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ^(١)، وَقَالَ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^(٢) فجعل النبي ﷺ كفَّ الأذى عن المسلمين من الإيمان، وقد قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْتَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٣) وقد لمن طلب منه قولاً في الإسلام لا يسأل عنه غيره. «قُلْ أَمْسِكْ بِاللَّهِ فَسْتَقِمْ»^(٤)، فأمره بالتوحيد مع الاستقامة، والطاعات بأنواعها مدرجة تحت الاستقامة وذكر ﷺ أن كثيراً من الأعمال الصالحة حرة من الإيمان، من ذلك الحث في الله ولعص في الله، وإكرام الصيف، والصلاة، والصيام، والركعة، واتسع الحديث، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وغير ذلك كثير، وكله ثابت في الصحيح عن النبي ﷺ في البخاري وغيره.

قال الأحراري في كتاب (الشريعة) إن الله ﷻ ذكر في ستة وخمسين موضعاً في كتابه أنه لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده حتى صمَّ إليه العمل الصالح الذي قد وفقهم له، فصدر الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصداقاً بقوله، وناطقاً بلسانه، وعدملاً بحججه، وهذا من القرآن ردُّ عليٍّ من قال: الإيمان المعرفة، وعليٍّ من قال المعرفة والقبول، وإن لم يعمل^(٥)

توجيه حديث البطاقة

وهذا لا يعارض مع ما ورد في صحيح الحديث من نصوص ظاهرها الاعتماد على كلمة التوحيد وحدها في دخول الجنة، من مثل حديث أبي در ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى»^(٦)

(١) مسلم حديث رقم ٣٥

(٢) البخاري حديث رقم ١٠

(٣) سنن الترمذي حديث رقم ٢٦٨٨ و٥٧ - حس صحيح

(٤) مسلم حديث رقم ٣٨

(٥) الشريعة ص ١٢٢

(٦) البخاري حديث رقم ٧٤٨٧

ومثل حديث البطاقة وهو ما رواه عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَحُلًا مِنْ أُمَّي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَيِّمُ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ وَتُسَمَّى سِحْلًا كُلُّ سِحْلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمْتُكَ كُتْبِي الْحَافِظُونَ؟ يَقُولُونَ لَا يَا رَبِّ، يَقُولُونَ أَفَلَاكَ عَذْرٌ؟ يَقُولُونَ لَا يَا رَبِّ، يَقُولُونَ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَقُولُ احْضُرْ وَرَنَّاكَ، يَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السُّجَّلَاتِ، فَقَالَ إِنَّكَ لَا تُظَلَمُ، قَالَ «تَوَضَّعُ السُّجَّلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السُّجَّلَاتُ وَتَقَلَّتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»

مثل هذه المصوص فحواها التوبة بما لتوحيد الله تعالى من منزلة عظيمة، وما لمحاتمة على الإيمان من مكانة رفيعة عند الله تعالى، ولا تفهم على أن من قصر فيما كلفه الله تعالى به من الطاعات، واحتجاب المحرمات، وتلقى الله ﷻ بكلمة التوحيد مجردة من كل عمل صالح لا يعذبه الله

فإن هذا الفهم يتناقض مع مست وحامين آية في كتاب الله، رتب كنهها دحو الجنة على الإيمان لمقرون بالعمل الصالح، والله ﷻ يفعل ما يشاء ويحكمه، فهو أدخل أحدًا الجنة دون أن يعذبه مع تقصيره على ما جاء في حديث البطاقة، لكن ذلك من سابق فصله، وهو أهل العفو وأهل المعصية، لكن من الذي يضمن لنفسه أن يكون ذلك السعيد؟ من ترك العمل واتكل وحاطر بعينه على هذا السجوة، لا شك أنه عامر بالمصير، وهل يعنيه حيث يتدبر إن حنى عليه العذاب أن يقول يا ويلنا على ما فرطت في جنب الله! قال تعالى ﴿عَلَى مَا قَرَّبْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ﴾ [الرمل ٥٦]

القائلون بأن الإيمان الإقرار دون العمل

حالف قومه فقالوا الإيمان الإقرار والتصديق، وأما الطاعات فلا تستحق إيمانًا، كما أن المعاصي لا تسمى كفرًا، واحتجوا بما يأتي

١ إن من مات من الصحابة قبل مرور الفرائض كان مؤمنًا لا محالة، فدل على أن

الطاعات ليست من حقيقة الإيمان وأجيب بأنها من حقيقة الإيمان، وأد تركها نقص، لكن لا لوم عليهم فيه؛ لأنه لم يكن منهم باختيار، فإن اليوم سوجه بعد التكليف، لا قبله^(١)

٢ احتجوا بحديث عتيان بن مالك في قصة مالك بن الدحشم، وقد تعيب عن الصلاة مع رسول الله ﷺ، حيث وصفه من حصر بالنفاق، فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»^(٢)، وأجيب عنه بأن ذلك كان قبل نزول المرائض

قال، الرهوي أدركنا الفقهاء وهم يرون أن ذلك كان قبل أن تنزل موحشات المرائض، فإن لم يقد أوجب على أهل هذه الكلمة التي ذكرها رسول الله ﷺ، وذكر المحادة بها فرائض في كتابه، فمن محشئ أن يكون الأمر قد صار إليها، فمن استطاع أن لا يعير فلا يعير ومثله مروي عن سفيان بن عيينة وأبي عبيد في كتابه الإيمان له^(٣)

وقد تحوف عمر رضي الله عنه لما أعطاه الله تعالى من العظمة وحضور الدهر، عني الأمة من هذا لتطبيق القاصر للإيمان جاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة «اذْهَبْ بِتَعْلِيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُشَاقًّا بِهَا قَلْبَهُ، بَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ»، فكان أول من لقيت عمر، فقال ما هاتان التعللان يا أبا هريرة؟ فقلت هاتان معلان رسول الله ﷺ يعشي بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبَهُ، بَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ، فصر عمر يده بين ثديي، فحررت لاسي، فقال رجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته بكاء، وركبني عمر يده، هو على أثري، فقال لي رسول الله ﷺ: «يَا عُمَرُ مَا حَمَلْتُكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ أَنْتَ وَأُمِّي، أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِتَعْلِيكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُشَاقًّا بِهَا قَلْبَهُ، بَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى

(١) فتح الباري ١/ ١١١

(٢) المعاري حديث رقم ٥٤٠٩

(٣) التمهيد ٧/ ٢٤٠، وفتح الباري ١/ ١١١

أَنْ يَتَكَلَّمَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَحَلَّاهُمْ يَتَعَمَّلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فَحَلَّاهُمْ»^(١)، فكان هذا من عمر ﷺ تذكيراً، لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بما جاء عنه ﷺ في حديث معاذ أنه قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَتَّبِعُوكَ، قَالَ: إِذَا يَتَكَلَّمُوا»^(٢)

المعرفة وحدها دون إذهان لا تكفي

لا يكفي في صحة الإيمان مجرد العلم والمعرفة بالقرآن وأركان الإسلام، والعلم بوجوب الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وأن الله هو الرازق الحلي، وأن من دونه لا يملكون ضرراً ولا نفعاً، إذا لم يصحب ذلك استسلام لله تعالى وحضور وإقرار وإقيد، فإن فرعون وحجوده، واليهود، والمشركيين القدماء كانوا يعرفون الله كذلك، قال تعالى عن قوم فرعون ﴿وَمَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهُمْ نَفْسُهُمْ طَمَأً وَعَثْرًا﴾ [الزلزال ١٤]، وقال تعالى عن اليهود ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [الأنعام ٢٠]، فقد كان لليهود يعرفون أن لى ﷺ مرسل من عند الله، ومع ذلك لم تمنعهم هذه المعرفة لحالية من السليم ولقبول والإذعان، قال عبد الله بن سلام لقد عرفت محمداً ﷺ حين رأته كما أعرف نبي، ومعرفتي لمحمد أشد^(٣) فمجرد المعرفة لا تعني شيئاً في باب الإيمان، فهي كمعرفة إبليس، ومعرفة فرعون وجوده، كان إبليس يعرف ربه، وكان فرعون يعرف ربه كما قال له تعالى على لسان موسى ﴿لَقَدْ عَهِتَ مَا أَرَى هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ تَصَايِرَ﴾ [الإسراء ١٠٢]، ولكن معرفتهما كانت مصحوبة بالعلمي والتكبر، وعدم الإذعان والقول، فكانا من الهالكين

وقال تعالى في محاجة المشركين. ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَبِّحُوا اللَّهَ فَقَدْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس ٣١]، فلم يصيروا مؤمنين مع أنهم أجابوا صراحة بأن الرزق في السماء والأرض، والمالك للأمر الله وهل يُستفاد منه أن من يتجه إلى غير الله بطلب شيء لا يملكه إلا الله، كتفريح

(١) مسلم حديث رقم ٣١

(٢) البخاري حديث رقم ١٢٨

(٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير ١٤٠/١

كُزِب، أو كُثِف صر، أو إعطاء ولد أو ورق، أو بتقرب إليه بعبادة لا تكون لغير الله، كبد ودعاء لا يعنى عنه بعد ذلك أن يقول لا يكشف الضر إلا الله، ولا يعطي المحتاج إلا الله، فقد كان المشركون يقولون ذلك، ولم يمعهم قولهم المحتال لعبيدهم واعتقددهم، قال تعالى في محادثتهم ﴿أَمْ يَحْسَبُ الْمُضْطَرُّ دَعَاً وَيَكْتُمُ نُسُوءَهُ وَيَخْمَلُكُمْ سُكَاةَ الْأَرْضِ﴾ [النمل ٦٢]

ويحد في لعصر الحاضر كثيراً من اليهود والنصارى تحضضوا لسحت في دين الإسلام، ودرسوا لقران والحديث والعلوم الشرعية، وربما منهم من إذا دافسته اعترف بصدق القران وصحة الحديث وصدق النبي ﷺ ولكنه يجعل ذلك في نطاق البحث العلمي المجرد، بمعنى أن البحث العلمي يشت له صحة القران، وأنه وحي من عند الله، دون أن يقل الباحث ذلك، ويسلم به، ويحضع له، فم يحرج عن دائرة مجرد العلم بصحة الإسلام، وذلك لا يستلزم الإيمان به، والإدعاء إليه، ومن لم يدعى له بما يجب الإيمان به لا يكون مسلماً، ولا يمع مجرد العلم

حسن النية وحده لا يكفي

عبادة لله تعالى هي العاية من خلق العباد، كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦]، والتقيد فيها بما شرعه الله منها على الصورة التي شرعها، ضرورة لارمة لصحتها وقولها عند الله تعالى، قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا يَوْمَ الْقِيَامِ فَلْيَسْعَ سَعِيًّا وَلَا يَرْجُ الْيَوْمَ بِحَادَةِ رَبِّهِ أَفَدَّ﴾ [الكهف ١١٠]، قال الفصيح بن عياض رحمه العمل الصالح لا يقل، حتى يكون أحسن العمل وأصونه، قيل له فما أحسن العمل؟ قال أن يكون لله، قيل فما أصونه؟ قال أن يكون على السنة، أي على وفق ما شرعه الله تعالى (١)

وكان من دعاء عمر رضي الله عنه «اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً»، وتحليص الأعمال مما يفسدها أشق من الاجتهاد في العبادة

فلا بد لقول لعمل من تصحيح صورة العمل، بحيث يكون مشروعاً، مع إحلاص اللوثة به إلى الله تعالى، فلا يكفي حسن النية وإحلاص القصد إذا لم يسم إليه

(١) إعلام المومنين ١٢٤/٢

حسن العمل فلو كان حسن النية وحده كافياً لما كانت هناك حاجة إلى إرسال الرسل، وإبرار الشرائع والكتب، حتى المشركون يرفعون أن عبادتهم لله حائصة، وأنهم ما يعدون غير الله إلا ليقرّبوهم إلى الله زلمى

ولا يكفى في مشروعية العمل أن يكون صاحبه يريد به الخير، فقد قال عبد الله بن مسعود للذي قال له: ما أردنا إلا الخير «وكم من مُريدٍ نُحَيْرُ نُنْ يُصِيبُهُ، إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنْ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِرُ تَرَاقِيهِمْ»^(١)

وقد حذّبه من اليأس ﷺ «كُلُّ عَادَةٍ لَمْ يَتَعَدَّهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَعُدُّوْهَا، فَإِنْ الْأَوَّلُ لَمْ يَدَعْ لِالْآخِرِ مَقَالًا»^(٢)

ومن المُجمَع عليه بين أهل العلم أن العمل لا يكون مقبولاً إلا بشرطين موافقته لشرع، وإحلاص النية فيه لله وحده، فما كان على خلاف الشرع من الأعمال فهو باطل، مهما كان القلب به طيباً، والقصد إليه صالحاً، قال الله تعالى ﴿ثُمَّ حَسَسْتُ عَلَى شَرِيحَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّيَمَّمْتُهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَقْنُتُونَ﴾ [الحاثية ١٨]، ﴿قُلْ هَلْ تُبْتَكَمُ بِالْأَخْسَرِ أَعْمَلًا﴾ [البقرة ١٧٧]، وقال ﷺ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٣)

وما كان من الأعمال مقصود به غير الله، متوجهة به إلى من سواه، رياءً وظهوراً، فهو باطل مردود، ولو كان على وفق المشروع، لقول النبي ﷺ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى»^(٤)

قول الإنسان أنا مؤمن - إن شاء الله -

إذا قال الإنسان أنا مؤمن إن شاء الله، في جواب من سأله هل أنت مؤمن؟ فلا صرد في ذلك، وكان السلف الصالح يكرهون مثل هذا السؤال، فكان طوارس إذا سُئِلَ بقوله «سب الله وكُتِبَ ورسله»، وكان سفيان بن عيينة إذا سُئِلَ هذا السؤال

(١) مسند أبي داود ٢٠٤ وانظر إحصاء ١/١٨١

(٢) حدود وندع ٢٩٧

(٣) مسند حديث رقم ١٧١٨

(٤) انصاري حديث رقم ١

لا بحبيب، ويقول للسائل: سؤالك إياي بدعة، ولا أشك في إيماني، وقال الأوراعي للسائل: إن المسألة عن ذلك بدعة، والشهادة عليه تعمق لم نكفّه في ديسا، ولم بشره نبيا، القول فيه حذل والمنارعة فيه حدث^(١)

وتعيق الإيمان على المشيئة لا بصر، ولا يقدح في الجرم بالإيمان، إذا كانت المشيئة متجهة إلى واحد من الأمور الآتية

١ نحوه لمشيئة إلى الخاتمة على الإيمان، لا للإيمان نفسه، فإن الإنسان لا يستطيع أن يجره بما يكون عليه حاله عند الخاتمة، وبذلك يكون قوله: إن شاء الله في محله

٢ نحوه لمشيئة إلى العمل الذي هو فعل الطاعات وترك المحرمات، فإن الإيمان لا يتم إلا بالعمل، والإنسان لا يستطيع أن يجره بأنه أكمل العمل الذي يتطلّبه الإيمان، فهو شك في ذلك، ولو قال: أنا مؤمن قطعاً، دون تعيين على المشيئة في هذه الحالة، فكأنه قال: أنا في غاية الطاعة التي يتطلّها الإيمان الكامل، وهذا من تركية النص المبهى عنها، قال ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَحْسَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي»^(٢)، هكذا جاء الحديث في بعض الروايات على غير صيغة الجرم توأصاً منه ﷺ، وجاء في بعضها بلفظ: «أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ»^(٣)، على الجزم ورسول الله ﷺ أهل لذلك.

٣ اتجه المشيئة إلى رجاء قول الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا نَؤُورُ وَفُؤُورُ رِؤُورُهُمْ إِلَى رِؤُورِهِمْ رِؤُورُهُمْ رِؤُورُهُمْ﴾ [المؤمنون ٦٠]

مرتكب المعصية ليس كافراً

ارتكب المعاصي لا يُلَبِّب المؤمن إيمانه، ولو كانت المعاصي من الكدتر، ما دام فعل المعصية يعتقد أنها معصية، فإن استحلها واعتقد أنها حلال وغير حكم الله، حرج عن الإيمان، فالراي واكل الرما لا يرتد عن الإسلام إذا رمى أو أكل الرب، وهو يعتقد حرمة ما ذكر، فإن فعل شيئاً من ذلك معتقداً أنه حلال، راداً على الله حكمه في

(١) سير أعلام النبلاء ٥٣٩/٨

(٢) مسند حديث: ص ١١١٠، والشرعية للأجري ص ١٣٨، ومجموع الفتاوى ٤٤٩/٧

(٣) البخاري حديث رقم ٥٠٦٣

الحريم، كان مرتدًا جاء في الصحيح عن أبي در رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «أَنَا نَبِيُّ جِبْرِيلَ فَبَشِّرْنِي أَنَّهُ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟» قَالَ «وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى»^(١)

قد النووي في شرح صحيح مسلم «... ما عليه أهل الحق من السب واللعن، أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا على كل حال، وإن كان سارقًا من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل حسوه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك، أو غيره من المعاصي، إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يُبتل بمعصية أصلًا، فكل هؤلاء يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار أصلًا، لكنهم يردونها على لحلاف المعروف في الورد، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط... وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة، فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أو لا، كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده ﷻ، ثم يدخله الجنة، فلا يحل في النار أحد مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر، ولو عمل من أعمال البر ما عمل»^(٢)

وما ورد من الصوص في القرآن والسنة الدالة بظاها على الحكم على صاحب المعصية بالكفر، فمؤول عند جمهور العلماء على غير ظاهره، من ذلك قول الله تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله ﷺ «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٣)، وقوله ﷺ «سَيَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(٤)، وقوله «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٥)

(١) سنن أبي داود حديث رقم ٧٤٨٧

(٢) النووي على مسلم ١: ٢١٧

(٣) مسلم حديث رقم ٥٧

(٤) مسلم حديث رقم ٦٤

(٥) مسلم حديث رقم ٦٥

وقوله ﷺ «اثنان في الناس هما بهم كفر، الظن في السب، والبإحاة على الميت»^(١)، وقوله ﷺ «أيما عبد أبى من مواله فقد كفر حتى يرجع إليهم»^(٢)، وقوله ﷺ «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر، ومن ادعى قوماً ليس له بهم نسبوا مقمده من النار»^(٣)، وقوله ﷺ «أيما امرئ قال لأخيه يا كافراً، فقد بآء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»^(٤)

فقد روي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه في حديث «يباب المثلِم فوق وقتاله كفر»، أنه قال ليس بالكفر الذي يقبل عن العلة، ثم تلا قول الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ أَهْلَ بَيْتِ نَارٍ فَإِنَّ نَارَهَا تَتَّقِدُ أَهْلَ بَيْتِ نَارٍ﴾ [المائدة ٤٤]

وأظهر الأقوال في تأويل هذه المصوص لشتى مع باقي نصوص الشريعة، التي تقضى بعدم تكفير صاحب المعصية بالقول بأن من رمى، أو قتل، أو حكم بغير ما أمر الله، أو ادعى إلى غير أبيه، أو أبى من مواله، أو طعن في النسب، أو رمى غيره بالكفر فقد فعل فعل الكفار، تعليظاً وتشديداً عليه، وتنفيراً من فعله، ولا يكون أحد كافراً بمجرد ذلك، إلا إذا استحلّه وأباحه لنفسه، وكذلك من حكم بغير ما أنزل الله يكون كافراً إن استحل ذلك، أو لم يستحل، ولكن اعتقد أن حكم غير الله أحسن من حكم الله وأصلح للعباد، فأما من حكم بغير ما أمر الله، وهو يعتقد أنه يرتكب حراماً، ويفعل معصية، وأن حكم غير الله ليس مثل حكم الله في إحقاق الحق، وتحقيق العدل، وإصلاح العباد، فهو فاسق، وأمره إلى الله، إن شاء عدله وإن شاء عفا عنه، كما ذكر ذلك القرطبي في التفسير^(٥)

سلب الإيمان

تبين مما تقدم في حقيقة الإيمان والإسلام، أن الداحل إلى الإسلام لا يحصح إلى أكثر من الاعتراف بالشهادتين بلسانه، وتصديق ذلك بقلبه، ولا يحصح إلى معرفة

(١) مسلم حديث رقم ٩٣٤

(٢) مسلم حديث رقم ٦٨

(٣) سنن أبي داود حديث رقم ٣٥٠٨

(٤) مسلم حديث رقم ٦٠

(٥) بصر حقه ١ ٢٥٣ والمجموع لأحكام الفراء ١٨٠/٦

البراهين ولدلائل والحجج على قضايا العقيدة فالدخول في الإسلام أمر سهل مبسوط
لن شرح له تعالى صدره إليه، ولكن قد يسلب الإنسان إيمانه ويُعدّ مرتدًا في
عدد الكافرين مع إقراره بالشهادتين، وذلك إذا صدر منه فعل أو قول ساقص مصحوب
الشهادتين، أو يدلّ على عدم رضاء بالإسلام، بعد إقامة الحجة عليه، ولذا طُنق
بالشهادتين لا يكون مؤمنًا إلا إذا لم يصدر عنه ما يعارضهما
ولا يكفر لمسلم إلا بنكار أمر مجمع عليه في الشريعة، معنوم شوته من الدين
بالضرورة، يعلمه الخاص والعام، والصغير والكبير

أمثلة لما يسلب الإيمان

الأمر التي تسلب الإيمان كثيرة، منها إنكار صفة من الصفات الواجبة لله تعالى ،
كالحق ولقدّم والرحمة إلخ، وكأن يسند الإنسان إيجاد العالم إلى الطبيعة
أو إلى المصادفة، أو يقول الله تعالى غير رحيم، أو غير عليم، أو أنه لا نعم
الحرثيات وتفصيلات الأمور

ويسبب لإيمان كذلك إثبات صفة له تعالى لا تليق بكماله، كمن يصفه
تعالى بالظلم أو الاستبداد، أو بمشابهة الحوادث في علمه أو قدرته، أو في صفة
من الصفات الأخرى، كوصفه بالعجز وعدم القدرة على الثّرة، تصريحًا أو ضمًا،
كمن يقول لحصمه (حلّ ريك ينفكك، أو يمسكك مني)، أو: (لو كان ريك هـ
لأصده ما أصدك)، أو يسبب لفظ الجلالة ويشتمّه، تعالى الله عن ذلك

ويسبب الإيمان إنكار القرآن أو شيء منه، ولو كلمة واحدة اتفق المسلمون على
أنها من القرآن، أو تحقيره وعدم احترامه، أو إلقاء شيء مكتوب منه في مكان مُسهٍ،
كوطئه بالأقدام، أو في محل الأوساج والجاسات

ويسبب لإيمان لطمع في رسول الله محمد ﷺ، أو في نبي آخر من أنبياء الله
جميعًا، مصوت لله وسلامه عليهم ، كالسخرية والاستهزاء بواحد منهم أو تكديبه،
أو عدم الإدعاء والتسليم لما حكم به، وثبت عنه، قال تعالى ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا
يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُعْزِمُوكَ بِمَا شِئْتُمْ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَدِّثُوا فِي آبْئِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قَصَيْتَ
وَنُسِيْمُوا نَسِيْمًا﴾ [النساء ٦٥]، أو يسبب إلى الظلم أو الجهل تصريحًا أو تعريضًا، كمن

بسمع الحديث عن النبي ﷺ فيقول هذا الكلام ظلم حتى لو كان من قول لسي ﷺ،
أو هذا كلام جاهل ... إلخ

ويسلب لإيمان الطعن في الشريعة الإسلامية، أو الاستهداف شيء مسوب إليها، أو رد حكم من أحكامها التي أجمعت عليها الأمة، وعدم بالضرورة أنها من دين الله تعالى، كإنكار الصلاة، أو أنها ليست على الكيفية المعهودة بين المسلمين، كمن يجعل الصلاة كلها ركعتين ركعتين، أو أنه لا بشرط أن تكون بالكيفية الخاصة، بل تكفي الصلاة ولو من غير ركوع أو سجود، أو لا تشترط إقامة الصوت لحمس، بل يكفي منها ما تيسر ولو ركعتين في اليوم، أو أنها تصح من غير وضوء، أو ينكر لصوم أو الحج، أو فرضية الزكاة أو العسل من العجاجة، أو تحريم الربا، أو تحريم لحمم والربا، أو ينكر حلية البيع والشراء، إلى غير ذلك من كل حكم معلوم بالضرورة أنه من دين الله تعالى، يعرفه الكبير والصغير والعالم والجاهل، إلا أن يعدر منك ذلك مجهل، كأن يكون حديث عهد بالإسلام لا يعرف أحكامه وحدوده، فلا يعد إنكاره كفراً^(١)

شروط تكفير المعين

لا يحكم على إنسان بعينه بالكفر إذا بدا منه ما يستوجب الكفر إلا بعد تحقق الشروط الآتية

١ - القصد إلى القول أو الفعل المكفر، فإن كان القائل ناسياً، أو محطكاً أو عاقل سقي لسان، فهو معذور، قال تعالى ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ مِمَّا أَعْطَاكُمْ بِهِ﴾ [الأحراب ٥]، وقال ﷺ «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنِّبَانَ وَمَا اسْتَكْبَرُوا عَلَيْهِ»^(٢)، وفي حديث مروح الرب تنويع العبد «لَلَّهِ أَشَدُّ قَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٌ، فَانْقَلَبَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا ظِلَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَيَسَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةٌ جَنْدُهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْقَرْحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ

(١) نظر شرح سوي على سنة ٢٠٥١هـ والروايع ٢٩/١، ٣٠

(٢) سنن مساجد حديث رقم ٢٠٤٣

عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ^(١)، يقول العدد ذلك حين يعمره الفرح براحمته بعد أن ينس منها

٢ عدم الإكراه لقول الله تعالى ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَبْلَهُ مُظْلِمِينَ﴾ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [التحل ١٠٦]

٣ كون المتكلم عالمًا بمقتضى كلامه ولوازمه، غير معذور بالجهل، فهو لم يكن عالمًا بذلك لا بحكم عليه بالكفر، كما هو الحال في تلفظ العامة بالتلفظ شركية، كهو يهودي أو نصراني، أو خارج من دين الإسلام إن فعل كذا وبمعناه، وكذلك غير الله والملائكة في لحوق من ذلك أكثر من الخوف من التحف بالله العظيم وبدل عليه قول الله تعالى حكاية عن قوم موسى لموسى عليه السلام ﴿أَحْمِلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ فَهَّاتُونَ﴾ [الأعراف ١٣٨]

ومنه قول لسي عليه السلام لأصحابه عندما طلبوا منه أن يجعل لهم ذات أنواط، كما كان أهل الجاهلية لهم ذات أنواط، فقال عليه السلام ﴿مُبْتَخَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ ثَنَةً مِنْ كَأَن قَبْلَكُمْ^(٢)﴾

فمن يحررهم قولهم عن الحلة، وعذرهم السي عليه السلام لأنهم كانوا جاهلين، غير عالمين بمقتضى كلامهم ولوازمه، وكذلك كان أهل الجاهلية يحلقون بآبائهم ويحلقون باللات والعزى، وحرى ذلك على ألسنة بعضهم بعد الإسلام، فبهاهم السي عليه السلام، وقد ﴿مَنْ خَلَقَ نَفَالًا فِي خَلْقِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيُكَلِّمْ لَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ^(٣)﴾، ولم يكفرهم

فمن أكر شيئاً من دين الإسلام مدعيًا الجهل به، لا يسارع إلى تكفيره، حتى يبين له ذلك ويعرف به، وترون عنه الشهادة، فإن تمادى بعد ذلك على إكراهه، حكم بكفره^(٤)

(١) مسلم حديث رقم ٢٧٤٧

(٢) الترمذي حديث رقم ٢١٨٠ - حسن صحيح

(٣) البخاري حديث رقم ٤٨٦٠

(٤) انظر المنصبي ١٣٢/٨

٤ عدم التأويل، فلو كان القائل لما يستوجب الكفر متأولاً طائفة لدخول مجتهداً في الوصول إلى لصواب، غير متع للهوى، فلا يحكم على قوله بالكفر، لقول النبي ﷺ «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(١)، وقد روي أن قدامة بن مظعون، ومعه جماعة شربوا الخمر مسحين لها، فأولين قول الله تعالى ﴿يَسْ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ حُجٌّ يَمَّا طَمَعُوا بِهَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ بِحُجَّتِكُمْ بَصِيرٌ﴾ [المائدة ٩٣]، فأقيم عليهم الحد، وعزفوا تحريمها، فسبوا ولم يكفروا بدلت

٥ ألا يكون معلوماً على عقله، لقول النبي ﷺ «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ السَّامِ حَتَّى يَسْتَقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَشُبَّ»^(٢)

٦ قيام لحجة عليه، فلا يحكم على أحد بكفر إلا بعد قيام الحجة عليه واستدائه، لقول الله تعالى ﴿سَيُفْتَنُ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُهُمْ يَتَوَلَّى لِقِيَّةٍ وَمَنْ صَلَّ فَإِنَّمَا يَبْصُلُ عَلَيْهَا وَلَا تَرَى دَرِةً وَرَدَّ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُنْذِرِينَ حَتَّى يَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء ١٥]، وقيام الحجة أن يبش لمسكم أن قوله بسوحت الكفر من حجة كذا وكذا، ويطلب منه التوبة والرجوع عن قوله، فبعده يرجع عنه، فإن رجع عنه فلا يحكم بكفره، لأن رجوعه بعد توبة، أو لعنه يكون متأولاً فيبين مسنده، والمتأول أيضاً لا يحكم عليه بكفر، لأنه مجتهد، والمجتهد مأحور أخطأ أو أصاب

ما يترتب على الرقة

ومن وقع منه شيء من الأمور المتقدمة، التي تسلب الإيمان، وتسوحت الرقة، فإنه يهرى بيه وبين روحه، ويطلبه القاصي للتوبة، فإن لم يتب أقام عليه حد الردة وهو القتل، لما جاء في الصحيح، قال ﷺ «لَا يَجِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَخْذِي ثَلَاثِ الثَّيْبِ الرَّائِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(٣)

(١) صحيح حديث رقم ٧٣٥٢

(٢) سريدي حديث رقم ١٤٢٣

(٣) مسلم حديث رقم ١٦٦٦

وفي الصحيح قال ﷺ «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١)، ولا يُدوس في مقابر المسلمين، ولا تورث يمينه وبين قرانته المسلمين، كذلك لا يرثه قرانته من الكفار، وماله فيء لبيت المال؛ لأنه يردته صار كالحربي، دمه وماله حلال^(٢)

والردة تحبط الأعمال، وصاحبها كافر، يُخلد في النار، قال تعالى ﴿يَنْ أَسْرَكَ لِيَحَطَبَ عَلَيْكَ﴾ [الرعد ٦٥]، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء ٤٨]، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَسَبَّحْتَ وَهُوَ كَايُومٌ فَذُلَّتْ عَلَيْكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَذُلَّتْكَ أَصْحَابُ الدَّارِ هُمْ فِيهَا حَذِرُونَ﴾ [النقرة ٢١٧]

العذر بالجهل

يرى القرافي أن الجاهل يُعذر بجهله في الفروع والأحكام العممية، ولا يعذر بجهله في الاعتقاد والمسائل العلمية^(٣)

وما قاله القرافي من عدم العذر في الاعتقاد والمسائل العممية غير مستقيم على إطلاقه عند لعلماء، لأنه من التكليف بما لا يطاق، ومن التكليف بالحرص الذي رفعه الله عن هذه الأمة. ويدل على رده ما جاء في الصحيحين في الرجل الذي قال لسيده «إِذَا أُنْمِتَ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ازْكُرُونِي فِي الرِّيحِ فِي السَّحَرِ، فَوَاللَّهِ لَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ عَمِّي لِيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَ بِهِ أَحَدًا، قَالُوا فَمَعْلُومًا ذَلِكَ نَهَى، فَقَالَ بِلَا رُحْصٍ أَذَى مَا أَحْدَثَ، فَبَدَّ هُوَ قَاتِمٌ، فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَعْتَ؟ فَقَالَ خَشْيَتُكَ رَت، أَوْ قَدْ مَحْدُوثٌ، فَعَمِرَ لَهُ بِذَلِكَ»^(٤)

والرجل شك في قدرة الله، واعتقد أن الله تعالى لا يقدر على إعادته إذا دُرِيَ، وشك في المعاد، وهذا كفر لا شك فيه، لكنه كان جاهلاً باعتقاده المصحوب بالحواف من ليه، فعذر له

وقد قلت لجارية بين يدي رسول الله ﷺ «وَقِينَا نَبِيَّيْ يَغْلُمُ مَا فِي عَدِي فَقَالَ

(١) سحري مع فتح ساري حديث رقم ٣٠١٧

(٢) نظر شرح كسر ٥٠٥

(٣) بروق ٢/ ١٥٠

(٤) سحري حديث رقم ٣٢١٩ ومسلم حديث رقم ٤٩٥٠. ونعظ لعمد

النَّبِيِّ ﷺ لَا تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتَ تَقُولِينَ^(١)، فيهاها عن قولها وعمها، وم يكفرها، وعذرها بالجهل وذكر رجل للمسي ﷺ ما اعتاده الناس من قولهم ما شاء الله وشاء محمد، فما كفره بل عذره بالجهل، وعلمه أن يقول ما شاء الله ثم ما شاء محمد^(٢)

وفى الصحيح: «أَنَّ رَجُلًا أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاوِيَةً حَضَرَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَهَا؟» قَالَ لَا، فَسَارَّ إِنْسَانًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِمَ سَارَرْتَهُ؟» فَقَالَ: «أَمَرْتُهُ بِبَيْعِهَا»، فَقَالَ: «إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا»، قَالَ: فَصَح لِمَرَادَةٍ حَتَّى دَهَبَ مَا فِيهَا^(٣)

قال ابن عبد البر: في الحديث دليل على أن الإثم مرفوع عن من لم يعلم، ومن أمكنه العلم ولم يتعلم أثم^(٤)

وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: «لله تعالى أسماء وصفات لا يسع أحدًا قامت عليه الحجة رثها، فإن حالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعدوم بالجهل، لأن عدم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر»^(٥) وفى مجموع الفتاوى: «فمن شرط الإيمان وجود العلم بالسم، ولهذا كان الصواب أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافرًا، إذا كان مقررًا بما جاء به الرسول ﷺ»^(٦) وفى موضع آخر يقول عمر أنكر عدم الله بكل شيء، وقدرته على كل شيء: «إن هذا القول كفر، ولكن تكفير قائله لا يحكم به حتى يكون قائله قد يلعب من العلم ما تقوم عليه به الحجة التي يكفر بتركها» ثم يقول: «عنى ذلك نقى سلف الأمة وأئمتها ومشايخها»^(٧) ويقول: «وإلى أقرر أن الله قد عفر لهذه الأمة خطاياها وذلك بعدم الخطأ فى المسائل الحسرية القولية، والمسائل

(١) البخاري حديث رقم ٣٧٠٠

(٢) من ابن ماجه، حديث رقم ٢١١٨

(٣) مسلم حديث رقم ١٥٧٩

(٤) المنهاج ١٥٤/٤

(٥) مختصر ابن القيم للذهبي ص ١٧٧

(٦) مجموع الفتاوى ٥٣٨/٧

(٧) مجموع الفتاوى ٤١٣/١١

لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا تَقْصِرُ عَنْهُمْ فَيَسْتَوْفُوا وَلَا تَجْمَعُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ حَرَّرَى كُلُّ
صَكُورٍ ﴿قَاطِر ٣٦﴾، ﴿فَالْوَيْلُ لِمَنْ يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ بِمُصَوِّتٍ﴾ [الحاثية ٣٥]

وهذا عام في كل كافر، لا فرق بين اليهودي والنصراني، والنوشي والمذابي في
العقيدة الزنديق والمجوسي والملحد والشيوعي والهندوسي، ولا فرق بين الكافر
عدو، وغيره، ولا بين الكافر أصلاً، والمرتد عن الإسلام، بأن حكم بكفره بعد
اعتناقه الإسلام، لارتكابه ما يوجب الردة والإشراك بالله تعالى، فإن مصير جميع
الكفار واحد، ولكفر كله ملة واحدة، لكن بعض عذاب جهنم أشد من بعض، وأكثر
هواناً وتكالفاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَفَيِّسِينَ فِي الذِّكْرِ الْأَسْفَلِ مِنَ الدَّارِ وَلَئِنْ تَجَدَّ لَهُمْ
نَصِيرًا﴾ [النساء ١٤٥]، وقال ﷺ في عمه أبي طالب: «لَعَنَهُ نَفْعُهُ شَدَعِي يَوْمَ أَقِيمَةَ
فَيُحْمَلُ فِي صَخَصَاحٍ مِنْ نَارٍ يُلْغُ كَعْبُهُ بِغَلِيٍّ مِنْ دُمَاعِهِ»^(١)

وأجمع المسلمون كذلك على أن مصير المؤمنين الذين حسم الله لهم بالوحد
الجنة، وأنهم حالدون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ حَادَّ
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْفَوَاحِشِ ۖ إِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [التارعات ٤٠]، وقال ﷺ: ﴿لَا
يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ بِمُتَحَرِّجِينَ﴾ [الحجر ٤٨]، وقال ﷺ في الحديث الذي فيه
دخ الموم: «فَيَنَادِي مَتَايَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ
فَلَا مَوْتَ»^(٢)

لكن إن كان من مات على التوحيد لم يمت مُصْرًا على كبيرة من الذنوب دخل الجنة
أولاً، عند دخول المؤمنين الذين كمل إيمانهم بأعمالهم الصالحة، وإن مات عن
كبيرة لم يقبل لله تعالى توبته منها، فهو تحت المشيئة، فإن عفا الله ﷻ عنه دخل
الجنة أولاً مع المطيعين، وإلا عذب على قدر ذنبه، ثم أخرج من النار، وحُد في
الجنة^(٣)

ويذكر على أن أهل الكبار من الموحدين يدخلون الجنة وإن جرت لهم قبل ذلك

(١) مسلم حديث رقم ٢١٠

(٢) البخاري حديث رقم ٤٧٣٠

(٣) شرح النووي على مسلم ٩٧/١

أنواع من العذاب والجن ما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة، قال: «أتاني جبريل عليه السلام، فقال: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ، لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، دَخَلَ الْحَقَّةَ، قُنْتُ وَإِنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ»^(١)

(١) مسند أبي حنيفة، رقم ٢٣٨٨، المصدر السابق، مجموع الفتاوى ١١/٤٠٧.

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

وجود الله

وجود الشيء لا يتوقف على إدراكه:

وجود الأشياء لا يتوقف على إدراك العقل إياها وتصورها، هذه قضية لوضوحها لم تعد محل خلاف بين الناس فالروح والعقل موجدان في الإنسان، ولكن العقل لا يعرف عنهما شيئاً فلو سألت العاقل أين عقلك؟ أو أين روحك؟ ما قدر أن يجيب، ولو قيل لأحر قل مائة سنة إنه لو وضعنا ورقة مكتوبة في آلة صغيرة، وصعط على زررها، فإن صورة طبق الأصل لتلك الكتابة تخرج في التو والحين مكتوبة في متناول من أرسلت إليه في اليابان أو في غيرها من أقطار الدنيا، لو أحر الإنسان بذلك كل مائة سنة، وعرض ذلك الحر على عقله، لأحب العقل بأن ذلك مستحيل، ولا يمكن حصوله فعقل الإنسان محدود يقاوم الزمان والمكان، يود حرج عن هذا القانون غلط في أحكامه وضل.

وأمر لعيب كلها خارحة عن هذا القانون، وخارحة عن موازين الحواس وقياساتها فإن الفكر في الشيء مسوق بتصوره، وتصور ما في لعيب على وجه صحيح غير ممكن، والواحد على المسلم إذا وردت على نفسه حوطة عن أمر من أمور لعيب كذات ناري ﷺ وصعته، أو عن أمر آخر لم يرد في الوحي ما بوضعه، فيدفع هذه الحوطة بما علم النبي ﷺ به أصحابه، فقد جاء في نصحيح عن أبي هريرة قال: «جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ، فسأوه: إنا نجد في أنفسنا نعضم أحداً أن يتكلم به، قال: وقد وجدتموه؟، قالوا: نعم، قال: ذلك ضريح الإيمان^(١)، وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا

(١) مسلم حديث رقم ١٣٢

خَنَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ»^(١) وفي رواية «إذا وجدت شيئاً من ذلك، فقل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم»^(٢)

ومعنى «إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاطَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ» أي نجد الشيء القبيح، نحو من حلى لله؟ وكيف هو؟ ومن أي شيء هو؟ ونحو ذلك مما يعظم على النفس الطُّقُّ به، فما حكم حريان ذلك على حواظنا؟ ومعنى «ذاك صريح الإيمان» أن تحرُّككم من ذلك وردَّكم لما يلقى الشيطان في موسمكم وكراهيتكم لذلك هو صريح الإيمان

وفي المثل لذي صرته الله ﷻ لنفسه في قوله تعالى ﴿لَهُ نُورٌ نُورٌ كَلَمْ يَسِرْ وَلَا يَخْرُجْ﴾ [النور ٣٥]، لُفَّ إعجاري للعقول بأنه سبحانه لا يُدرَك، ولا يراه أحد بعينه في الدنيا بقطعة، فقد أعطى العلم الحديث بُعدًا جديدًا لمُدلول الآلة الكريمة، فالعلم بقوى النور لا يُرى في ذاته، وإنما يُرى بواسطة الأشياء إذا انعكس عليها، أو تحسنت، كأن يعكس على حائط، أو يتحلله عار أو ماء

لذا فإن الإنسان كلما صعد في الفضاء، واتعد عن الأجرام والمواد، وانعدم ما يحلله الهواء من الأحاساس، أطفئ عليه الظلمة، مع أنه سيَّما يكون أقرب إلى الشمس مصدر لنور

بعد معرفة هذه الحقيقة كان الواجب أن يزداد العقل إيمانًا بالله واسبقًا بقدرته، وتسميًا بأمر لعب الذي جاء به الوحي من عنده، فكما أن النور الذي صرَّبه الله به المثل لنفسه سبحانه لا يُرى في ذاته، وإنما فيما يعكس عليه، فكذلك الأمر إليه سبحانه ، لا يُرى في الدنيا في ذاته بقطعة، وإنما في عجائب مصوغاته

الدليل على وجود الله -تعالى-

يدعى وجود الله تعالى «الفطرة السليمة، والعقل الصحيح، وبما بي يد»
ذلك

(١) مسلم حديث رقم ١٣٤

(٢) مسلم ١١٩/١

١- نداء الفطرة

الإيمان بوجود الله تعالى أمر فطري لا يحتاج من الإنسان إلى جهد وعناء لكي يشته ، لأنه يشعر به في إحساسه ، ويرتكر في فطرته ، يستوي في ذلك العائم والجاهل ، والمؤمن والكافر ، إلا أن الإحساس الفطري قد يحججه الضرور بسبب ما أوتيته الإنسان من علم أو حياء ، أو سلطان ، أو مال ، أو نعمة بين يديه ، أو تحججه العصبية أو الأدبية ولكرية ، أو تصلله الشهوات والأهواء ، أو تقليد الآباء والأجداد ، فيحُث نداء الفطرة في النفس وسط إقبال الدنيا وفتتها ، بما فيها من حياء ومال وسنطان ومذنب ، أو بسبب عمى القلب باتباع الأهواء ، فيرتفع في النفس وسط هذه الفتن والابتلاءات صوت العناد والإلحاد والاعتراض ، فإذا ما أحس الإنسان فجأة بروال ذلك كله وعاین الخطر ، استيقظت فيه الفطرة الإيمانية ، وانقشع ما ران عليها من عوامل لزيغ والتضليل ، فيجد نفسه دون إرادة منه يبادي ربه ويدجأ إليه ، ويطلب المجرة مستعين به ، وليس ذلك إلا فطرة الإيمان بالله تعالى المعرورة فيه وهذا ما أحبر به القرآن عن حال الملحدين وعلى رأسهم فرعون ، فقد تمادى فرعون العناد حتى قال كما أحبر عنه الناري ﷻ ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ عِزِّهِ﴾ [الفصل ٢٨] ، وعندما أطى عليه البحر وتيقر الهلاك ، رجع إلى النداء الأول الذي استقر في نفسه ، بمقتضى فطرته ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَقَهُ الرِّقَّ قَالَ مَا كُنْتُ بِمَعْلُومٍ إِلَّا لَبِئْسَ مَا كُنْتُ بِهِ، سُبُّوا رَبِّيَ الَّذِي رَبَّنَا تَتَّبِعُونَ﴾ [يونس ٩٠]

فمن أن فرعون يعتقد أنه كان على حق في إلحاده ، ما تنصل منه وقت أن تيقر الهلاك ، فيه أحوح ما يكون إليه في ذلك الوقت أن لو كان حقاً ، ولكنه كان يعرف أنه ريف وبهتان ، ولذلك رجع إلى نداء الفطرة ، وهو الاستعانة بالله الواحد الواحد

وقد أحبر الله تعالى في أكثر من موضع أن الناس إذا متهم النضر دعوا الله محبصين له الدين ، قال تعالى ﴿وَأَيُّكُمْ أَضَلُّ فِي الْغَيِّ مَنْ مِّنْ دَعْوَىٰ إِلَّا إِلَٰهًا مَّا يَشْكُرُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [يونس ٩٠] ، وقال تعالى ﴿وَأَيُّكُمْ أَضَلُّ مَن دَعَا إِلَىٰ ضَلَالٍ مَّكِينَةٍ لَا يُجِيبُ لَهُ إِلَّا أَلْفٌ مِّنْهُمْ مُّقْبَصِدٌ وَمَا يَحْصُرُ إِلَّا كُلُّ حِصَابٍ كَافِرٍ﴾ [لقمان ٣٢] فالمصطر يرجع إلى فطرته يبادي ربه ، والعاقل السطر بسن ربه وقت النعمة ، ويعرض عنه ، ولذلك فإن كلمة (يا رب) نجدها تتردد عند الشدة والحيرة على شفاة الناس جميعاً ، المؤمن وغير المؤمن

والاعتراف بحال الكون مُسلم به حتى عند المشركين ، فقد أحس الله تعالى عن الكافرين بقوله ﴿وَلَيْسَ سَأَلُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَ اللَّهُ﴾ [لقمان ٢٥] ، فهُم في قرارة أنفسهم يعرفون الخالق ؛ لأن فطرتهم تدلهم عليه ، إذ إن العاقل يستند بطبعه السليم بالصحة على وجود الصانع ، وبالْحكمة على وجود الحكيم ، وبأثر العلم على وجود العليم وهذا الإحساس الفطري المعرور في الطبع في الاعتراف بوجود الخالق ، هو الذي تكلم به الأعرابي على منجته في أسدود عهوي عندما قال : البعرة تدل على النعير والأثر يدل على المسير

٢- نداء العقل

علاوة على نداء الفطرة الذي يجده كل إنسان في نفسه يدعو إلى الإيمان بوجود الله تعالى ، هناك وسائل منحها الله تعالى للناس ليعرفوه بها ، فأعطاهم العقل والسمع والبصر ، وأمرهم بالاستدلال والظن ، والأخذ بأسباب العلم ، ثم أوحى لهم الدلائل ، لو ظفروا فيها ، واستعملوا عقولهم ، دلتهم على وجود الله تعالى والاعتراف به ، قال تعالى ﴿وَتُوبِخُكُمْ بِآيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [عامر ٨١] ، وقال تعالى : ﴿سَرَّيْنَاهُ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [صافات ٣٥]

وليس أقوى في التدليل على وجود الخالق ﷻ من الدليل العقلي ، فالمقدمات العقبية الصحيحة عُرفت صحة الإيمان ، وحقيقة التوحيد ؛ لأن العقل يستحيل وجود أثر من غير مؤثر ، ووجود مسبب من غير سبب ، فإنه من مسلمة العقول بدهة أنه لا توجد صفة من غير صانع ، ولا علم من غير عالم ، ولا حكمة من غير حكيم ، ولا قدرة من غير قادر وقد أكد القرآن صحة المقدمات العقبية هذه ، حين طلب الاستدلال بالأمم السالفة ، ومن ساروا في الأرض وآثارهم ، وبالدلائل العقبية عرف الإنسان المعجزة ، وميزها عن الشعوذة ، وحكم بصدق النبوة ، وشهد بأن القرآن حق ، وشرعية الإسلام صدق .

إن العقل هو الذي شهد بصدق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وصدق ما جاء به من لوحيد والإيمان بالله تعالى حين رأى من معجزاتهم الباهرة ، التي

أيدهم الله تعالى بها، وأظهرها على أيديهم، كمعجزة موسى عليه الصلاة والسلام بانقلاب العصا حية تسعى، ومعجزة عيسى عليه الصلاة والسلام بإحياء الموتى، ومعجرات سيدنا محمد ﷺ، وأعظمها، معجزة القرآن في نظمته ومعناه، الذي تحدى الله تعالى به الإنس والجن كافة أن يأتوا بمثله فعجزوا، ومعجزة الإسراء والمعراج، ومعجزة إشفاق القمر إلى نصير، ورؤية الناس إياه كذلك، فهذه المعجرات بآياتها العقلية على صدق الرسول، وصدق ما أتى به، بأنه من عند الله تعالى ؛ لأن تأييد الله تعالى لرسوله بالمعجزات حين يظنها الناس منه، هو شهادة من الله تعالى على أن الرسول صادق في كل ما ينطق عن الله ﷻ، والمعجرات وإن كانت صامتة، فإن العقل جعلها ناطقة، فهي بيّنة كما سمعها القرآن، من حيث إنها تبين صدق الرسل، قال تعالى ﴿لَقَدْ رُسَّتْ رُسَّتْ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد ٢٥]

المصنوعات تدل على صانعها

والعقل حين يشاهد نفسه، ويشاهد هذه المخلوقات العظيمة من أرض وسماء، وشمس وقمر، ونبوء وحبال، ومخار وحيوان، ونبات وكواكب، كلها تسير بحكمة بالغة في عناية الإتقان والنظام لا يستطيع أن يصدق أنها حدثت من غير حائل، وأنها وجدت من لا شيء، من عدم محض، فإن ذلك صعب من المستحيل، لأن السبب والعدم يستحيل أن يتبع عنه خلق ووجود، وذلك بالملاحظة والعيان، فإن الميت لا يقدر على فعل شيء، قال تعالى ﴿ثُمَّ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الطور ٣٥]

ولا يستطيع لعقل كذلك أن يصدق أن الطبيعة هي التي أوجدت الكائنات، لأن الطبيعة صماء كماء، لا توصف بالعلم ولا بالحكمة ولا تدبر الأمور، وهذه المخلوقات دلت بصنعتها وإتقانها، وما يشاهد فيها من حكمة وخبرة، على أن صانعها حكيم حبير عليم، واسع العلم بما كان وما يكون

الصدفة في خلق الكون لا يقبلها العقل

لا يستطيع لعقل كذلك أن يصدق أن هذا الكون بما فيه، أوجدته الصدفة والاتفاق، لأن عمر الدنيا من أولها إلى آخرها لا يتسع لصدفة عمية واحدة

معقّدة لتكوين حبة واحدة في جسم الإنسان، فكيف لملايين الحلل في مئات الآلاف من أنواع الحيوان والنبات، وكيف لتكوين وظائف أعضاء الإنسان المعقّدة، كالسمع والبصيرة، وجهاز التنفس والهضم، وكيف ساقى محبوبات الله الأخرى لنبي لا تُحصى، ومنها ما هو في العظمة ما لا يُعد الإنسان نائسة إليه شيئاً، قال تعالى ﴿لَعَلَّكَ التَّسْمُوتُ وَالْأَرْضُ أَكْثَرُ مِنْ حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرُ أَكْثَرُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [عافر ٥٧]

ولتوضيح استحالة دور المصادفة في خلق هذا الكون، نأخذ مثلاً لأصغر مكونات الحياة في نبات والحيوان، وهو الخلية، ليرى هل لاحتمال المصادفة دور في إيجاد

إن إمكانية حدوث المصادفة لتكوين الأشياء السهلة غير المعقّدة أمر في غاية البعد، فكيف بالأشياء عندما تكون أكثر تعقيداً، فعلاً لو وضع الإنسان عشر نطاقات مرقمة من (١) إلى (١٠) في صندوق مُقفّل، وحركها حتى احتلّ ترتيبها، ثم حاول أن يحرّجها مرّة من لواحد إلى العشرة، دون أن يراها، فإن إمكانية المصادفة لإيجاد ذلك تحتاج إلى ألف مليون محاولة، ولو كان المطلوب ترتيبه عن طريق المصادفة هو مائة نطاق من هذا النوع، فإن الإنسان يحتاج إلى عدد من المحاولات مقداره ضرب الرقم ألف مليون في نفسه عشر مرات، وهو رقم يتعذر وضعه أو النطق به

لنفس بعد ذلك إمكان خلق الخلية التي لا يمكن أن تُرى إلا بالمجهر، لا بل الأحذر أن نقيس جزءاً من الخلية، وهو الجزء الروتيني منها، والجزء الروتيني ذرة من أجزاء الخلية، لا يمكن رؤيته حتى بالمِظْطَر، ويتكون من خمسة عناصر كيميائية هي: الكربون، والهيدروجين، والنيتروجين، والأكسجين، والكريت والجزء الروتيني الواحد الذي لا يُرى حتى بالمجهر يشتمل على أربعين ألفاً من ذرات هذه العناصر الخمسة، ويتكون الجزء الروتيني هذا من سلاسل من الأحماض الأمينية ACIDS AMION، هذه السلاسل مرّة بطريقة عجيبة، بحيث لو احتلّ ترتيبها ووضع شيء منها في غير موضعه، لتفكك بالإنسان وقصت عليه، يدل أن تكون سباً في نموّه وحياته

وقد قدم لعالم لسويسري (تشارلز بوجين جواي) بحساب المدة التي يحتاج إليها لتكوين حريء بروتيني عن طريق الصدفة، فانهي إلى أن احتمال الوصول إلى ذلك يحتاج إلى مقدار من المادة يريد حجمه مليون مرة على المادة الموجودة الآن في الكون، حسب علم الإنسان، ويحتاج إلى محاولات متواصلة لتحريك المواد وصحتها ربما يكون من رقم (١) أمامه مائتان وأربعة وأربعون صفرًا من الـ ١٠٠٠، وهو رقم حيلي لا يتصور^(١)

والوصول إلى تكوين حريء بروتيني مع ما في الحصول عليه بطريق الصدفة من استحالة كما تقدم بعد ذلك ليس هو كل القصة، فإن القصة تكمن في الحياة، فيمن يجعل هذه لحية حية، وهو السر الذي استأثر به الخالق ﷻ

(١) انظر الإسلام يتحدى ص ١٥١ وما بعدها، والعالم يدعو للإيمان ص ١٩٣

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً
غير مآذون بطباعتها للاستخدام الشخصى أو التجارى

التوحيد

وحدة النظام تدل على وحدانية الخالق

وحدة الله تعالى تجعل لكل ذي عقل في وحدة الطام الذي أمدع به
تعالى عليه هذا الكون، وجعله يسير عليه، لا يحتل، ولا يتذل، فالعقل يستدر
بمفيدة وحدة الطام الذي أمدعه الله تعالى على غير مثل سابق في العصر
الشرية، وفما حبس الله تعالى في الكون من شمس وقمر ونجوم وأفلاك يستدر
بذلك على وحدانية الصانع المبدع، فإن وحدة المصنوع تدل على وحدة الصانع. فلو
كان لله شريك عما استغاث هذا الصنع البديع على هذا النظام الواحد، ولاختلت
المصنوعات وفسد الكون، قال تعالى ﴿لَوْ كَانَ بِهِمَا غَلْفَةٌ أَوْ لَافَةٌ﴾
[الأنبياء: ٢٢]، أي السموات والأرض، وقال تعالى ﴿وَحَقُّ كَثْرَتِهِ قَدَرُهُ﴾
[نبي: ٢٢]، وقال تعالى : ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، وقال
تعالى ﴿وَالْقَمَرُ قَدَرَهُ مَكَالٍ﴾ [يس: ٣٩]، وقال تعالى ﴿لَا الشَّمْسُ سَعِي لَدَىٰ
رَبِّكَ الْقَمَرُ وَلَا يَتَّبِعُ سَعِي الْهَارِ وَكَذَٰلِكَ فِي فَلَكٍ يَتَسَوَّوْنَ﴾ [يس: ٤٠]، وقال تعالى
﴿يُوجِئُ نَجْمٌ فِي السَّهَابِ وَيُوجِئُ السَّهَابُ فِي الْبَلَدِ وَسَحَرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرُ كُلُّ بِحَرِيٍّ إِنَّهُ لَجَلِيٌّ
شَسِيٌّ﴾ [فاطر: ١٣]

معنى توحيد الله :

التوحيد: اعتقاد أن الله ﷻ واحد في ذاته، ليس كمثل شيء، وواحد في صفاته، لا يشبه أحد من خلقه في صفه من صفاته، متصف بكل كمال، مرة عن كل نقصان قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾﴾ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفُورًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص ١-٣] والتوحيد، هو العبد، بل هو عديده

العدل، لذا كان فصل الأعمال على الإطلاق، سئل النبي ﷺ «أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟» قَالَ «الْإِيمَانُ»^(١) وصَدَّ التَّوْحِيدَ الشُّرْكَ، وهو الظلم، بل هو أَظْلَمُ الظُّلْمِ وَأَعْظَمُهُ، وهو أَكْبَرُ الذُّنُوبِ وَأَقْبَحُهَا، قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣] وسئل لسي ﷺ «أَيُّ الذَّنْبِ أَكْثَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟» قَالَ «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً، وَهُوَ خَلْقُكَ»^(٢) وكان التَّوْحِيدُ غَايَةَ الْعَدْلِ، لِأَنَّهُ قِيَامٌ بِحَقِّ الْمَعْمُومِ الْمُسْتَخِرِ أَنْ يَعُدَّ لِدَنِّهِ دُونَ سِوَاهُ، وَكَانَ الشُّرْكُ ظُلْمًا، لِأَنَّهُ جَحُودٌ وَكُفْرَانٌ لِمَنْ نَعِمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ سَاعَةً، وَعَظَمِيَّةٌ عَمْرَةً، وَأَيَادِيهِ بِالْخَيْرَاتِ عَلَى الْعِبَادِ مَسْوَطَةٌ سَانِحَةٌ، وَأَعْظَمُ هَذِهِ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا دِينُ الْإِسْلَامِ، وَأَعْظَمُهَا فِي الْآخِرَةِ دَحْوَلُ الْحُجَّةِ لِمُؤَحِّدِينَ، وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْعَيْمِ الْمَقِيمِ

وعِدَّةُ اللَّهِ تَعَالَى أَسَاسُهَا التَّوْحِيدُ، وَكُلُّ عِبَادَةٍ لَا تَقُومُ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ هِيَ شُرْكٌ وَصَلَاةٌ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْمَطْلُوعُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ رُكَاةٍ الْإِيمَانِ، وَبِهَا مَدْخَلُ الْإِسْلَامِ، قَالَ ﷺ «بُيِّنَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْحَجُّ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ»^(٣)

والتَّوْحِيدُ لَا يَقْبَلُهُ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْعِبَادِ إِلَّا كَامِلًا غَيْرَ مُقَوَّصٍ، فَمَنْ أَحْصَى تَوْحِيدَهُ شُرْكٌ، وَغَتَقَدَّ وَدَسَدَ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَأَيُّ حُلٍّ فِي دَعَائِمِ التَّوْحِيدِ يَقَوِّصُ سِوَاهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى أَعْيَى الْأَغْيَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، وَالشُّرْكُ يُحْصَى الْعَمَلُ كُلُّهُ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأعراف ٨٨]

معنى لا إله إلا الله

معنى الشهادة لله بالوحدانية أنه لا معبود بحق في الوجود إلا الله تعالى، فلا يُقصد ولا يُستعان إلا به، ولا يُتوجه إلا إليه، ولا يُدعى غيره، ولا يُرعى سواه ولا يُتوكل إلا عليه، قَالَ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمِعُونَ نَسْرَكُمْ وَهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [الأعراف ١٩٧] فمن صدق في قول لا إله إلا الله، كان عمده كله لله، فلا يحب إلا لله، ولا يعص إلا في الله، ولا يؤاخي ولا يُعادي إلا في الله أم

(١) مسند أحمد حديث رقم ١٦٥٧٩

(٢) مسند أحمد حديث رقم ٢٢٧٧

(٣) مسند أحمد حديث رقم ٨

من أحب لهواه، وأنعص لهواه، وعادى ووالى لهواه، من طمع في دين، أو سرلة
أو حدة، فم يحقق معنى لا إله إلا الله، وإنما تع هواه^(١)

ومعنى الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته في كل ما
أمر به، وألا يعدد الله تعالى إلا بما بينه وبلعه، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنُفُوسٍ وَلَا
مُؤْمِنَةٍ فِي اللَّهِ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ
سَبِيلًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب ٣٦]

توحيد الألوهية^(٢)

شاع استعمال هذا المصطلح في الآونة الأخيرة على قلة استعماله عند الأقدمين،
واستعمله أئمة حديثاً بين المعاصرين، وأصاف مادة لأسباب الخلاف، وكثير منه
خلاف لفظي، يحمل عليه التعصب، ولا وجود له عند التحقيق، شأنه شأن كثير من
مسائل الخلاف في تراثنا الفكري التي عداها التعصب، ولم يحرر فيها محل السراع
وهذا ما دعى إلى استعمال هذا المصطلح، فلم أستعمله لأنه يصيب جدداً في
أمر التوحيد لم يكن عند أسلافنا الذين لم يستعملوه، وإنما لأجبي به ما عساه أن يرفع
الخلاف الناتج عن عدم إمعان النظر في مدلول هذا اللفظ ومعناه، والتوقف عند
التقسيم ومناه

فوحيد الألوهية لا يختلف من ذكره من القدماء والمحدثين عني أن معناه
تخصيص الله تعالى بالعبادة، واستحقاقه إياها دون سواء وهذا المعنى في
التوحيد مما أحجمت عليه الأمة، ونطقت به آيات القرآن، وجاء به دين الإسلام،
ولا يحصف عنه من المسلمين أشاء، فبنكار حق الله تعالى وحده في العبادة كفر
من كفر من أهل الكتاب والمشركين، وكفر اليهود والنصارى باعتقادهم تعدد المستحق
للعادة، فجعل النصارى الرب مركباً من ثلاث، وجعل اليهود عزيز ابن الله، مع
كفرهم جميعاً برسالة محمد ﷺ، وكفر الوثنيون باعتقادهم عدداً من الآلهة تعد
وتقرب إلى الله، ولذا قالوا: ﴿مَا نَسُدُّهُمْ إِلَّا بِقُرْبُونَا إِنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ﴾ [الزمر ٣]

لذا كان إرسال الرسل قاطبة يقوم على الدعوة إلى عبادة الله وحده، وحطاب
القرآن في التوحيد كلها متوجهة إلى تحقيق ذلك وتخصيصه، قال تعالى ﴿تَبَتَّهَا

(١) انظر جامع العلوم والحكم ص ٢٨٨

(٢) انظر شرح الفصلة الطحاوية ص ٧٦، ٨٧

النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لمعاد: «هَلْ تَذَرِي مَا حَقَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقَّ الْعِبَادُ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»^(١)

توحيد الربوبية

وهذا أيضًا اصطلاح في الاستعمال، ولا مشاحة في الاصطلاح، ومعناه الاعتقاد بأن الله تعالى وحده خالق كل شيء، ومليكه ومدبره، لا رب سواه لا يُرحى إلا معه، ولا يُخشى إلا صرّه، فهو الخالق البارق، النصار السافع المعيش، الذي بيده الأمر كله، ما من حركة ولا سكون في الأرض ولا في السماء إلا يدهه وشوب التوحيد بهذا المعنى لله تعالى لا يختلف عليه أهل الإسلام من صرح منهم بهذا التقسيم ومن لم يصرح، وهو توحيد قطري، قد يقر به حتى من لا بعد الله تعالى من اليهود والنصارى والمشركيين فإن المشاهد في الواحد منهم ليوم إذا عجز عن أمر، واستعمل كل حيلة عنده في تحصيله، كشاء مريض مثلاً أو دفع صر، ولم يطلع أن يفوض الأمر إلى الله، ويتبرأ من حوله وقدرته، ومصدق ذلك من القرآن إخبار الله تعالى عن المشركيين ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [القصص: ٢٥]، وفي آية أخرى ﴿لِيَقُولُنَّ سَمِعْنَا أَلْعَزِيزُ أَفْعَسَمَ﴾ [الرعد: ٩]، وقوله تعالى ﴿وَرَدَّ مِنَ النَّاسِ مَن دَعَا رَبَّهُمْ مُبِيحِينَ لِلْأَسْوَاحِ إِذَا فَهَرِمَتْ رَحْمَةً إِذْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَرْفَعُونَ بُشْرًا﴾ [الروم: ٢٣]، ﴿فَإِذَا دَعَا إِلَى الْفُلْكِ دَعَا إِلَى اللَّهِ تَحْبِصِينَ﴾ [المعكوت: ٦٥]، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبْرَتٌ فِي الْخَرِ صَدَّ مَنْ دَعَا إِلَى الْإِسْرَاءِ﴾ [الأنبياء: ٦٧]

وهذا الاعتقاد بربوبية الله تعالى، وهيمته على مقائيد السموات والأرض، لا يقع صاحبه إلا إذا انصم إليه اعتقاد أنه المستحق وحده لعبادة، وإفراده بها دون سواه، مع كمال لخصوع والإدعان والتذلل فإن أشد الناس كبراً، وهو فرعون الذي قال ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، كان يقر بقدرة الله تعالى وتدبيره لأمر السموات والأرض، كما أحر الله تعالى عنه ﴿لَقَدْ عَهِتَ مَا أَرَبُ

(١) البخاري حديث رقم ٥٩٦٧

هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ تَصَابِرَ ﴿[الإسراء ١٠٢]﴾، وقال الله تعالى عنه هو وحده ﴿وَعَمَدُوا بِهَا وَمَتَّبَعْتَهُ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُتُوًّا﴾ [المل ١٤]

ولا يبرم من الإقرار بأن الله هو الخالق البارئ، وأنه هو السافع الصار، لا يبرم منه حصول الإيمان الذي لا يصح إلا بالاعتراف بأن الله وحده المستحق لعبادة، لكن يلزم من الإذعان لله والخصوع له، وأنه وحده المستحق لعبادة يبرم منه الإقرار بأنه الخالق البارئ، وأنه واحد لا شريك له، فإن الإله الحق المستحق لعبادة لا بد أن يكون حلقاً، بذكره موحداً متصفاً بكل كمال، وهذا ما جعل كتب العقيدة عند المتقدمين في الغالب لا تتعرض لهذا التقسيم، وتقتصر على بيان ما يجب اعتقده، وما يجب الإيمان به على ذكر توحيد الله وإفراده بالعبادة، لأنه مستلزم لتوحيده وإفراده بالحق ولردف ولسمع والصر وقل منها من يفصل ويذكر التقسيم صراحة، وإن ذكر المصنوع، ومن القدامى الذين ذكروا هذا التقسيم ونصوا عليه صراحة القرطبي المعسر، فذكره وسه إلى علماء المالكية، قال في (الجامع لأحكام القرآن) «وعمد أن عمدهم عليه السلام قالوا الشوك على ثلاثة أصرب، وكله محرم وأصله اعتقاد شريك له في ألوهيته، وهو لشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، وهو المراد بقوله تعالى ﴿وَمَنْ لَّهُ لَا شَرِيكَ إِلَّا بِمَا يَشَاءُ﴾»، ويليه اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من قال «إن موحوداً غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده، وإن لم يتعقد كونه إلهاً»^(١) وفصل هذا التعصیل أيضاً الشنيطی فی (أصواء الیاس) فقال «قد استقرأ القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام الأول توحيدیه فی ربوبیته . . . الثاني توحيدیه جلا وعلا فی عبادته . النوع الثالث توحيدیه حل وعلا فی أسمائه وصفاته»^(٢)

وقد وردت إشارات إلى هذا التقسيم عند غير من ذكر ولما كان توحيد الله بالعبادة وإفراده بها مستلزماً لإفراده بأنه الرب الخالق القادر المدبر، كان لطلب في آيات القرآن مصفاً على الأمر بالعبادة وإفراده به، فهو المقصود الأول من خلق الخلق وبعثة الرسل، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾

(١) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ١٨١/٥

(٢) أصواء الیاس ١٧/٣

لَا يَسْتَدِينُ ﴿الدَّارِيَاتِ ٥٦﴾، وقال تعالى ﴿بَنَاتِهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ إِلَٰهِي حَقِّكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [القرة: ٢١]، وكثيراً ما يذكر القرآن توحيد الربوبية برهاناً على استحقاقه سبحانه العبادة، تبييناً للعافيين، وحجة على المعبدلين، قال تعالى ﴿فَمَنْ حَبِطَ كَسْرٌ لَا يَحْمِلُ أَثَرًا فَدَكَّرُوا﴾ [الشعل: ١٧]، ﴿بَنَاتِهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ إِلَٰهِي حَقِّكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [القرة: ٢١]، ﴿عَلَّ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَعَلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَكِّرْ اللَّهُ رَبُّكُمْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يوس: ٣١، ٣٢] أي المسحق وحده للعبادة

وحدة الذات ووحدة الصفات

يجب لإيمان بأن الله تعالى واحد في ذاته، بمعنى أنه لا شريك له، وأنه لا مثيل له ولا شبه، قال الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وقال تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]

ويجب لإيمان كذلك بأن الله تعالى واحد مفرد في صفته، ومعنى وحدة الصفت أن له تعالى لا يشبهه أحد من خلقه في صفة من صفاته ﴿تَبَسَّرْ كَيْفِيَّةَ شَيْءٍ وَهُوَ أَسْمِعُ أَنْصُرُ﴾ [التورى: ١١] جل وعلا، متصف بكل صفت الكم، ومرة عن كل صفات النقصان، وكل ما حطر بآلك فإنه لا خلاف ذلك، وما أطلقه الشرع في بصوص القرآن والسنة على الحائلي والمحقوق من نصفت، فلا تشابه بينها لئلا تشابه مثلاً بين صفة العلم والحياة، والسمع والنصر، التي يتصف بها لله تعالى ويتصف بها المخلوق، فعلم المخلوق متجدد حادث، محدود بالزمان والمكان، مسوق بجهل، ويتصف بالنقص والعجز، وعدم الله تعالى كامل، شامل للكمليات والجرييات، أرلبي، لا يحده زمان ولا مكان، تكشف به جميع الأشياء في وقت واحد اكشافاً كاملاً، لا يسفه جهل، ولا يحفه نقص، لا يعرف عن ذلك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يعلم الحواطر، وحفيات السرائر والوايا والصمانر، ويعلم السر وأخفى، قال تعالى ﴿وَعَسَدُ نَفَائِحِ الْمَيِّتِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَعَسَدُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ دَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا

خَلَقَ فِي مَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَكْبَ وَلَا يَكِينُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام ٥٩]، ولما وافق بين علم الله وعلم المخلوقين إما هو في اللفظ فقط، وهكذا في سائر الصفات ووصف له تعالى على نوعين صفات الذات، وصفات الفعل ووصف الذات، كوصفه سبحانه أنه إله، عزيز، مجيد، جليل، عظيم، عسي، حميد، ملك، حيار، متكبر، سميع، بصير، إلى آخر أسمائه الحسنى وصفات الفعل ثابتة لله تعالى لذاته أولاً بصفة القدرة، التي يفعل بها ما شاء ويختار^(١)، كالإحياء والإماتة والخلق والبرق

أ. صفة الذات

وهي صفة أولية، يستحقها الاري سبحانه لذاته، واجبة له، ثم يراد ولا يراد متصفاً بها وأسماء الله الحسنى تشمل على هذه الصفات، فيُتَّصف تعالى بالحياة والسمع والبصر، والقدرة، والإرادة، والعلم والبقاء، والوحدانية، والقيومية، والعسى، ولعظمة، والكبرياء، والعزة، والجبروت، والجلال، إلى آخر الأسماء الحسنى ولعليم معناه أنه متصف بالعلم، والسميع معناه أنه متصف بالسمع، وهكذا في باقي الأسماء، فهي أسماء وصفات هي ان واحد، سماها القرآن أسماء، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف ١٨٠]، وسماها النبي ﷺ بذلك، فقد كما ثبت عنه في الصحيح «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ تِسْمِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢)

ومن صفات ذات ما ثبت وحده لله تعالى بالنقل والعقل، كالصفات المتقدمة من القدرة والإرادة، والسمع والبصر، ومنها ما ثبت وجوبه لله تعالى بالنقل والعبر، دون لعقل، وهي

الصفات الخيرية

والمراد بالصفات الخيرية ما ورد مصافاً إلى الله تعالى في الكتاب أو السنة من اللوحه، ولید، ولقدّم، ونحو ذلك. وسميت صفات خيرية لثبوتها بالحبر والسمع،

(١) انظر الأسماء والصفات ص ١٧٦، وفتح الباري ١٧ / ١٥٢

(٢) البخاري حديث رقم ٢٧٣٦

لا بالعقل، وهي صفات أولية، واجبة لله تعالى، لم يزل ولا يزال متصفاً بها، قال تعالى ﴿وَسَمَىٰ وَهَهُ رَبِّكَ دُوَ اللَّيْلِ وَالْأَكْرَابِ﴾ [الرحمن ٢٧]، وقال تعالى ﴿سُبُّهُ فَوَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح ١٠]، وقال تعالى ﴿لَا يَدَاهُ مَسْطُورَتَا يُؤَيُّ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة ٦٤]، وقال تعالى ﴿خَرَىٰ نَاعِدَ﴾ [القمر ١٤]، وقال تعالى ﴿وَأَسْمَوَاتٍ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر ٦٧]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ في صفة جهنم أعدد الله منها **لَا تَزَالُ حَتَّمُ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّة -تبارك وتعالى- قَدَمَهُ، **تَقُولُ قَطَّ قَطَّ وَعِزَّتِكَ**، وَيُزَوِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ^(١)، وفي الصحيح **إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**^(٢)

وقد سمي المسأخرون ما ذكر بالصفات الخيرية ولم يرد نه عمن قديمهم من الصحابة والداعين وللمتقدمين تسمية، بل كانوا يُشتمون لله تعالى ما أثبتته لنفسه منها، دون أن يقولوا عنها به صفت^(٣)

فيجب الاعتقاد بأن الله تعالى متصف بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول الله ﷺ، من الوحه واليد والقدم وغيره مما ورد به النص، عني لوحه الذي أراده الله تعالى دون تأويل ولا تكييف، ولا توصيف، وهو معني قول أهل العلم من السلف للمقدمين، **«أَمَرُواهَا كَمَا حَاءَتْ»**، مع الجرم سفي المماثلة والمشابهة، وأن صفات لله تعالى ليس حوارج كصفات المخلوقين

وذلك لأن لكلام عن الصفات فرع الكلام عن الذات، وذات الله لا تُترك، فكذلك صفاته، إثباتها إثبات وجود لا إثبات كيفية قال أبو عمر بن عبد البر **«أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحمدها عني لحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكفون شيئاً من ذلك، ولا يحدثون فيه صفة محصورة، وأما أهل المدع والجهمية والمعتزلة كذبها، والحوارج فكذبهم ينكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويرغمون أن من أقر بها مشته والحق**

(١) مسلم حديث رقم ٢٨٤٨

(٢) سنن سريدي حديث رقم ٢١٤٠

(٣) نظر لامة لأشعري من ٤٠

فيما قاله لقائلون بما نطو به كتاب الله وستة رسوله، وهم أئمة الجماعة، والحمد لله^(١)

وزوى بن عبد البر عن الوليد بن مسلم، قال سألت الأوراعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي جاءت في تصديقات، فقالوا أمرؤها كما جاءت بلا كيف^(٢)

ب صفات الفعل

وهي صفة أرلية، واحدة لله تعالى لذاته، متعلقة بإرادته وقدرته، يفعل بها ما يشاء ويحدر، كالحلق والإحياء والإماتة، والرزق، والعفو، والرحمة، والعقوبة، قال تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص ٦٨]، وقال تعالى ﴿فَمَالًا لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج ١٦]، ومن هذه الصفات ما ثبت وجوده لله تعالى ما لم يحصر والعقل معاً، كالحي والإحياء والإماتة، ومنها ما ثبت وجوده ما لم يحصر دون العقل، كالرول والمحجى، ولعصب والرصا

وما ورد من هذه الصفات في الكتاب أو السنة، كالعجيء والرول والصحت، والعجب، ولعصب، والرصا، والاستحياء، يجب إثباته لله تعالى كما ورد، دون توصيف ولا تكيف ولا تأويل، ومن تحير وقال كيف يرول رب أو كيف يعصب رب؟ بقا له كيف هو سميع؟ وكيف هو بصير؟ وكيف هو حي عليم؟ وكيف هو نفسه؟ فكما أنه سبحانه لا تدركه العقول، فكذلك صفاته، فإن الصفة فرع الموصوف ومما ورد في لقن من هذه الصفات قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه ٥]، ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا﴾ [الصحر ٢٢]

وحاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يُنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(٣)

كأن مالك رحمه الله تعالى إذا ذكر عده من بدوع أحاديث التصديقات أكثر أن

(١) التمهيد ٧/ ١٤٥

(٢) التمهيد ٧/ ١٤٩

(٣) البخاري مع فتح الباري ٣/ ٢٧٢، وانظر الإمامه ص ١١

يقول قال عمر بن عبد العزيز . «من رسول الله ﷺ وولاية الأمر بعده مسأ، الأحد بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد من حق الله تعالى تغييرها، ولا النظر في شيء حالفها، من اهتدى فهو مهتد، ومن استصر بها فهو منصور، ومن حالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»^(١) ومقصود مالك من هذا أنه يجب الاقضاء في باب الصفات بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه

والمسلم عليه أن يعتقد ثبوت هذه الصفات لله تعالى كما وردت، دون كيف ولا وصف، روى يحيى بن يحيى التيمي قال «جاء رجل إلى مالك فقال يا أبا عبد الله، الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟، قال - فما رأيت مالكاً وحده من شيء كموحذته من مقالته، وعلاء الرُحضاء، وأطرق القوم، فسُرِّي عن مالك، وقد لكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأخرج»^(٢)

وقيل مثل هذا القول عن ربيعة بن عبد الرحمن والسفياني وقول مالك هذا قاعدة في فهم جميع صفات الناري أحد به أهل العلم واستشهدوا به وأقروه، ولم يعرض عليه أحد، لصحته ومطابقته لما كان عليه الصحابة والتابعون، وهو يعني أن جميع الصفات الثابتة له يجب الإيمان بها حقيقة على ما جاءت، دون بحث عن كيفيةها في حق الله تعالى، مع النهي عن الحوص فيها»^(٣)

قال ابن عبد البر «علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ هو على العرش، وعنده في كل مكان، وما حالهم في ذلك أحد يُحتج بقوله»^(٤)

وسب أبو الحسن الأشعري في الإمامة القول بخلاف ذلك إلى الجهمية والمعتزلة، فقال «ورغم المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله ﷻ في كل مكان، فربهم أنه

(١) مجموع الفتاوى ٤٠/٥

(٢) التمهيد ١٣٨/٧، وهو ثابت عن مالك من طرق صحيحة

(٣) انظر المغلة السلف في كلام رب البرية ص ٧٤

(٤) التمهيد ١٣٩/٧، ٢٢/٨٠

ظن مريم، وفي الحشوش والأحلية، وهذا خلاف الدين، تعالئ الله عن قولهم^(١) وأمسد اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني، قال «اتفق الفقهاء كدهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الأنبياء عن رسول الله ﷺ في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسّر شيئاً منها وقال يقولونهم، فقد حوج عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وفارق الجماعة؛ لأنه وصف الرب بصفة لا شيء^(٢) وكان الأئمة من أهل السنة يقولون في أحاديث الرسول وما شابهها «أمروها كما جاءت»، ويقولون «يؤمن بها بلا كيف وبلا تشبيه ولا تعطيل»، والشافعي يقول «أمت بالله وما جاء عن الله عن مراد الله، وأمت برسول الله، وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ»^(٣)

قال ابن عبد لير «كلهم يقول ينزل ويتجلى ويحيى بلا كيف، لا يقولون كيف يحيى؟ وكيف يتجلى؟ وكيف يزل؟ لأنه ليس كشيء من حقيقته»^(٤)

وإثبات ما ذكر من الصفات على الوحي السابق هو أصل الأقوال، فإن فيه إثبات ما أثبتته الكتب والسنة، ولكن لا يتعمق في التوصيف، لأن التعمق يؤدي إلى التشبيه ودون تأويل، فإن التأويل يؤدي إلى النقي والتعطيل، وحير الأحوال ما كان عليه الأول، ما لث وأصراره. قبل الاشتغال بالرد على المشبهين والمعطيلين، كانوا لا يحسون الكلام فيما سكنت عنه النبي ﷺ وأصحابه، ويقولون عن الصفات أمروها كما جاءت، ويقولون تفسيرها قراءتها، وكان كلامهم فيها معدوداً بالحروف، فمن راد كلمة لاموه عليها حتى لو كانت صوتاً، وقالوا له هي وإن كانت صحيحة، فلا أولى تركها، لأن لسف لم يتكلموا بها

قال القصي عبد الوهاب العدادي المالكي عند شرحه عبادة ابن أبي ريد في (الرسالة) «وأنه فوق عرشه بذاته»، «وعلى العرش استوى»، قال «العبادة الأخيرة أحب إلي من الأولى لأن قوله على العرش هو الذي ورد به النص، ولم يرد النص

(١) الآية من ٢٧

(٢) فتح الباري ٣٦٥/١٥

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥٤/٦

(٤) المنهاج ١٥٣/٧

يدكر (فوق)، وإن كان المعنى واحداً إلا أن ما طائر النص أوئى بأن يستعمل^(١)
وقال الذهبي تعليقاً على العبارة نفسها «وقد تلمظ بالعبارة المذكورة جماعة من
العلماء كما قدمناه، وبلا ريب إن فصول الكلام، تركه من حسن الإسلام»، إلى
أن قال «وقد تقموا عليه في قوله بذاته، فليته تركها»^(٢)

الكف عن الخوض في الصفات

الإيمان بهذه الصفات كما جاءت، على مراد الله منها كما يقول الشافعي رحمه الله،
يقضي أن يقف لمسلم حيث وقف به النص، ويستعمل ألفاظ النص ذاتها، دون تعمق
ولا تحديد ولا تمثيل، فلا يكتفيها ولا يتكلف فيها، ولذا استعاض عن الأئمة قولهم
أمروها كما جاءت، أمروها بلا كيف، وكانوا يقولون معاًها قراءتها قال سعيد بن
عيسى كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والمكوت عنه^(٣)، أي
واحب أن تؤمن به، ولا تتوهم ولا تقول. كيف، ومعنى هذا أنهم يؤمنون بها كما
جاءت ولا يحون لسؤال عنها، ولا الجدل فيها، على خلاف ما شاع اليوم بين كثير
من أهل العلم وغيرهم.

سئل الإمام مالك عن أهل البدع، قال «أهل البدع الذين يكتمون في أسماء الله
تعالى وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يكفون عما سكت عنه الصحابة
والتابعون»^(٤). وقال للسان عن الاستواء «الإقرار به واجب والسؤال عنه بدعة»
وروى البيهقي بسنده قال «كان سفيان الثوري وشعبة والحماذان وشريك لا يحدثون،
ولا يشهون، ولا يمثلون، يروون الحديث ولا يقولون كيف، وإذا سئروا أحسوا
بالأثر»^(٥)، ومن راد على ذلك فلي بأمر الرب

قال ابن عبد البر «الكلام في صفات الناري يستشعها أهل السنة، وقد مكثت عنه
الأئمة، فما أشكل علينا من مثل هذا الباب شهة أمرنا كما جاء، وأما به كما يصح

(١) شرح معاني عدة نزهات ورقة ١٣

(٢) مختصر معاد من ٢٥٦

(٣) مطر فتح ساري ١٥ ٣٦٥

(٤) الآداب الشرعية ١/٢١٠

(٥) المسالك الكبرى ٣/٣

بمشابه القرون، ولم ساطر عليه، لأن الماظرة إما تسوع وتجور فيما تحته عمل، ويصححه قياس، والقياس غير حائر في صفات الناري تعالى^(١)، وقال كان ذلك يقول: «أدرك أهل هذا البلد ويعنى المدينة وهم يكرهون الماظرة والجدال إلا فيما تحته عمل قال يريد مالك بفتح الأحكام في الصلاة والركعة والطهارة، ولا يجوز عنه الجدال فيما تعتقده الأئمة، مما لا عمل تحته أكثر من الاعتقاد»^(٢)

دفع شبهة المؤولين

في قيل في إثبات هذه الصفات، من المحيى والنور، والاستواء، والنوح، وايدى والقدم، إلى آخر ما ورد، إثبات التشبيه، فلم التأويل حتى لا يشبه الله ﷻ سبحانه، كما فعلت المشبهة والمجسمة يقال هذا الإبراد لازم أيضًا في صفة الحياة والسمع والبصر، والعلم والقدرة والإرادة إلح، فالتعقل لا يدرك الحياة والسمع والبصر والإرادة إلا هذه الأعراس والحواس التي يتصف بها المحبوق، فهل إرادة الله وحيدته وسمعه وبصره هي كحياة وسمع وبصر خلقه؟ لا شك أنها ليست كذلك، وأنها حياة تليق به ليست كحياتنا، وسمع يليق به ليس كسمعنا، وعدم يليق به ليس كعدمنا، فكذلك الاستواء والنور والقرب والوجه واليد، هي أيضًا يقال عنها استواء يليق به، ونور يليق به، ووجه يليق به، والله ﷻ ليس كمنه شيء، لا يحاح إلى شيء البتة، لا إلى العرش ولا إلى غيره، كان وليس قبله شيء، وكان عرشه على الماء، وكان قبل العرش

فما لم تؤول تلك الصفات، وهي السمع والبصر إلح، لم تؤول هذه، لأن تأويل الصفت معناه أن حقيقتها غير ثابتة لله تعالى ولا مراده، وذلك يستلزم فيها ثم إن لصفات سوعيتها ما أوله منها المؤولون وما لم يؤولوه، ثمة ثبوت واحدًا، بالكتاب والسنة، فمن أثبت بعضها بلا تأويل ولم يقل بعضها إلا سؤول، كان كمن يأخذ بعض الكتاب ويرد بعضه

ولو لدفعه لجرمين أبي محمد الجويني رسالة نافعة في هذا المعنى، ذكر فيها تحييره ردي لأمر في مسألة الصفات، ومسألة العلو، ثم كيف شرح الله صدره لما ذهب

(١) المنهيد ١٩/٢٣١

(٢) المنهيد ١٩/٢٣٢

إليه أئمة السلف، وصغر ذلك رذ الشبه الواردة على القلب بما فيه مقع لكل ذي ب^(١)

ما ورد فيه من الصفات تأويل عن السلف

حمل اللفظ على غير المتبادر منه قد يتعين في بعض نصوص الوحي، لتصحيح الكلام شرعاً، أو لتعذر حمله على ظاهره، حتى لا يتناقض الكلام عقلاً، وسواء سميت صرف الكلام عن هذا المعنى المتبادر تأويلاً أم لم نسمه، فلا مشاحة في الاصطلاحات، ما دام التفسير يعبر المتبادر متعين

ومن لدس من يهر من استعمال كلمة التأويل في هذه المواضع، حتى لا يقال له لم قلب لتأويل في بعض النصوص وأكثر على القائلين به في بعض آخر؟ والجواب عن هذا الاعتراض لا يكون بوضع كلمة بدل أخرى، والمؤدّي واحد، فذلك يعود بالإصعاف على المسألة في إنكار التأويل برمتها، ولكن الجواب أن يقال ليس في رب صفات الله ﷻ من قياس، فما فهمه أهل القرون الأولى من النصوص في رب الصفات، وقبلوه على ظاهره من غير تأويل، قلناه، وما أولوه أولاه، فإن ذلك هو الحق والصواب إن شاء الله

ومما نقل عنهم فيه تأويل، قول الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد ٤]، قال القرطبي «وقد جمع في هذه الآية بين ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، و﴿هُوَ مَعَكُمْ﴾، والأخذ بظاهره تناقض، فدل على أنه لا بد من التأويل، والإعراف عن التأويل اعتراف بالتناقض»، فمعنى ﴿هُوَ مَعَكُمْ﴾ أي يعلمه^(٢)

وفي مجموع لغتناوي^(٣) «أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ومعناه ذلك في القرآن أن ذلك عنده»، فأحرر سبحانه أنه مع علوه على عرشه يعلم كل شيء، فلا يمتعه عبوه عن العلم بجميع الأشياء»، وقال في معنى قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [لقصص ٢٨]

(١) مختصر المنبر ص ٢٦

(٢) إعراف تفسير قرطبي ١٦ ٢٣٧

(٣) ٥١٩ ٥

«أَلْ كُلُّ شَيْءٍ هَذَا إِلَّا مَا كَانَ لَوْحِهِ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَعْمَالِ وَغَيْرِهَا»^(١)
 ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرْبُّ إِلَهِ بِكُمْ﴾ [الواقعة ٨٥]، ﴿وَمَنْ أَرْبُّ إِلَهِ مِنْ حَيْثُ
 تَوَرَّيْتُ﴾ [سورة ق ١٦]، قال في مجموع الفتاوى: «أي بملأنكسا في الأسير»^٢
 وكفوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي حَيْثُ اللَّهُ﴾ [الرمر ٥٦]، فإن المراد به في
 استعمالهم الشائع: في حق الله، وكذا قوله: ﴿عَلَفَ اللَّهُ تَيْسَهُمْ مِنْ الْقَوَاعِدِ﴾
 [الحل ٢٦] معناه: حارب الله سيابهم، وقوله: ﴿إِنَّمَا طَعَنُكَ يُوبَةُ اللَّهِ﴾ [الإنسان ٩] معناه
 لأجل الله، وقس على ذلك^(٣)

ومنه الحديث: «إني أحد نفس الرحمن من قبل اليم»^(٤)، فإن معناه تفتيس
 الله عن المؤمنين كبريتهم يكون من أهل اليم، قال في مجموع الفتاوى^(٥): هم الذين
 قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فهم نفس الله عن المؤمنين الكبريت
 ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَكُمْ﴾ [التوبة ٤٠]، فإن معناه بصره وتأيد
 وحفظه، وفي الحديث القدسي: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ
 تَعُدْنِي قَالَ يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي
 فُلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟»^(٦) إلخ، فإن
 معناه مرض لمؤمن، واستطعام الجائع، كما جاء مفسراً في الحديث نفسه

صفة الكلام

من الصفات لواحة لله تعالى صفة الكلام، وهي صفة أربية واحدة لله تعالى
 لذاته، يتصف بها ﷻ على ما يليق به، فيتكلم بما يشاء، كيف يشاء، متى شاء، وإسا
 يصدق بكلامه وتؤمن به، ولا نعرف كيف هو كسائر الصفات الأخرى، مع العزم
 بعدم مشابته للكلام المخلوقين

(١) ٤٢٧/٢

(٢) ٥٠٢ ٥

(٣) انظر فتح اناري ١٥٣/١٧، ١٦٠، والنهيد ١٣٨/٧

(٤) مسند الشاميين ١٤٩/٢

(٥) ٣٩٨ ٦

(٦) مسند حديث رقم ٢٥٦٩

وقد كلم له ﷺ ملائكته، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [الفرقة: ٣٠]، وكلم بعض رسله، قال تعالى ﴿فَلَمَّا كُرِّسَ لَكُمْ مِنْهُمْ نَبِيُّهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [النساء: ١٥٤]، وكلم الله تعالى موسى ﷺ، قال تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وكلم سيد محمد ﷺ ربه ليلة المعراج، ففي الصحيح من حديث المعراج، قال ﷺ «فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي، فحط علي خمسا»، وقال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَتَ اللَّهِ فَيَنفَعُوا بِلَاغِهِ لِقَوْمٍ يُفْسِدُونَ﴾ [التفاح: ١٠]، وقال تعالى ﴿ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ بِمَا تَعَدَّوْا عَقْلَهُمْ وَهُمْ يَتُنَبَّوْنَ﴾ [الفرقة: ٧٥]، ويكلم الله تعالى عباده يوم القيامة في المحشر، مؤمنهم وكافرينهم ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [التقصير: ٦٥]

وفي الصحيح «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يخجبه»^(١)، ويكلم الماري أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، فإنه يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون ليك ربا وسعديك، فيقول هل ربيتم فيقولون وما لنا لا نربي، وقد أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك؟ فيقول أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول «أحل عيشكم رضوى فلا أسخط عليكم بعده أبدا»^(٢)

وقد ﷺ لحار «ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وأخيا أبناك فكلمه كماخا، فقال يا عبدي، تمن علي أعطك. قال يا رب، تخيبي فأقتل فيك ثانية قال الرب ﷻ إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال وأنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾»^(٣)

ويقول ﷺ لأهل النار «اعتنوا فيما ولا تكلمون» [الموسى: ١٠٨]، وكلم الله تعالى لا تعد ولا بهابة لها ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْعَرُّ مَدًّا لَكُنَّ بِرُؤْيَيْ رَبِّ لَعَرَّ قَلَّ أَلْ سَعْدُ كُنْتُ رَبِّي وَلَوْ جِثَا يَبْثُلُهُ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]

وصف الجهمية والمعتزلة صفة الكلام، كما تمت سائر الصفات الأخرى، وأبكر

(١) صحاحي حديث رقم ٧٤٤٣

(٢) صحاحي حديث رقم ٦٥٤٩

(٣) مسر سمريني حديث رقم ٣٠١٠

المعد بن درهم أن يكون الله تعالى كلم موسى، فقتله حائذ بن عبد الله القسري يوم الأضحى بعد لحظة، وقال «أيها الناس ارجعوا فصحاء، تقبل الله منكم، فإني مضج بالجد بن درهم، فبه رعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم حليلاً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً»، ثم برل إليه وذبحه في أصل المسر^(١)

الكلمات التشريعية والكلمات الكونية

تسوع كلمات لله تعالى إلى نوعين كلمات تشريعية، وكلمات كويية فكلماته التشريعية كنه لمرلة، وهى القرآن، والتوراة، والإنجيل، والربور، وصحف إبراهيم، وصحف موسى عليه السلام وكلماته الكويية هى التى يحق بها الحق، ويقدر بها المقادير، ويقول للشئ كن فيكون والكلمات التشريعية هى الأوامر والنواهي، من أطاع الله تعالى عمل بها، ومن عصاه حالفها وتركها فاطمطع إذا قيل له صلّ وأب الركة صلى وركى، والعاصى إذا قيل له صلّ لا يصلى والكلمات الكويية لا يقدر أحد أن يحرّج عنها، الجميع يحصع لها قهراً، فمن قصى أنه عليه بأمر من مرضى أو موت، أو فقر أو غنى، أو هلاك مال، أو ولد أصابه، مطبعاً كان أو عاصياً، قال تعالى ﴿يَمَّا أَمْرَةٌ إِذَا رَآدُ شَتَّىٰ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس ٨٢]، وقال تعالى ﴿لَا عَاصِيَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ﴾ [مؤد ٤٣]

القرآن كلام الله

لم يكن لمسلمون في الصدر الأول قبل ظهور البدع يريدون عن قولهم القرآن كلام الله، فلا يقولون مخلوق، ولا غير مخلوق، شأن القرآن شأن سائر الصفات الأخرى لوحة لله تعالى، كالسمع والبصر، والقدرة والحياة، فيهم لا يقولون عنها مخلوقة ولا غير مخلوقة، فكذلك القرآن الذي هو كلامه، لا يقولون عنه مخلوق ولا غير مخلوق، حتى ظهرت بدعة المعتزلة بحلق القرآن، فحسب الدس إلى فيها يقولهم القرآن كلام الله غير مخلوق

(١٦) حمز لأشعرية بعد أي نحو لأشعري صفة الكلام لأنه تسمى تنطق على الكلام النسي، وسماء النسي
 حو حو حو في نفس وهاو. هذه هي الصفة الأولى أما النص بالصوت فهو تسمى عن الكلام النسي، لذا هم
 يرون أن حروف حو حو حو في النص هي عبارة عن كلام نسي، وهي محو، وقد قال بالكلام النسي
 ابن كلاًب، وأحله عنه الأشاعر الشريعة ص ١٩٧

سئل جعفر الصادق الإمام عن القرآن مخلوق هو؟ فأجاب «ليس بحال ولا محبوق، ولكنه كلام الله»^(١). وكان مالك يقول «كلم الله موسى عليه السلام»، والقرآن كلام الله، ويستطيع قول من يقول القرآن مخلوق ويقول «من قال القرآن محبوق يوحى ضرراً ويجس حتى يموت»^(٢).

ويكفي في صحة إيمان المسلم أن يقول القرآن كلام الله، ولا يحوصل فيه، وهو الذي كان عليه أصحاب الرسول ﷺ والتابعون، فيسكت عما سكتوا عنه من الصحة ما تروا، وما حاصوا في القرآن ولا في الصفات، «ومن رأى أن طريقة المسكنين أحود من طريق أبي بكر وعمر فليس الاعتقاد»^(٣).

قال عمرو بن دينار «أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم مد سبعين سنة يقولون الله لخالق، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه حرج وإليه يعود»^(٤) ومثل هذا القول مروي عن السقيابيين وغيرهما من الأئمة، ومعنى وإليه يعود، أن القرآن يُسرى عليه ليلاً فيرفع الله إليه، ويتزعمه من صدور الحفاظ، وأوراق المصاحف، فيصحبون ليس في الأرض ولا في جوف مسلم من شيء، قال تعالى ﴿وَلَيْسَ شَيْءٌ سَدَّ بَيْنَ يَدَيْكَ أَوْحَايَ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تُجِدُ اللَّهَ يَدُ عَسَا وَجَلًّا﴾^(٥).

روى بن عبد البر بسنده إلى سليم بن منصور بن عمار، قال كتب بشر المرسى إلى أبي أنيس عن القرآن أخالق هو أم مخلوق؟ فكتب إليه أبي «سم الله الرحمن الرحيم، عدد له وإياك من كل فتنة، وجعلنا وإياك من أهله، ومن لا يرغب بدسه عن الجماعة، فإنه إن يفعل فأولئ بها وجمعة، وإلا يفعل فهي الهنكة، وليس لأحد على الله بعد لمرسلين حجة، ومن يرى أن الكلام في القرآن بدعة، تشارك فيها السائل والمجيب، تعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، ولا أعلم خالقاً إلا الله، والقرآن كلام الله، فأنته أنت والمحتفون فيه، إلى ما سمعه الله به تكن من المهذبين، ولا تسم القرآن باسم من عندك فتكون من الهالكين، حجت

(١) الشريعة ص ٧٧، والأسماء والصفات ٢٤٤

(٢) الشريعة ٧٩

(٣) من كلام لاس عقل، انظر الاذات الشريعة ١/٢٠٤

(٤) المس اكبرى ١٠/٢٠٥، والشهد ٢٤/١٨٦

(٥) لاسر، يه ٨٦، و نظر مجموع تصاوى ٣/١٧٤ والمصدا السلفه في كلام خير نزيه ص ١٩٦

الله من الدين بحشونه بالعيب وهم من الساعة مشفقون»^(١)

وقد في (لمهيد) في شرح حديث الموطأ «مَنْ نَزَلَ مِنْ لَآ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِكَيْمَاتِ اللَّهِ الدَّمَاتِ مِنْ شَرِّ مَا حَلَى، فَإِنَّهُ لَنْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ»، قال: «في الاستعادة كيمات الله أي دليل على أن كلام الله منه تبارك اسمه وصفة من صفاته، ليس محبوق، لأنه محال أن يستعاد بمخلوق، وعلى هذا جماعة أهل السنة»^(٢) وقال في موضع آخر «لنقرن عندما كلام الله، وصفة من صفاته غير محبوق»^(٣) وقال ابن أبي زيد في (الرسالة) «ومما يجب اعتقاده أن القرآن كلام الله، ليس بمحبوق فيبد، ولا صفة لمحبوق فيبد»^(٤)

قد لاحظ في الفتح. «ومن شدة اللبس في هذه المسألة كثرت نهي السلف عن الحوص فيها، وكتبوا باعتقاد أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يزدوا على ذلك شيئاً، وهو أسلم لأقوال» وقال «والمحفوظ عن جمهور السلف ترك الحوص في ذلك والعمل فيه والاقتصار على القول بأن القرآن كلام الله غير محبوق، ثم اسكوت عما وراء ذلك»^(٥)

فما حرجب المعتزلة سدعة حلى القرآن، وتسمى الأحكام مذهبهم فسوا العبداء به وامحبوهم، ومن لم يقل يخلق القرآن سبحانه وعذوبه، ومن ذلك الوقت صار أهل السنة يطبقون عبارة القرآن كلام الله غير مخلوق، للرد على الجهمية والمعتزلة، الذين يقولون بحسب القرآن، وقد فصل الأشعري رحمه الله تعالى في (الإدلة) الأدلة في وجوه الرد عليهم^(٦)

التفصيل في مقام التعليم

أما في مقام التعليم ورد الشئ، فكانوا يفسلون الكلام بوجوب الإيمان بأن القرآن كنه كلام الله غير مخلوق، مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور، مقروء

(١) الميهدي ٢٣٣/١٩

(٢) الميهدي ١٨٦/٢٤

(٣) الميهدي ٢٣١/١٩

(٤) رسالته ابن أبي زيد ١١٩/١

(٥) فتح الباري ٤٢١/١٥ و ٤٦٧

(٦) الإله ص ٢١ وما بعدها

باللسنة، تكلم الله به وألقاه إلى رسول الله ﷺ بواسطة جبرائيل عليه الصلاة والسلام، وهو الذي بين دفتي المصحف، ويقرؤه الناس بأصواتهم فيما يقرءونه ويحفظونه ويسمعه الناس منهم هو كلام الله، لأن الله تعالى سمى النطق المسموع من القارئ كلام الله، قال تعالى ﴿وَيَنْ أَعْدُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجَرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَتَهُ﴾ [التوبة ٦]، وقال تعالى ﴿لَقَدْ هُمُ مَانِكُمْ يَمَنُ فِي صُورٍ كَذِبٍ أُولَئِكَ كَانُوا فِي سَكِينَةٍ مَّا يُتَحَكَّمُ بِهَا بَعَثَ إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [المكوت ٤٩]

وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ «أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى أَنْ يُسَافَرُ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضٍ الْعَدُوُّ مَحَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ»^(١)، والمراد ما في المصحف وأجمع السبع على أن الذي بين دفتي المصحف كلام الله^(٢)، ولأن الكلام إما يسب لمن ابتداء قوله، لا لمن قرأه وأداه، ويدل عليه إجماع المسلمين على أن القارئ إذا قرأ فاتحة الكتاب، قلوا سمعنا كلام الله، وهرقوا بين أن يقرأ كلام الله تعالى وبين أن يقرأ قصيدة من الشعر، فيقولون في الأول سمعنا كلام الله، وفي الثاني سمعنا قصيدة فلا.

وأما قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة ٤٠]، فالمراد به قول رسول مملع عن الله، ولفظ الرسول واشتقاقه يشعر بذلك، بدليل قوله تعالى في الآية بعد ﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّكَ الْمُبِينِ﴾ [الحاقة ٤٣]

أما فعل اللأوة الذي هو الصوت، فهو صوت القارئ، وهو حادث محذوق، والكلام الذي يقرؤه صاحب الصوت كلام القارئ. لأن الصوت فعل العبد، وأفعال العباد كلها محذوقة، وكذلك المداد المكتوب به القرآن، والنوح والنور، وحده المصحف، كله حادث

رؤية الباري ﷻ

اتفق أهل العلم على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا بقطة بعيبه، فقد سأل موسى ﷺ أن يرى ربه، فقال له ﴿لَنْ تَرَىٰ﴾ وجاء في الصحيح عن النبي ﷺ

(١) مسلم حديث رقم ١٨٦٩

(٢) انظر فتح الباري ١٥/٤٦٧

تَمَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷺ حَتَّى يَمُوتَ^(١) وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في رؤية نبي ﷺ لربه ليلة المعراج رؤية عينية، فجاء في كلام ابن عباس ما يمكن حمله على إثباتها وفيها^(٢)، وفتها عائشة، وهو الصحيح، حتى إن عثمان بن سعيد الدرمي حكى إجماع الصحابة على وفيها، فقد جاء في الصحيح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قُتِبَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا أَمَنَاءُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُتِبَ أَيْبُنَ أَنْبَ مِنْ ثَلَاثٍ مِنْ حَدِّكَهِنَّ فَقَدْ كَذَبَ؟ مِنْ حَدِّكَ أَنْ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ أُنْظَرُ الْخَبِيرُ﴾ وَمَا كَارَ لَشَرِّ أَنْ تُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَجِبًا وَ مِنْ وَدِّي حِمَابٍ ، وَنَكَّهَ رَأَى حَبْرِيلَ ﷺ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ^(٣)، وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ عَنْ عَبْدِ مَسْعُومٍ، قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ^(٤)

ورؤية الدرمي ﷺ في المنام حادثة عند الجمهور، ونحتف الصفة التي يُرى عليها ﷺ في ليله باختلاف صفة الرائي، فمن حاله في الدنيا والاستقامة وطاعة الله ورسوله حسنة، براه على أحسن صورة، كما رآه رسول الله ﷺ، عَنِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ مَعْدٍ الْأَنبِيِّ، وَمِنْ حَالِهِ دُونَ ذَلِكَ رَأَاهُ بِحَسَبِ حَالِهِ، رَوَى مَعْدٌ عَنْ حَبْلٍ حَدَّثَ أَحْسَنَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَطْلُعَ، وَفِيهِ قَوْلُهُ ﷺ قَتَمْتُ فِي صَلَاتِي، فَاسْتَقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ^(٥)

الأسماء الحسنى وإحصاؤها

قال تعالى . ﴿رَفَعْنَا الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الْبَيْنَ لِنُحْدِثَ فِي سَمْعِهِمْ سَبْحَرُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ يُدْعَوُكُمْ إِلَى مَعَاذٍ مَا نَدْعُوهُ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وجاء في الصحيح عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٣١

(٢) مجموع بخاري ٦: ٥٠٦

(٣) بخاري حديث رقم ٤٨٥٥

(٤) مسلم حديث رقم ١٧٨

(٥) سنن أبي داود حديث رقم ٢٢٣٥ و٥٧ - حسن صحيح

لَهُ تِسْمَةٌ وَيُسَمَّى اسْمًا وَائَةً إِلَّا وَاحِدًا مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)

وإحصاؤها عددا وحفظها، مع الاعتناء بمعانيها والتعظيم لها، والعمل بما يقتضيه كل اسم منها، فالحكيم يقتضي تسليم الأمر له - لأن جميع أمره عنى وفو الحكمة، ولقدبر تقتضى قدرته أن تحشى سطوته، لأن كل شيء في منكم، وتحت طوله، ولعليم يجب أن لا يُعصى لا سرا ولا جهرا، لأنه مطع عنى الإحصاء والقنوب، وهكذا

ومن الأسماء ما يستحب للعد أن يقتدي بها، ويتحلى بمعانيها، كترجيم والعفو والكريم، ليؤدي حق العمل بها، وبذلك يحصل الإحصاء العملي مع الإحصاء القولى، الذي هو حفظها والدعاء والتعود بها، وما تقدم هو أرفع مراتب إحصائها، وأدنى مجرد حفظها باللسان، ليشي المسلم على الله بجميعها قال القرطبي «المرحوم من كرم الله تعالى أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء عنى إحدى هذه المراتب، مع صحة الية أن يدخله الله الجنة»^(٢)

ولم يقع في الصحيح سرد هذه الأسماء، وحرَّج الترمذي وغيره الحديث سرد الأسماء التسعة والتسعين، من طريق الوليد بن مسلم، وقال «هذا حديث غريب، حدث به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا يعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة»^(٣)

ورواية الوليد هذه عن شعيب بن أبي حمزة أقرب الطرق إلى الصحة، وعليها اعتماد أكثر العلماء، ولرايح أن سرد هذه الأسماء وتعييها في الحديث ليس من كلام النبي ﷺ، وإنما هو مدرج من جمع بعض الرواة، قال الداودي ثم شب أن النبي ﷺ عين لأسماء المذكورة وقال ابن العربي يحتمل أن تكون الأسماء تكمة لمحدث المرفوع، ويحتمل أن تكون من جمع بعض الرواة، وهو الأظهر عندي^(٤)، وهذا هو الصحيح

(١) البخاري مع فتح الباري ١٧/١٤٨

(٢) انظر فتح الباري ١٧/١٤٨، ١٣/٤٧١، وتفسير القرطبي ٧/٢٢٥

(٣) سنن الترمذي حديث رقم ٢٥٠٧

(٤) انظر فتح الباري ١٣/٤٧١، وعارضة الأحاديث ١٣/٢٤

وقد جمعها غير الترمذي جمعا آخر استخرجه من القرآن وصحيح السنة منهم سفيان
 بن عيينة وإمام أحمد، وعليه جمع الترمذي اعتمد أكثر العلماء وسبقها عنده هو
 الله^(١)، الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس^(٢) السلام^(٣) المؤمن^(٤)
 المهيم^(٥)، العزيز لجنار المنكير الحائق الناري^(٦) المصور^(٧)، العبد القهار الوهاب
 الرزاق الصالح^(٨) العليم

القادر الواسط^(٩) الحافض الرافع^(١٠) المعز المذل السميع النصير الحكم^(١١)
 العبد^(١٢) اللطيف^(١٣) الخبير الحليم العظيم العفور الشكور^(١٤) الغني الكبير
 الحفيظ^(١٥) المقيب^(١٦) الحسيب^(١٧) الجليل الكريم الرقيب^(١٨)

(١) له معناه محمود أي بانه كل شيء أي يمدد كل الخلق . من آله ياله عبد، وإله علي وزيد فعلى بمعنى
 ما دونه أي محمود وألهم أحده ومنه وأنه إله الله كقوله فرع ولاد، واسم الله علم علي إلهه لمحمود
 نحن . وحب وجود المصنف يكن صفات الكتاب . تحرر . سبحانه بهذا الاسم لا يشاركه فيه غيره . فلم
 يسم به غيره كقوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وهذا بخلاف إله، فإنه يطلق علي الإله نحن وعلي ما
 يمد من دونه من الأصنام

(٢) القدوس بمعنى عر اشتبهه، كأنحاجة والافتقار إلى الزوجه والولد وغير ذلك

(٣) السلام الذي سلم من كل عب ويري من كل آفة

(٤) المؤمن الذي أحبر عن نفسه بأنه حق وخلق . وأخر عن عادة المؤمنين بأنهم علي صديق في عبادتهم
 لإسلام

(٥) المهيم الرقيب والحافظ والمطر

(٦) الناري النجاس

(٧) المصور هو الذي خلق خلقه بصور مختلفة

(٨) المعز المذل الذي يرفع من يريده ويهبطه من يريده، والفاتح لكل أبواب نعمته

(٩) اللطيف الواسط أي يوسع الأرض على من يريد ويضيقه على من يريد

(١٠) الرافع الذي يرفع من يشاء من عباده ويد . ويضع من يشاء

(١١) الحكم الحاكم

(١٢) العبد الذي له أن يفعل ما يريد ولا يظلم عنه أحد

(١٣) اللطيف الحكيم بعباده، العالم بسرائر الأمور

(١٤) الشكور الذي يقل السر من الطاعة ويعطي عليه الأجر الكثير مع الشاء علي عباده

(١٥) الحفيظ الذي لا يسي ما علمه، والمراعي لمن أراد حفظه من خلقه

(١٦) المقيب القادر

(١٧) الحسيب الكافي

(١٨) الرقيب الحافظ الذي لا يهيب عنه شيء

المحبب^(١) الواسع^(٢) الحكيم^(٣) الودود^(٤) المعيد^(٥) الساعث^(٦) الشهيد^(٧) الحق^(٨)
الوكيل^(٩) القوي^(١٠) المتين^(١١) الولي^(١٢) الحميد^(١٣)

المحصي^(١٤) المبدي^(١٥) المعيد^(١٦) المحيي المميت الحي القيوم^(١٧) الواحد
المسجد^(١٨) الواحد الصمد^(١٩) القادر المقدر المقدم المؤخر^(٢٠) الأول الآخر^(٢١)
الظاهر^(٢٢) الباطن^(٢٣) الوالي^(٢٤) المتعال^(٢٥) السر^(٢٦) الثواب^(٢٧) المستقم العفو

(١) المحبب الذي يجب المصطر إذا دعاه

(٢) الواسع واسع العلم والعلم والملك

(٣) الحكم الذي يكون عمله في غاية الإتقان والإحكام، ولا تكون أفعاله إلا لحكمه على وجه لئلا

(٤) الودود الذي يجب عبادة المؤمن ويحبه

(٥) المعيد من المسجد وهو الجلال والعظمة والرفعة

(٦) الساعث الذي يبعث عباده بعد الموت

(٧) الشهيد الذي لا يصب عنه شيء

(٨) الحق الموحود حقاً

(٩) الوكيل هو الكافي والقائم على خلقه مما يصلحهم

(١٠) قوي انقادر

(١١) المتين شديد القوة

(١٢) الولي المتحاب

(١٣) الحميد الذي يستحق الحمد

(١٤) المحصي محصط عمله بكل شيء

(١٥) المبدي المبتدع في خلقه على غير مثل من

(١٦) الصمد الذي يبعد المدنى إلى الموت ثم إلى الحياة

(١٧) المؤخر متأخر بنفسه دوى احتياج والمقيم لغيره، والماضي فلا يرول

(١٨) الواحد المسجد المهي القادر

(١٩) الصمد الذي يبدأ إليه في الأمور ويقتصد في الحوائج، ولا يفتر إلى شيء

(٢٠) المقدم المؤخر الذي يمر بالأشياء ماربها فعده من يشاء ويؤخر من يشاء

(٢١) الأول الذي لا أول بوجوده والآخر الذي لا انتهاء لوجوده

(٢٢) الظاهر بالجميع والبراهين الدالة على ربوبه، والظاهر بملكه وعلمه على كل شيء موه

(٢٣) الباطن الذي لا تتوهم له كنه، المطلع على ما خفى وبطن من الأمور

(٢٤) الوالي المالك للأشياء المستولي عليها

(٢٥) المتعالي عمو ذات وقهر، المعز عن صفات الخلق، المخالف للحوادث

(٢٦) البر المحسن إلى خلقه

(٢٧) الثواب الذي يوفى على من يشاء ويقبل ثوبه

الرءوف ماله لملك ذو الجلال والإكرام^(١) المقسط^(٢) الجامع^(٣) العلي المعني
الصانع^(٤) لصدر النافع النور^(٥) الهادي البديع^(٦) الباقي^(٧) الوارث^(٨) الرشيد^(٩)
الصور^(١٠)

أسماء الله توقيفية وليست محصورة في هذا العدد

الصحيح أن أسماء الله تعالى ليست محصورة في هذا العدد التسعة
والسعين^(١١)، بل أسماءه تعالى أكثر من ذلك، وأوصلها ابن العربي إلى مائة
وسنة وأربعين اسمًا، ولكن حُصِرَ هذا العدد التسعة والتسعين بالذكر لأن من أحصاه
دخل الجنة، فإن كثيرًا من أهل العلم على أن الأسماء التي من أحصاه دخل الجنة
ليست أسماء معينة، بل المراد من أحصى تسعة وتسعين منها على سبيل الدلّ دخل
الجنة، ومنهم من يجعلها معينة، وذهب ابن حزم إلى أن أسماء الله الحسنى ليست
إلا تسعة وتسعين اسمًا فقط، والصحيح خلافه

ويدل على عدم حصرها في التسعة والتسعين ما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه
عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ،
ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَا ضَرَفْتُ فِي حُكْمِكَ، عَذْلٌ فِي فِصَالِكَ أَسْأَلُكَ
بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ عَلَنَتْهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أُنْزِلَتْهُ فِي كِتَابِكَ،
أَوْ اسْتَأْذِنَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي،

(١) ذو الجلال والإكرام الذي يستحق الإجلال والشكر، فلا يحسد فضله

(٢) المقسط العادل في حكمه

(٣) الجامع هو الذي يجمع الخلق يوم الحساب أو هو الذي يجمع صفات الممدوح

(٤) صانع هو الذي يصنع المفعول أو يخلق أو يهيئ ويريد ويصير من يريد يصيره

(٥) نور الهدى إلى الحق

(٦) البديع الذي أبدع الخلق على غير مثال سابق

(٧) الباقي الذي لا انتهاء لوجوده

(٨) الوارث الباقي بعد فناء الخلق

(٩) الرشيد المرشد والهادي إلى الحق وكذلك هو في ذاته رشد لسلامة تدبيره وتبرهه عن نفسه وبعدها

(١٠) الصور المنصوب المحسم، انظر شرح هذه الأسماء في (الاعتقاد)، للشيخ ص ١٧ وما بعدها، وعارضة لأحدوي

(١١) انظر أحكام القرآن - (٢/ ٧٩٧) والأسماء والصفات ص ٥

وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي. إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا^(١)

وفي الموطأ عن كعب الأحبار أنه قال «لَوْ لَا كُتِبَتْ أَقْوَاهُ لَخَفِنِي يَهُودُ حِمَارًا، فَقِيلَ لَهُ وَمَا هُوَ؟ فَقَالَ أَعُوذُ بِوَحْيِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُنْسِي شَيْءًا أَكْبَرَ مِنْهُ، وَيَكْتُبُ لَهُ لِسَمَاتِ السَّمَاءِ لَا يُجَاوِزُهُنَّ مَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، وَبِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى كُنْتُ مَا عَمِلْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَغْلَمْ، مِنْ شَرِّ مَا حَلَى وَوَبَّرَأَ وَدَرَأَ^(٢)»، وقد ثبت في القرآن من الأسماء غير المذكورات في حديث الترمذي: الرب، والمولى، والبر، والمحيط، والكافي، والعلامة، وثبت في السنة: العنان، الحنان، السَّيِّر، الجميل

ويحبر عن الله تعالى بأنه قديم، وليس صفة له، لأن القديم يطلق على ما لم يرل موحودًا، وعلى السابق لغيره وإن كان قبل ذلك غير موجود، فما يطلق عليه تعالى في باب الإحبار ليس توقيفيًا، كالقدم والشيء والموجود والقيام بالنفس

أسماء الله لا تعرف إلا عن طريق الشرع

أسماء الله تعالى أعلام على ذاته المقدسة، كل اسم منها يدل على صفة له تعالى كما تقدم، فالرحيم يدل على صفة الرحمة، والتقدير يدل على القدرة، وهكذا، وهي لا تعرف إلا من جهة الشرع، لا يجوز لأحد أن يجهد فيها بإضافة اسم من عبده، فلا يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ لِلنَّاسِ فَادْعُوهُ بِهَا وَدَرَأُوا إِلَيْكَ الْكُفْرَ وَأَسْمَوْا سَمِيحُونَ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف ١٨٠]، قال المفسرون من الإلحاد في أسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة^(٣)، من ذلك تسمية المصارى له بالآب، وتسمية الفلاسفة له بالعلة الفاعلة، ونحو ذلك

ولا يجوز أن يطلق على الله اسم أو صفة توهم نقصًا، ولو أن أصل اشتقاق ذلك الاسم ورد بتصريف الله تعالى به في القرآن، فلا يطلق على الله تعالى بأنه راح، أو قلى أو ماهد، أو مأكبر، أو مان، أو مستهزئ، مع أنه ثبت في القرآن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّهُمُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة ٢٠١]، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يَشَاءُ وَيَعْلَمُ مَا يَكُونُ﴾ [البقرة ٢٠٢]، ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يَشَاءُ وَيَعْلَمُ مَا يَكُونُ﴾ [البقرة ٢٠٣]

(١) مسند أحمد حديث رقم ٢٧٠٤

(٢) الموطأ ١٧٧٥

(٣) انظر تفسير القرطبي ٣٢٨/٧

(العارفات ٤٨)، ﴿يَا أَهْلَ الْاَلَمِ يَا نَبِيَّ وَالْوَحْيِ﴾ [الاسام ٩٠]، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْرِجُ بِهِمُ﴾
[الفرق: ١٥]، ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمُنْكَرِينَ﴾ [الك عمران ٥٤]، ﴿وَالنَّمَاءُ بِسْمِهِ
يَأْتِي وَيَوْمَ لَتُسْويَعُونَ﴾^(١). ويقولون إن لله عرشاً، ولا نقول له سرير، ونقول هو
الحكيم، ولا نقول هو العاقل، ونقول عالم، ولا نقول عارف، ونقول خليل
إبراهيم، ولا نقول صديق إبراهيم، بل يقتصر على ما ورد، ولا نقس عليه^(٢)
ولا يجوز التسمي بالأسماء الخاصة بالله ﷻ، كالأرحمن والعزير والقدوس،
ولا التسمي بصفات الملوك، لورود المعنى عنه في الصحيح عن النبي ﷺ، قال «أَخْبَنِي
الْأَسْمَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلاكِ»^(٣)

اسم الله الأعظم

أذكر جماعة من العلماء تفصيل بعض أسماء الله تعالى عن بعض، وقولوا
أسماء الله تعالى كلها عظيمة، ليس فيها اسم أفضل من غيره، لأن ذلك يؤدي عنى
اعتقاد بقصان المفضل عن الأفضل، وهو لا يجوز. ومن هؤلاء العلماء أبو جعفر
الطبري، أبو الحسن الأشعري، وأبو حاتم، والقاسمى الساقلى، وأبو الحسن
القاسمى، وسب هذا القول أيضاً إلى الإمام مالك، قال القاسمى «ويصح له بأنه ﷺ
نقل عنه دعاء في أشياء كثيرة فلم يستجب له، ولو كان عنه اسم أعظم لعلمه الناس
وما حفي عنه، وكيف يعلمه الناس ولم يعلمه هو»⁽¹⁾ واحتجوا أيضاً بأن الآثار عن
السي ﷺ حتمت في تعيين الاسم الأعظم، ولم يرد في واحد منها أنه اسم أعظم
ولا شيء أعظم منه، فدل على أن المراد بالأعظم العظيم، وأسماء الله تعالى
كلها عظيمة

وحمل هؤلاء الأحاديث التي ورد فيها لفظ الاسم الأعظم على أنه بمعنى العظيم، أو أن المراد بأعظميته زياده الثواب لمن دعا به، كما جاء ذلك في تعظيم بعض سور القرآن، حيث يراد منه زيادة ثواب القارئ، لا أن سورة فاصلة وسورة مفصولة وقيل

(۱) اندازیات آیه ۴۷، وانظر فتح الباری ۱۳/۴۸۱

(٢) اعداد ١٩٧٦ / ٧

(۳) البخاری حدیث رقم ۶۲۰۵

(٤) انظر فتم اباري ٤٨٢/١٣، والمعار ١٧٠/١١ وعود المصود ٨، ١٦

المراد بالاسم الأعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا به العبد مسحوراً عظيمة الله مستغرقاً، بحيث لا يكون في فكره حينئذ غير الله تعالى .

ودهب جماعة من العلماء إلى أن في أسماء الله الحسنى اسماً أعظم، إذا دُعي الله تعالى به أحاب، أحفاد الله تعالى على الناس، يُدعوه بجميع أسمائه، واحصيت أقوال العلماء في تعيين هذا الاسم على أقوال^(١)، وأصحها من حيث السند ما رواه الترمذي وغيره عن بُريدة الأسلمي، قال سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو، وهو يقول: «لَهُمْ بِي أَسْأَلُكَ بَأْسِي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَخْذُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَنْدُ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ فَقَالَ وَالَّذِي بَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعي به أحاب، وإذا سُئِلَ به أُعْطِيَ»^(٢)

(١) انظر فتح الباري ١٣/٤٨٣

(٢) الترمذي حديث رقم ٣٤٧٥، ٥/٥١٥ وقال حديث حسن غريب

الإيمان بالملائكة

من أمور العيب التي يجب على المسلم أن يؤمن بها الإيمان بوحود الملائكة، قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُ الرَّسُولِ يُمَارَ إِتِيهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَنْ يُنْفِئُ عَنْهُ وَرُسُلِهِ﴾ [الفرقة: ٢٨]، وقد جعل الله تعالى عدم الإيمان بالملائكة كفراً، فقال تعالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَنْ يُنْفِئُ عَنْهُ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ صِدْقًا بَيِّنًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وفي الصحيح من حديث حبريل المتقدم في تعريف الإيمان «أَنْ تُؤْمِنَ بالله وملائكته وكتبه ورُسُله»^(١)

صفات الملائكة

الملائكة جمع ملك والناء للمبالغة، وليست للتأنيث، ولعظها مشتق من الألوكة، ومعناه الرسالة، فهم رسل الله تعالى . والملائكة مخلوقات بورية لطيفة، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون ولا يتوالدون، ولا يوصعون بدكورة ولا أبوة، أعطيت قدرة على التشكل، ومسكنها السماوات، مجولون على الطاعة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفي الصحيح قال ﷺ «خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ»^(٢)، وقال تعالى ﴿تَأْتِيهِمُ اللَّيْلُ سَوَاقًا فَيَسْكَنُ فِيهَا وَأَنبِكُ مَرًّا وَقُودَهَا أَنْسُ وَالْجَمَادُ عَنْهَا مَلَكُوتُكَ عِلَاطٌ شَدَادٌ﴾ [الحریم: ٦]، وقد تعالى ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [الصمت: ٣٨] وقد أنكر الله تعالى على الكافرين حين جمعوا

(١) مسلم حديث رقم ٨

(٢) مسلم ٤ ٢٢٩٤

الملائكة إبتأ، فقد تعالى ﴿وَحَمَلُوا أَلْمَنِيكَةَ الْبَيْنَ هُمْ بَعْدَ كَرْحِي إِنَّمَا أَشْهَدُ حَقَّهُمْ سَنَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَتُسَلُّونَ﴾ [الزحرف ١٩]، وقد سمى الله تعالى ملائكته رسلاً لأبهم بعدون أوامره بالوحي فقال تعالى ﴿بَلْ قَوْمًا مِّنْهُمْ يَكْشِبُونَ﴾ [الزحرف ٨٠]، وقال تعالى ﴿وَأَوْبِلْ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى ٥١]، وقال تعالى ﴿تَلَمَّذُوا بَلْعَ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَنِيكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجَعَلُ مَتَىٰ وَتُسَلِّحُ﴾ [فاطر ١]

وقد جعل لله تعالى للملائكة قدرة على أن تتصور بصورة البشر، قال تعالى في سورة مريم ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا نَزَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم ١٧]، وكثيراً ما كان النبي ﷺ يرى حبريل في صورة رجل من أصحابه اسمه دحية الكلبي^(١)

ففي الصحيح من حديث حبريل المتقدم «بِإِذَا نَحَرَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَابَّ يَوْمَ إِذْ طَمَعَ عَيْنُ رَجُلٍ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ شَعْرٍ وَلَا يَعْرِفُهُ مِمَّا أَحَدٌ حَتَّىٰ حَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسَدَ رُكُوسِهِ إِلَى رُكُوسِهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَحْدَيْهِ إِلَىٰ أَنْ قُلْتُ يَا هَؤُلَاءِ أَتَلْفِرُونَ مِنَ السَّائِلِ؟ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْنَمُ قَالَ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(٢). ومن الصفات التي ذكرها الله -تعالى- للملائكة في القرآن أن لها أجنحة فقال -تعالى- ﴿تَلَمَّذُوا بَلْعَ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَنِيكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجَعَلُ مَتَىٰ وَتُسَلِّحُ﴾ [فاطر ١]

وحاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ حَبْرِيْلَ لَهُ سَمَاءَةٌ حَسْبُ»^(٣)

وملائكة له لا يحصى عددهم إلا الله، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْرِى حُودَ رَبِّكَ وَلَا هُوَ﴾ [القدر ٣١]، وقال ﷺ «أَطْلُ السَّمَاءِ وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَقَطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ حَبْنَتَهُ سَاحِجًا لِلَّهِ»^(٤)، وقال الله تعالى ﴿تَكَاذَبَ السَّمَوَاتُ بِعَطَرِكِ

(١) نظر من سادني حديث رقم ٢٩٩١

(٢) مسلم حديث رقم ٨

(٣) صحاري مع فتح سادني حديث رقم ٣٢٣٢

(٤) سمردي حديث رقم ٢٣١٢، وقال حليث بن غريب، والأطط صوت الأتات (جمع ف) لرحل صغر على صدر سنام العير) من الثقل فوقها، وهو كتابه عن كثرة الملائكة في السماء، حتى كأنها أثقل سماء أكثرتها

مِنْ عَزَائِهِمْ وَلَمَّا لَقِيَهُ سُبْحَانُ يَحْمَدُ رَبَّهُمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ» [البوري ٥]

وفي الصحيح من حديث المعراج «فَرَفَعَ لِي الْيَتُّ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْيَتُّ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَمُودُوا إِلَيْهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ»^(١)، والبيت المعمور بيت في السماء للمعبودة حُرْمَتُهُ كَحُرْمَةِ الْكَعْبَةِ فِي الْأَرْضِ

وظيفة الملائكة

أعمال الملائكة ووظائفهم عدا عادة الله كثيرة، فمنهم من هو موكل سي آدم من تصويره في رحم أمه، إلى حفظه وكتابة أعماله، والاستغفار والدعاء له، ثم قص روحه إذا حضر أحله. ففي الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... إِذَا مَرَّ بِالنُّفُثَةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَرْثَمُونَ لَيْلَهُ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ»^(٢)، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ، قَالَ: «يَتَعَاتَبُونَ بِكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْمَصْرِ ثُمَّ يَرْجِعُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»^(٣)، وقال تعالى ﴿وَلَمَّا لَقِيَهُ سُبْحَانُ يَحْمَدُ رَبَّهُمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ» [البوري ٥]، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه، قَالَ: «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا قَامَ فِي صَلَاةٍ مَا لَمْ يُحَدِّثْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا قَامَتِ الصَّلَاةُ تَحِيَّهٌ لَا يَنْتَعِمُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ»^(٤)، وقال تعالى ﴿فَالْمُنِيبُ ذَكْرٌ﴾^(٥)، وهي الملائكة تنزل على الرسل وتنقي إليهم ما نوحى وتعرف بين

(١) البخاري مع فتح ساري حديث رقم ٣٢٠٧

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٤٥ وانظر البخاري مع فتح ساري ١١٤/٧

(٣) مسلم ٤٣٩١ وانظر صحيح البخاري حديث رقم ٥٥٥

(٤) البخاري مع فتح ساري ٦٥٩

(٥) المرسلات آية ٥، وانظر مختصر تفسير ابن كثير ٥٨٧/٣

وفي الصحيح من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ . . . تَحْرُسُ الْمَلَائِكَةُ الْمَدِينَةَ مِنْ الدَّجَالِ^(١). والمقصود مما تقدم أن الملائكة رسل الله تعالى ، يقدرون إرادته في حفظ الكون بتقسيم أموره وتديرها ، وذلك بحفظ النواميس والقوانين التي سنها الله تعالى ليسير عليها نظام الله العجيب في مخلوقاته وفي الأسباب العديدة، قال تعالى ﴿لَا تَمُوتُنَّ أَمْرًا﴾ [التارعات ٥]، وقال تعالى ﴿فَالْمَقْسَبُ أَمْرًا﴾ [الذاريات ٤]، فإذا أراد الله تعالى بطلان معقول الأسباب العادية، أدن للملائكة أن تعد خلاف ذلك، فخلق الجليل على أهل الأرض، أو تجعل أعلى الأرض سدودها، أو تمنح في لصور فيصع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، إسي غير ذلك من الأعمال الموكولة إلى الملائكة، كصبر المؤمنين مع فنة عددهم وعدتهم، وإلقاء الرعب والخوف في قلوب أعدائهم، مع كثرة حدهم ووفرة سلاحهم، وقصص الأرواح إذا جاء أجلها، بإيقاف الله الأسباب التي تمد البدن بالحياة . وبذلك يعلم أنه لا تعارض بين ما يراه الناس بمقتضى العلم الذي كشفه الله لهم، من ربط لظواهر الكونية بأسباب ونواميس ثابتة، كبرول المطر وتسحير الريح ودور اللافلاك، وبين إسناد ذلك إلى الملائكة كما جاء في الأحاديث وتوكيدها بحفظ ومراقبة تلك النواميس إلى أن يريد الله تعالى خلاف ذلك، فسعد الملائكة إرادة الله تعالى . قال تعالى : ﴿وَمَا تَنقُلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمَّا كَانَ يَدِيَا وَمَا خَفَا وَمَا يَكُ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ قَبِيلاً﴾ [مریم ٦٤]

ما يجب الإيمان به من الملائكة إجمالاً وتفصيلاً

يجب الإيمان إجمالاً بجميع ملائكة الله ، والتصديق بهم على الصفة المتقدمة التي حنفهم الله عليها من عبادة وأعمال موكولة إليهم

ويجب الإيمان تفصيلاً ببعض الملائكة الذين ورد ذكرهم في القرآن أو السنة، والتصديق بأنهم يقومون بالأعمال والوظائف التي أسندها الله تعالى إليهم، ومنهم جبريل وميكائيل، قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَنَبِيِّهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٩٨] وجبريل هو الموكل بالوحي، قال تعالى ﴿سُورَةُ يَزُورُ لَأَمِينٍ﴾ [الشعراء ١٩٤]، فالروح الأمين جبريل عليه السلام، ومنهم إسرافيل،

(١) البخاري مع فتح الباري حديث رقم ٢٢٢٩

وهو الموكل بفتح الصور بديرًا بين يدي الساعة، ثم يفتح فيه الصفحة الشبية التي يحيي الله تعالى عندهم الخلائق، قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ بِهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَخْرُجُونَ﴾ [الرمر ٦٨]، ومنهم ما لك حارون لدر، قال تعالى ﴿وَيَذَاقُوا نَذِيرًا لِّبَعْضِ عَذَابِ رَبِّكَ قَالَ إِنَّكُمْ تُكْفَرُونَ﴾ [الرعر ٧٧]، ومنهم ملك الموت الذي يتولى قصص الأفسس إذا جاء أحدها، قال تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ أِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السحة ١١]، ولم يرد في القرآن أو السنة الصحيحة اسمهم وورد في بعض الآثار وكتب التفسير أن اسمه عررائيل، ولا تعارض بين هذه الآية التي تفيد أن الذي يوفى الخلائق ملك الموت، وبين ما جاء في قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الرمر ٤٢]، وقوله ﴿وَهُوَ الْغَافِرُ هَوَّيَ عَصَايَ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام ٦١]، فإن ملك الموت يدير قصص الأرواح، وذلك بأمر الله تعالى، ثم تسلم روح المؤمن إلى ملائكة الرحمة، وروح الفاجر إلى ملائكة لعذاب بعد قصصها، كما جاء في الحديث، وأنه يوفى الأفسس لأنه هو الأمر لمقدر، ورسل الله من الملائكة يتوفون الأفسس لأنها تسلم إليهم بعد قصصها، ومن ثم الموت بتوفاهما، لأنه الماشر لقصصها، وبذلك تسلم النصوص من التعارض ويستقيم فهمها.

ويجب التصديق بجميع الملائكة الذين ورد ذكرهم في القرآن والسنة، والتصديق بالأعمال التي أوكلها الله تعالى إليهم، مثل الكرام الكاتبين والحفظة، قال تعالى ﴿وَوَيْلٌ لِّلْعَبِيدِ ۖ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الانطار ١٠، ١١]، وفي الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿أَمَّا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ، إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينًا مِنَ الْجِنِّ، قَالُوا وَبَيْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ وَإِنِّي، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ﴾^(١)

تفضيل المطيع من بني آدم على الملائكة

والصحيح أن لمطيعين من سبي آدم أفضل وأكرم عند الله تعالى من الملائكة؛ لأن الله تعالى خلق آدم بيديه تكريمًا له كما جاء في الحديث، ولم يثبت ذلك

(١) مسلم حديث رقم ٢٨١٤

الإيمان بالأنبياء والرسل

وظيفة الرسل

يجب الإيمان بأنبياء الله تعالى ورسله، والاعتقاد بأن الله تعالى أرسلهم مشيرين ومدرين، وأنهم جاءوا بالعدل والرحمة والهدى ومحنة الناس، ولحرص على ما ينفعهم، وارشادهم إلى الحق والخير، وتحذيرهم من الضلال والشر، وأنهم صادقون فيما أحبروا به عن الله تعالى، قال تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَتْلَىٰ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِن دُونِهِمْ أَمَّا فِيكُمْ عَمِلُوا شَاءَ رَبِّهِمْ﴾ [النساء ١٦٥]، وقال تعالى ﴿يَتْلَىٰ الْفُرْقَانُ إِنَّا نَزَّلْنَاهُ شَيْهًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب ٤٥]، وقال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨]

وجوب طاعتهم والإيمان بهم

يجب على الناس جميعًا طاعتهم ومحبتهم وقبول تعاليمهم وهديتهم، فإن طاعتهم من طاعة الله ﷻ، ومحبتهم من محبته، قال تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء ٨٠]، وقال تعالى ﴿قُلْ يَا كُفْرًا تَحِبُّونَ اللَّهُ فَلَئِمَّ يُوَافِقُكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران ٣١]، وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء ٦٤]

والإيمان بجميعهم على النحو المتقدم واجب، لا يصح إيمان المسلم بدونه، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَرْسَلْنَا مِنَّا نَذِيرًا يَأْتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْرَهُهُ بِمَا كَفَرَ وَاللَّهُ يَمْلِكُ مَا يَشَاءُ وَيُفْعَلُ بِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الأنعام ١١٠]، وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَرْسَلْنَا مِنَّا نَذِيرًا يَأْتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْرَهُهُ بِمَا كَفَرَ وَاللَّهُ يَمْلِكُ مَا يَشَاءُ وَيُفْعَلُ بِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الأنعام ١١٠]

[البقرة: ٢٨٥] ومن فرق بينهم، فأمس بعضهم وكفر بعضهم، ولو بواحد منهم فهو كافر، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِسَعْيٍ وَنَكْفُرُ بِسَعْيٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الساء: ١٥٠]

الإسلام دين الأنبياء جميعاً

يجب الاعتقاد بأن دين الأنبياء جميعاً هو توحيد الله تعالى، والدعوة إلى عبادته، والاستسلام له، وهو معنى ما جاء في القرآن أنهم جميعاً كانوا مسلمين، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَخَّرْنَا بِكُلِّ أُمَمٍ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِنَا فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَخَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [النحل: ٢٦]، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا مِنْ سَبِيلٍ فَتَنُوهُ وَلَقَدْ أَصْطَلَبْنَاهُ فِي كُدُنَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمُنَّ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، فعلى أهل الأديان أن يؤمنوا بالأنبياء جميعاً، وبما جاءوا به حتى يكونوا مسلمين، وعدم الإيمان بواحد من الأنبياء هو كفر بجميعهم، فمن كفر بمحمد ﷺ وكذبه، فقد كفر بجميع الأنبياء، ولا يسمى مسلماً، ولو آمن إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، ومن لم يؤمن بعيسى أو موسى عليهما الصلاة والسلام، فهو كافر بجميعهم أيضاً ولو ادعى أنه يؤمن بمحمد ﷺ، ولا يكون مسلماً، قال تعالى عن الذين يفرقون بين رسل الله تعالى، ويقولون يؤمن بعض ونكفر بعض ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِمًّا﴾ [الساء: ١٥١]، وقد أخذ الله الميثاق على النبيين جميعاً أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصروه، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّينَ لَمَّا أَتَيْتُكُمْ مِنْ صُحُوبِكُمْ وَجَعَلْتُمْ سُلْطَانَكُمْ رَسُولًا مُعْذِقًا لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١]، وقال لعمر ﷺ ﴿وَالَّذِي تَقِي بِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى أَصْبَحَ فَيَكُفُّكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِي مِنَ الْأَمْرِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ وسمي القرآن أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ كفاراً، قال تعالى ﴿لَهُ بِكُلِّ الْدِينِ كَرُوهٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالشِّرْكَاءُ مُفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البقرة: ١١]، وقال تعالى ﴿فَإِنْ مِمَّا يَنْتَحِلُ مَا أَهْمُ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيهِمْ يَوْمًا وَلَوْ أَنَّ فَالِقًا لِمُوسَى﴾ [البقرة: ١٣٧]

الرسول والنبي

من أهل العلم من لا يرى فرقاً بين الرسول والنبي، فكل منهما مرسل لسمع، ودليته قول الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج ٥١] ومهم من يفرق بينهما، فالرسول هو من أوحى الله تعالى إليه شرع وأمره بتبليغه للناس والنبي هو من أوحى الله تعالى إليه شرع، ولم يأمره بتبليغه للناس، بل ليتعده في خاصة نفسه، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول، بينهما عموم وخصوص مطلق، فالنبي أعم، والرسول أضيق.

قال القاضي عياض وحجتهم من الآية السابقة نفسها، حيث فرق بين الاسمين، ولو كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام التليغ، ومعنى الآية عني هذا وما أرسلنا من قبلك من رسول إلى أمة، أو نبي ليس مرسلًا إلى أحد^(١) والسورة نعمة يمن الله بها على من يشاء من عباده، ولا ينبغي أحد باعتقاده أو علمه أو استعداده العقلي، والوقوف في معرفتها إنما هو عني إعلام الله ورحمته لنبي بأنه جعه نبي، لا بما دون ذلك، كمجرد إحساس الإنسان نفسه أو علمه بالسورة.

وجميع رسل الله كلهم من الرجال، ولم يرسل الله تعالى أنثى قط، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [النحل ٤٣]

عند الرسل وما يجب الإيمان به إجمالاً وتفصيلاً

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ بِآيَاتِنَا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَمِنْهُمْ مَنْ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَبِّكَ وَنُفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [عنقر ٧٨]

وصحح ابن حبان حديث أبي ذر رضي الله عنه أن عدد الأنبياء مائة وعشرون ألفاً، منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً^(٢)

فيجب للإيمان إجمالاً بجميع أنبياء الله تعالى ورسوله الذين أوحى الله تعالى إليهم، بأن يؤمن المسلم بجميعهم، من عرف منهم ومن لم يعرف، ويجب الإيمان

(١) نظر شعاع ١: ٢٣٢

(٢) موارد النظم ١: ٥٠٨

تفصيلاً لمن قصهم الله علياً في القرآن، وهم خمسة وعشرون، منهم ثمانية عشر في قول الله تعالى ﴿وَلَيْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّكَ بِعَيْنِكَ عَلَيْكَ عَصِيتَ ۖ﴾ [٨٢] وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ مِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٣﴾ وَرَكَرَبْنَا وَنَحْنُ وَعِيسَى وَآلِهَاسَ كُلٌّ مِّنَ الْمُصْبِحِينَ ﴿٨٤﴾ وَنَسُجِدُ وَنُقَدِّسُ لَكَ وَنُوحًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْغَالِبِينَ ﴿٨٥﴾ [الأنعام ٨٣-٨٦] والناقون جاء ذكرهم في آيات أخرى، قال تعالى ﴿يُحْمَدُ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح ٨٣]، وقال تعالى ﴿وَنَسُجِدُ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [التكوير ٢٥] ﴿كُلٌّ مِّنَ الْمُصْبِحِينَ﴾ [الأنبياء ٨٥]، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْلَقُ مَادِمٌ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران ٣٣]، وقال تعالى ﴿وَقِيلَ تَسْمُودُ أَخَاهُ صَاحِبُ﴾ [هود ٦١]، وقال تعالى ﴿وَقِيلَ عَادُ لَأَكْبَرُ هُودًا﴾ [هود ٥٠]، وقال تعالى ﴿وَقِيلَ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف ٨٥] فهذه خمسة من ذكر الله تعالى منهم في القرآن

أولو العزم

أولو العزم من الذين هم الذين أودوا إيماناً بليلاً من أقوامهم وصرخوا عن الأسلاء أكثر من غيرهم

والعزم قوة اليقين والضمير، قال تعالى ﴿فَأَسْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَرْسِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحزاب ٣٥]، وقال تعالى ﴿وَإِن تَصَبِّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران ١٨٦]، وأولو العزم خمسة، ذكرهم الله تعالى في قوله ﴿وَقَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب ٧]

الصفات الواجبة للرسول

يجب على المسلم أن يعتقد أن الرسول متصون بالصدق والأمانة، والنصح وتبعية الرسالة، ولعظمة لئن توهلهم لحمل الأمانة، وأن الله تعالى أحدهم من أحسن الحق حَقًّا وهداية واستقامة وصلاً، وعصمتهم وبرهم عن الحية والعدو والكذب وارتكاب الفواحش والكبائر من الذنوب، وكذلك الصفات التي تحل بالمرءة أما غيرها من الصفات، فقد تقع منهم سهواً أو اجتهداً، ولكن لا تقرب

عندها^(١)، قال تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ نَحْنُ لَهُ قَابَ قَبٍ وَهُدًى﴾ [طه ١٢١، ١٢٢]، وقال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهَتُهُمْ أَتَشَدُّ﴾ [الأنعام ٩٠]، وقال تعالى ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا﴾ [مريم ٤١]، وقال تعالى ﴿وَبَيْنَكَ لَعْنُ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم ٤]، وقالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله ﷺ «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ»^(٢)، وقال أسد «كَانَ الشَّيْءُ ﷺ أَحْسَنَ الشَّيْءِ حَقًّا»^(٣)

ويجوز في حق الرسل كل الأعراض الشريفة التي لا نحل بالمروءة، كالوم والسيد، والكمح والجوع والمطر، ويتعرضون للأذى والاساء من قومهم في سبيل دعوتهم إلى الله تعالى، وفي المعارك والحروب التي يحوصلها مع أعدائهم، قال تعالى ﴿إِنْ يَكُنْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَزَعٌ يَشْتَدُّ وَبَيْنَ أَيْتُمُ بُدَاؤِهَا بَيْنَ الْوَالِدِ﴾ [الأنعام ١٤٠]، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ حَسْبُكُمْ إِذْ أَخَذْنَا مِنْ كَفَرْتِكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ سَيِّئَتَكُمْ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة ٢٥، ٢٦]، وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبُغُوبٌ مُطْعَمٌ وَنَسْتُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان ٢٠]، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ [الرعد ٣٨]، وتصيبهم الأمراض ويموتون، وقد يقسبون بغير حق، قال تعالى عن بني إسرائيل ﴿وَقَتَلَهُمُ الْكَافِرِينَ بِمِثْرٍ حَقٍّ﴾ [الباء ١٥٥]، وقال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَمِثْلُ مِثْلِهِمْ مَيِّتُونَ﴾ [الرمر ٣٠]

فضل نبينا محمد ﷺ

فضل لله تعالى بعض الرسل على بعض، قال تعالى ﴿بَلَدٌ لُرْسُلُ فَصِّلَتْ بَصِيَّتُهُمْ عَنْ بَصِيرِ بَنِيهِمْ مِنْ كَلَمِ اللَّهِ وَرَفَعَ تَحِيَّتَهُمْ دَرَجَتَهُ﴾ [الفرقان ٢٥٣]، وأقصدهم جميعاً

(١) هذا ما ذهب إليه بعض العلماء والمحدثين من السلف والخلف، قال القاضي عياض: «وذهب جماعة من أهل التصوف من الفقهاء من أنكأ إلى عصمتهم عن الصنائع كلها» قال وهذا المذهب هو الحق، بطر

شرح مسلم ٥٤/٣

(٢) مسند أحمد حديث رقم ٢٤٠٨٠

(٣) صحيح البخاري حديث رقم ٢٦٠٣

سيدا محمد ﷺ، جاء في الصحيح، قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَشُقُّ عَنْهُ الْقَبْرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ»^(١)، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى كِتَابَهُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاضْطَفَى قُرْبَانًا مِنْ كِتَابِهِ، وَاضْطَفَى مِنْ قُرْبَانِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاضْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٢)

وإحداره ﷺ عن نفسه بالسيادة من تمام التحدث بسعة الله تعالى عبيه، وتعمد نصحه للأمة، ليعرف الناس حقه ويرلوه مبرته، خصوصاً أنه لا سبي بعده بحرب فضله كما أحره هو بفضل الأنبياء قبله

عموم رسالته ﷺ وأنه خاتم النبيين

يحب لإيمان بأن سيداً محمداً ﷺ أحر الأنبياء وأنه لا نبي بعده، ومن ادعى السوء بعده فقد كفر وكذب الوحي قال تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَحَاشَ لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُ مُبْعَدٌ عَنْ قَرْبَةِ اللَّهِ أَنَّهُ يُدْعَى بِأَبْنَائِهِمْ وَبِالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ كَمَثَلِ رَحُلٍ بَنَى بَيْنَ قَاخَةَ وَأَجْمَلَةَ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِئَةٍ مِنْ رَاوِيَةٍ فَحَمَلُ النَّاسِ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَسْعَوْنَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَ هَذِهِ اللَّبِئَةُ، قَالَ قَاتَا اللَّبِئَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»^(٣)

وفي الصحيح قال ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي، الَّذِي يُنْحَى بِي الْكُفْرُ، وَأَنَا الْخَاشِرُ الَّذِي يُخَشِّرُ النَّاسُ عَلَى عَقْبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»

كما يحب لإيمان بأن سيداً محمداً ﷺ معوث إلى الناس كافة، عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم وأصفرهم. وذلك من الأمور المعلومة في دين الإسلام بالضرورة، لا يسع المسلم إنكارها، لشهرتها بين الناس، وانفاقهم عيها، قال تعالى ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ إِن رُشِدَ إِلَى رُشْدٍ﴾ [الأنعام ١٥٨]، ﴿وَمَا رُسُودٌ إِلَّا كَفَّةٌ بَيْنَ نَارٍ فَتِيرٍ وَنَارٍ﴾ [سبا ٢٨]، وقال تعالى ﴿سَارِكٌ لِيَوْمٍ مَّا تَلْقَوْنَ فِيهِ بَنِي إِسْرَافِيلَ يَنْفُخُونَ فِي أَسْبَاطِهِمْ ذُكِّرُوا وَلَمْ يَبْهَرُوا﴾ [الفرقان ١] وفي الصحيح قال ﷺ: «أُعْطِيتُ حُكْمًا لَمْ

(١) مسلم حديث رقم ٢٢٧٨

(٢) مسلم حديث رقم ٢٢٧٦

(٣) مسند حديث رقم ٣٥٣٥

يُظَهِّرُ أَحَدَ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَيِّرَةً شَهْرٌ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجُودًا وَطَهْرًا
فَأَيْمًا رَحُلٍ مِنْ أَمْنِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُضَلِّ وَأَجَلْتُ لِي الْفَأَيْمُ وَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي،
وَأَعْطَيْتِ الشَّعَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً^(١)

وفي الصحيح، قال ﷺ «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنْسَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ
يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ»^(٢)، وفي إرسال رسول الله ﷺ رسله وكنهه إلى أمحاء الأرض، إلى كسرى
وقيصر ولجاشي والمقوقس، وسائر ملوك الأرض بأمرهم باعتراف الإسلام والإيمان
به، دليل على عموم رسالته ﷺ

ويجب لإيمان أنه معوث أيضًا إلى الحبس، قال تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ
الْجِبْرِ يُتْلُونَ الْقُرْآنَ فَمَا خَصَّوهُ قَالُوا أَأَنبِئُوا بِمَا هُمْ قَائِلُونَ﴾^(٣) فإلوا
يقومون بِنَسَبٍ كَتَبْنَا أَرْثَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى الْحَقِّ وَلَكَ طَرِيقٌ
مُسْتَقِيمٌ ﴿يَقُومُوا لَيْسُوا ذَاغِي اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ يَكْفُرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَمُحَرِّمٌ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ﴾
[الأحقاف ٢٩-٣١]، وقال تعالى ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ أَنْسَعَ نَفَرٌ مِنَ الْغُلَى قَالُوا بِئْسَ نَسَبٌ
قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ تَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا شَيْئًا﴾ [الحجر ١]

وجوب محبته وتقديرها على النفس والأهل

من شروط صحة الإيمان أن يكون رسول الله ﷺ أحب إلى المرء من نفسه ووالده
وولده، وروحه وماله وتجارته والناس أجمعين قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَاجِبُونَكُمْ وَرَجُلُكُمْ وَغَيْرُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ
تَرْضَوْنََهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٤) وفي
الصحيح أن عمر بن الخطاب رضيه الله عنه قال لرسول الله ﷺ «يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبُّ

(١) مسند حديث رقم ٢٣٥

(٢) مسند حديث رقم ١٥٣

(٣) مسند حديث رقم ١٥

إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْآنَ يَا عُمَرُ^(١)

وقد طُنق لصحابة هذه المحبة قولاً وعملاً، فكان أحدهم لا يحاطب رسول الله ﷺ إلا ووداه نفسه وأبيه وأمه ولم يعظم أحداً أصحابه كما عظم أصحاب محمد ﷺ محمداً. بعث قريش عروة بن مسعود ليفاوض رسول الله ﷺ في صبح الحديبية فكان مما جاء في قوله لقريش بعد رجوعه إليهم «أي قوم، والله لقد وفدتُ على لُئلوك، ووفدتُ على قيصر، وكسرى، والنَّجاشيِّ والله، إن رأيتُ منك قُفْراً يُعْظَمُه أصحابُه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ، والله، إن شِئتمُ سُحامة، إلا وقعتُ في كفِّ رجلٍ منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم انتدروا أمره، وإذا تواصوا كدُّوا يَفْخُلُون على وضوئه، وإذا تكلم حمضوا أضوانهم عده، وما تُحدثون إليه النَّظَرُ تَعْظِيماً لَهُ»^(٢).

ودكر عمرو بن العاص وهو على فراش الموت حاله في الدنيا وبكى، وكان مما قاله لانه يومئذ: وَمَا كَانَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَحَبَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِلَّا لَأَهُ، وَلَوْ سَأَلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ^(٣). وكان الصحابة إذا حمى النوطيس، واشتد القتل بعدوا رسول الله ﷺ بهجهم وأرواحهم، ويجعلون أجسادهم دروعاً دونه، كان أبو طحفة بين يدي لسي ﷺ يوم أحد مجوفاً عليه بحجفة له، فإذا تطمع رسول الله ﷺ ليطر إلى القوم قال له: يَا بِي أَسْبَ وَأُمِّي لَا تَشْرَفْ بِصِيكِ مِنْهُمْ مِنْ مِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ مَحْرُكِ^(٤)

قال زيد بن ثابت: «بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال لي: إن رأيتَه فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟ قال: فجعبت أطوف بين القلبي، فأصسته، وهو في آخر رمق فقلت له: يا سعد، إن

(١) البخاري حديث رقم ٦٦٣٢

(٢) البخاري حديث رقم ٢٧٣٤

(٣) مسلم حديث رقم ١٢١

(٤) البخاري حديث رقم ٢٨١١ والنسخة المرس

رسول الله ﷺ بقركك السلام، ويقول لك أحرمي كيف تجدك؟ قال عني رسول الله ﷺ السلام، قل له يا رسول الله أجد ربح الحجة، وقل لقومي الأبرار لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف، وفحصت نفسه^(١)

المقياس الذي تعرف به محبة رسول الله ﷺ

والمقياس الذي تعرف به محبة الإنسان لرسول الله ﷺ هو انداع سته وشرعته، وتقديمها على النفس ورغباتها، فإذا تعارضت رغبات النفس مع أمر من أمور الشريعة وهدى رسول الله ﷺ، وأعرض الإنسان عن هدي صاحب الشريعة، وتبع رغبات نفسه، فسدت علامة على أنه لم يكتمل إيمانه، ولم يقدم محبة رسول الله ﷺ على نفسه

(١) دلائل النبوة ٣/٢٤٨، والحديث من مراسيل مالك في الموطأ، انظر التمهيد ٩٤/٢٤

الإيمان بالكتب

يجب الإيمان إجمالاً بأن الله تعالى أرسل على أنبيائه كتباً تدعو إلى الوحيد، وتهدي إلى الحق والعدل والخير، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالرَّسُولِ وَالَّذِي أَرْسَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال تعالى ﴿آمِنَ الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الفرقة: ٢٨٥]، وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيراثَ﴾ [الشورى: ١٧]، وقال تعالى ﴿كَانَ الْإِنشَاءُ أَنَّهُ وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ الْبَنِينَ مُنْشِرِينَ وَمُؤَدِّينَ وَأَرْسَلَ مِنْهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ الْآثَارِ فِيمَا اختلفوا فيه وَمَا اختلف فيه﴾ [الفرقة: ٢١٣]

الكتب التي يجب الإيمان بها تفصيلاً

١. القرآن الكريم الذي أمره الله تعالى على نبيينا محمد ﷺ، قال تعالى ﴿سَأَرْسِلُ رَجُلًا مِنْ قُرْبِكَ عَلَى عَبْدِي لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَنَّاتٍ﴾ [ص: ١]
٢. البقرة التي أمرها الله تعالى على سيدنا موسى ﷺ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْبُدُوهُ وَاسْتَمِعُوا لِلَّذِينَ أَنذَرَكُمْ وَأَطِيعُوا وَرَبُّكُمْ الْأَخْدَرُ بِمَا أَسْتَحْضِرُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [البقرة: ٤٤]
٣. الإنجيل الذي أمره الله تعالى على سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى ﴿وَقَدْ بَعَثَ فِي مِثْلِي رَسُولًا مِمَّنْ لَمْ تَلِكْ وَهَيئتُ لَهُ نَصْرًا وَمُؤَدِّيًا﴾ [الحديد: ٢٧]
٤. الزبور الذي أمره الله تعالى على سيدنا داود عليه الصلاة والسلام، قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا بِدَاوُدَ ذُنُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]

٥ صحف سيدنا إبراهيم وصحف سيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام ، قال تعالى ﴿إِنَّ لَمْ نُنْزِلْ بِهَا فِي صُحُفٍ مُّوَسَىٰ ۖ وَنَرَاهُ إِذِ الْوَيْلُ ۖ﴾ [النجم ٣٦ ، ٣٧] ، وقد تعالى ﴿وَهَذَا لَمَّا الْوُحُودُ الْأَوَّلُ ۖ﴾ [ص ١٩ ، ٢٠] ،

القرآن الكريم مهيمن على ما قبله من الكتب

ويجب لإيمان بأن القرآن الكريم هو آخر هذه الكتب وأنه مصدق لكتب التي جاءت قبله ومهيم عليها ، نسخ شريعته وأحكامه ما جاء قبله في تلك الكتب من الأحكام ، فلا يعمل بما خالفه ، ولو صحت سنده إلى تلك الكتب ، قال تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة ٤٨] ، وأن القرآن هو لكتاب الذي حصه الله تعالى وميزه عن سائر الكتب الأخرى بحفظه من السبيل والتحريف ، قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا لَكُمُ الْغُرُورَ ۖ لَا يَأْتِيهِ لُغْطٌ مِنْ رَبِّ نَدِيهِ وَلَا مِنْ حِفْظٍ ۚ تَرْجُلُ مِنْ حِكْمٍ جَمِيدٍ﴾ [ص ٤١ ، ٤٢] ، وذلك لأنه سبحانه تولى حفظه بنفسه ، على حين أوكل حفظ الكتب الأخرى إلى أصحابها ، فقال تعالى عن القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ رَزَقْنَا إِلَهُكَ لَمْ نَحْطُوتُ﴾ [الحجر ٩] ، وقال تعالى عن السورة ﴿بِمَا أَسْخَفُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة ٤٤] ، وليس حفظ الله تعالى كحفظ البشر ، لذا سلم القرآن ، ووقع التحريف والسيان فيما وصل إليه من كتب اليهود والنصارى وقد أحبر الله عن تحريفهم لكسبهم وترويضها ، فقال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة ١٠] ، وقال تعالى ﴿بَيْنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرُفُونَ الْكِتَابَ عَنْ مَوَاصِيهِمْ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء ٤٦] ، وقال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ تَكْتُمًا بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَتَّخِذُوا بِهِ سُمْيًا فَيُبَيِّنَ لَهُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تُبَيِّنُهُمْ وَيُؤَيِّنَ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾ [القرة ٧٩] ، ولذلك اشتملت كتب اليهود والنصارى الموحودة الآن بين أيديهم على الشرك وسنة الولد إلى الله تعالى ، ووصف الأبياء بما لا يليق بهم من الخيانة والعدو ، وغير ذلك من الأمور العاسدة ، التي عصم الله تعالى منها أبياءه ، وسوهاهم إليهم روزًا وبهتانًا

الإيمان بالقضاء والقدر

معنى القضاء والقدر

القضاء من قولك قضيت الشيء إذا حكمت به والقدر من قولك قدر الشيء أقدره بالكسر والفتح قدرًا وقدرًا إذا أحطت بمقداره والفرق بين القضاء والقدر، أن القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي الذي حكم الله تعالى به في الأزل على جميع خلقه، والقدر جريبات ذلك الحكم وتفصيله ومعنى القضاء والقدر على وجه الاحتمال أن الله تعالى عدم مقادير الأشياء وأوقاتها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سنن في علمه أنه يوجد، فما من شيء من أمور الدنيا والآخرة إلا هو صادر عن علمه وقدرته وإرادته^(١)

وقضاء الله يتنوع إلى نوعين قضاء كوني، وقضاء شرعي، والقضاء الكوني القدري يتعلق بما قدره الله تعالى، سواء كان مما يرصاه ويحبه أو مما لا يرصاه، كما في قوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّةً وَيُذْهِبَ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ فِي أَيَّامٍ مَّا بَيْنَ يَدَيْكُمْ فَاصْبِرُوا هُوَ أَقْسَرُ مِنْكُمْ قَدْ تَفَكَّرْتُمْ ثُمَّ تَبَدَّلَ لَكُمْ فِي حَمَلِكُمْ أُولَادًا لِّبَنَاتِكُمْ فَاصْبِرُوا لَهُمْ يَوْمَ تُحْمَلُونَ عَنْكُمُ أُولَادُكُمْ فَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَمَعَظَمُ الْعَمَلِينَ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فالله ﷻ لا يرصى الفساد ولا يحبه أما القضاء الشرعي فلا يتعلق إلا بما يحبه الله تعالى ويرصاه، كما في قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]

الدليل على وجوب الإيمان بالقدر

يجب على المسلم الإيمان بأن كل شيء يحدث في هذا الكون هو بتصرف الله وقضائه، وأنه مقدر وممراد منه ﷻ، فما من حركة ولا سكون في السموات والأرض

(١) انظر فتح الباري ١٤/٢٧٧، ١٢٦/١

إلا بمشيئة الله وقدرته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُونًا﴾ [القمر ٤٩]، وقال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُونًا﴾ [الأحزاب ٣٨]، وقال تعالى ﴿وَمَا تَسْغُطُ مِنْ رَحْمَةٍ إِلَّا يَغْلِبُهَا وَلَا حِجَابَ فِي مُلْكَيْنِ الْأَرْضَيْنِ وَلَا رُكُوبٍ وَلَا يَكِينٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ تُبَيِّنُ﴾ [الأنعام ٥٩]، وقال تعالى ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكَ إِلاَّ إِسْدَادُ حَرَابِهِ وَمَا تَنْزِلُهُ إِلاَّ بِعَذْرِ مَعْنُورٍ﴾ [الحجر ٢١]، وفي الصحيح حدث حريز في حقيقة الإيمان . . . وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . . .^(١)

معنى الإيمان بالقدر

ومعنى الإيمان بالقدر: التسليم بأن كل ما يحدث للإنسان في داته، وما يحدث في كون الله الواسع هو من الله تعالى، وأراد أن يكون كذلك، فلا يسع المسمم إراءه إلا الرعب والقبول، فلا يستخط ولا يصجر، بل يصر على ما يراه مكروه، ويعوض أمره إليه، كما كان رسول الله ﷺ يفعل إذا وقع المكروه، ويقول «قَدَرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»^(٢)، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فمن قهر نفسه بتفويض والسليم أول حصون لمكروه، كان حذيراً بأن يعوضه الله تعالى عن ذلك المكروه خيراً تقر به نفسه، ويشرح له صدره

ثمره الإيمان بالقدر

والإيمان بالقدر على النحو السابق يكسب الإنسان ثقة في نفسه، وعزيمة ماضية في الأمور، ويحميه من الخوف والتردد، ويجعل طريقه في الحياة واضحاً، لا يتنس ولا يعوج، وذلك تعكس آثاره دون شك على حياته انعكاساً حسناً، بقدرة على الاستعانة من وقته وإمكاناته على أحسن الوجوه، فالإيمان بالقدر يقضي على أحزاب النفس وهمومها، وعلى حوومها وحسها، ويجعلها تفتل على المستقر ومعين الأمور حرية متعذبة، وذلك من أعظم مقومات النجاح والإحساس بالطمأنينة والسعادة فالمسمم إذاً أيقن أن الفاعل الحقيقي والمدر للأمر كلها هو الله تعالى، وأنه لا حول ولا قوة إلا به، وأنه لن يصيبه من رزق وعلم ووئد ونجاح وحظ وإحدى إلح إلا ما كتب الله تعالى له، كان ذلك رصيده من الثقة، التي تأخذ بيده إلى كل

(١) مسلم حديث رقم ٨

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٦٤

فلاح، قال تعالى ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَكَ إِلَّا مَا كُتِبَ اللَّهُ سَآءَ﴾ [التوبة ٥١]، وقال تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد ٢٢]، وقال تعالى ﴿لَا يَتَذَكَّرُ عَلَى شَيْءٍ يَتِمَّا كَسَبُوا﴾ [الفرقة ٢٦٤]

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لاس عاسر يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تحفظه تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اختمت على أن يتفقوا بشيء، لم يتفقوا إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اختموا على أن يضرروك بشيء لم يضرروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُبِمَت الْأَقْلَامُ، وَخَفَّتِ الصُّحُفُ^(١)

فيسعى لمسهم حين يطلب أمراً من أعمال الدنيا أو الآخرة أن يكون مسحوراً، أن الأمور كلها بيد الله، فهو الذي يقضى الحاجات، ويوفى لطاعات، ويسخى الرحمة ويسخى الرعب، لا أحد غيره يعطى شيئاً أو يمنع، قال تعالى ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِأَنْتُمْ مِنْ رَحْمَةٍ وَلَا مَنَعٍ لَكُمْ وَمَا يُبَدِّلُ فَلَائِمٌ لَكُمْ مِنْ عَذَابٍ﴾ [فاطر ٢]، فوسائل السعي والجد والأخذ بالأسباب كلها وسائل عادية، إذا أراد الله تعالى أن تؤدي إلى المطلوب أدت، وإذا لم يرد، حال بينها وبين ذلك بأسباب أخرى هي مقصي بها في عدم الله تعالى، ومقدر وقوعها في الوقت الذي تحول فيه بين الإنسان وطبسه، وإذا عدم الله تعالى صدق توكل العبد عليه وتفويض كل أمره إليه، أعانه على أمره ووفقه في سعيه من حيث لم يحسب ولم يتوقع

وهذا أمر آخر هو مدعاة لتوفيق الله للعبد وقضاء مطلوبه، عيه أن يحرس عيه ذلك هو تقييد الإنسان في سعيه الديني أو الدنيوي بأحكام الشريعة التي ارتضاها الله لعباده ديناً، فلا يسعى في طلب مهي عنه، ولو كان ظاهر الأمر أن المصلحة فيه، أو أن تركه حرام، فإنه إن أرم نفسه بمحدود الله وقهرها على الرضا بما أحبه الله، وترك ما حرمه عيه انتفاء مرصاته، عوضه الله من حيث لا يحتسب أحمل تعويض، عاجلاً أو آجلاً، فإن القدر عيب، والإنسان لا يعلم منه إلا أساليب ظهيرة، وتصرف ما عاب منه بصرفه الله تعالى كيف يشاء، والله تعالى لا يتحلى عن المطيعين

(١) من الترمذي حديث رقم ٢٥١٦، وقال حسن صحيح

الدين بأمرهم وأوامره، ويقفون عند حدود شرعه، بل يهديهم إلى ما يسعهم، ويسوقهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم، قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْشَى اللَّهَ وَعْدُهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يتصور ظهراً من كلمة العَدَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفُورٌ [الروم ٦]، وفي الصحيح قال ﷺ «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْ سَرَّاهُ شُكْرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْ ضَرَّاهُ صَبْرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١)

الرضا بالقدر لا يناقِي الأخذ بالأسباب

من عند الله تعالى وحكمته في هذا الكون أن وضع له قوانين ثمة، يراها الناس بأبصارهم، ويقفون عليها بمقولهم، من هذه القوانين قانون الأسباب، فجعل سبحانه لتقاء ماء الذكر مع الأنثى سبباً في الخلق، وجعل الزرع سبباً في الإنبات، ووضع اليد في النار سبباً للاحتراق، والتردي من الطائر العلوي سبباً للهلاك، وجعل السعي والجد ثمرته النجاح، والعمل الصالح يؤدي إلى مرضاة الله، والتداوي والرفق يؤدي إلى الشفاء، إلى غير ذلك وهذه الأسباب هي من قدر الله أيضاً فهي الحدث سنن النبي ﷺ «أَرَأَيْتَ رُقِيَ نَسْرَقِيهَا وَدَوَّاهُ تَدَاوَى بِهِ وَنَقَّاهُ نَقَّيَهَا هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالَ هِيَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ»^(٢)، والمسلمات مرتبطة بأسبابها، ارتباطاً عادياً، ليس ارتباطاً عقيدياً، لا يتخلف الشئ، بمعنى أن الله تعالى قدر لها هذا الارتباط المسطقي، الذي لا يتخلف في العادة، إلا إذا أراد الله تعالى تحننه لحكمة، بكرم الله تعالى بها بعض عاده، أو يقهرهم بها ويعذبهم، أو يؤيدهم ويصرهم، كما في معجرات الأنبياء التي أيد الله تعالى بها أنبياءه، وقهر بها أعداءه، وكما في الكرامات التي بطهرها الله تعالى على أيدي الصالحين من عاده

وبذلك يُعلم أن الأسباب لا تؤدي إلى مساتها إلا بقضاء الله تعالى وقدره، وليست بأنفسها، قال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾^(٣) «مَنْ تَحْمِلُونَهُ أَمْ تَحْمِلُ الْغَابِرُونَ» [الواقعة ٥٨، ٥٩]، وقال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾^(٤) «مَنْ يَرْعَوْهُ أَمْ حَرُّ تَرَعُونَ»^(٥) لَوْ شَاءَ جَعَلْنَاهُ حُطاً مَطْلَئَةً يَنْفَكُونَ^(٦) يَنْفَكُونَ^(٧) يَنْفَكُونَ^(٨) يَنْفَكُونَ^(٩) يَنْفَكُونَ^(١٠) يَنْفَكُونَ^(١١) يَنْفَكُونَ^(١٢) يَنْفَكُونَ^(١٣) يَنْفَكُونَ^(١٤) يَنْفَكُونَ^(١٥) يَنْفَكُونَ^(١٦) يَنْفَكُونَ^(١٧) يَنْفَكُونَ^(١٨) يَنْفَكُونَ^(١٩) يَنْفَكُونَ^(٢٠)

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٩٩

(٢) مسر سريدي حديث رقم ٢٠٦٥

من ذلك أن لله تعالى حرم الأسباب التي تؤدي إلى الفساد، فحرم السعي والفساد وسعت الدماء وكل ما يؤدي إلى المهرج، وحرم الحمر والمحدر وكل ما يؤدي إلى فساد العقل، وأمر بالطاعات والبر والمعروف والإحسان وإصلاح ذات البين، لأنها مسببة لمَرْضَاة الله تعالى .

الإيمان بالقضاء لا يناقِي الدعاء برفع البلاء

الدعاء برفع البلاء وسوء القضاء، لا يعارضه أن ما وقع به القصد لا يرد، وأنه لا بد من مصادره، لاحتمال أن يكون الله تعالى قضى بالبلاء والمصائب على العبد، وسبق في علمه أنه إذا دعا الله كشفها عنه، كما قال تعالى ﴿ثُمَّ يُبَيِّنُ الْمُنْظَرَةَ لَهُ دَعَا وَيَكْشِفُ كُتُوبَهُ﴾ [الزلزال ٦٢]، وفي الصحيح «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ ذُرِّكَ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ»^(١)

الاحتجاج بالقدر

لا يجوز للإنسان أن يحتج على كفره أو معصيته أو عمده بالفساد بالقدر، ويقول ما دام كل شيء في الوجود لا يكون إلا بإرادة الله وقدره فما ذنبي، والله هو الذي حقيقي وحلق عملي، واحتار لي ما أنه فاعله، هذه الدعوى أخبر الله تعالى أن الكافر يوم القيامة بقولها ليحتج بها على الله تعالى، وأجاب الله تعالى عنها وله الحق الدللة بأنها حجة باطلة، لا تعي عن صاحبها شيئاً، ولتمسك بها بعد التصريح في القرآن برب الله تعالى إياها وإبطالها ضلالاً ومعصية، قال تعالى ﴿سَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَفَعُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَوْلَا أَنْ تَنْفَعُوهُمْ إِلَّا نَظَرُ رِوْنٍ أَمْ أَسْأَلُكُمْ إِلَّا بِحُجَّتِهِمْ﴾ [الأنعام ١٤٨، ١٤٩]، وقال تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف ٢٠]، والله ﷻ جعل المقدر للعبد من الشقاوة أو الهداية عيلاً لم يطعمه عليه، وهو ما أشد إليه القرآن بقوله ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الزخرف ٢٠] وركب فيه الاستعداد للطاعة والهداية، والاستعداد للمعصية والضلال، وأعطاه الحواس من السمع

(١) مسلم حديث رقم ٢٧٠٧

والنصر ولعقل، وأمر له الكتب، وأمر له الرسل، كل هذه وسائل تدعوه إلى الطاعة والهدية والخير، وركب فيه شهوات حيوانية، وأطماناً نفسية، تترشح إلى العوبة وتسكب طريق الحق. كما أشار إلى ذلك القرآن ﴿أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِنَاكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِنَاكُمْ﴾ [الد ٨، ٩]، ولم يخبره عن الله أحد بأنه قدر عليه الصلابة، أو احتار له الهداية، بل ترك اختيار أحد الطريقين إلى رغبة الإنسان نفسه وإرادته الحرة التي خلقها الله تعالى فيه، وروده بها، كما خلق فيه قدرة الكلام فكلم، وقدرة النصر فصبر، فكما أنه مسئول عن كلامه، وكلامه مسلوب إليه مع أنه لولا قدرة الله تعالى ما قدر عليه، هو مسئول عن إرادته واحتباره وتصرفه، وهذا الاحتيال وهذه الإرادة الحرة التي منحها الله تعالى للإنسان، فكان سوء عيبها يأتي ما يأتي ويترك ما يترك هي التي تحمله مسئولية كل تصرفاته والاحتيال الممنوح للإنسان لا يستطيع عاقل أن يماري فيه، فهو ثابت شرعاً وعقلاً، أما شرعاً فإن الله تعالى أثبت في القرآن للمعد مشيئة، ولم يجعله مسلوب الإرادة، قال تعالى

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [الحاقة، وقال تعالى ﴿بِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَلْ يَسْتَفِيمَ﴾ [التكوير ٢٨]، وقال تعالى ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [المرسل ١٩]

وأما عقلاً، فلأن كل إنسان يدرك من نفسه بالضرورة الفرق بين من دخل الدار ببردته، ومن أدخل السجس عقوبة له، وبين من لطم أحداً على وجهه فاصدأ أده، وبين من سقط من الطائر العلوي فوق علي ظهر أحد فكسره. وكل إنسان يفرق بين حركة يد مشلولة، ترتعش دون إرادة، وحركة يد تتناول الحمر لشربه، أو تأخذ المسدس لتقتل به، ومن لا يفرق بين ذلك لا يكون مع العقلاء

ولا يمكن أن يكون الحكم على يد المرتعش ويد المقاتل سواء، لا في شرع الله، ولا عند ذي عقل سوي. وما دامت للإنسان مشيئة فهو مسئول عن مشيئته؛ لأنه هو الذي عصى الأمر وأكل الحرام وسفك الدماء وقطع الأرحام، وأفسد في الأرض، وهو مثاب عن عمله، لأنه هو الذي صلى وركب وصام وحب وأمر بالمعروف، وأطاع ربه، قال تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة ٢٨٦]، وقال تعالى

﴿لَا يَرْبِيُونَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ صَدِّ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُؤْكَلُوا وَيُقْبَلُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة ٢٧]

ولو كان من يحتج بالقدر على معصيته صادقاً مع نفسه، وإن ذلك هو اعتقاده حقاً لما عصب إذا طعمه ظالم فسلب ماله وانتكح حرماته، إذ لو كان القدر عذراً له يعفيه من المسئولية، لكان عذراً لغيره أيضاً لا يستحق لوماً عليه، وذلك في عادة الفساد لأنه يؤدي إلى دفع العقوبة على الجرائم، وإلى ترك الناس فوضى يفعلون ما يشاءون دون رادع، احتجاجاً بالقدر في زعمهم.

والإسناد مستوف عن أعماله والاحتجاج بالقدر صلال لأن الله تعالى كيف بالعمل ولم يحمل مسئولية القدر لأنه عيب عما، وما ورد من محاجة آدم موسى عليه السلام وقوله له «كيف تلو موسى على أمر قدره الله على قبل أن أحنى» وقول النبي صلى الله عليه وسلم «فحج آدم موسى» فهذا لأن آدم عليه السلام علم أن الله عمر له وقبل نوبته، قال تعالى ﴿مَنْعَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّ غَبْرُ لَه وَتَابَ عَلَيْهِ لَا يَتَرَبَّ عَنِ احْتِجَاحِهِ بِالْقَدْرِ مَحْذُورٍ لِأَنَّ اللُّومَ عَلَى الذَّنْبِ شَرْعِي لَا عَقْلِي، فَإِذَا عَمَّ ارْتِفَاعُ الدِّبِّ بِالشَّرْعِ فَيَسَّ هَاكِ مَحْذُورٍ يَتَرَبَّ عَلَى الْاِحْتِجَاحِ بِالْقَدْرِ وَهُوَ مَا فَعَلَهُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بخلاف غيره ممن لم يطلع الله على ما يتول إليه أمره.

أفعال العباد والأخذ بالأسباب

الأحد بالأسباب واجب، ونصوص القرآن والسنة تطلب ذلك من الناس، وتكرر الطلب بما لا يسع المسلم إغفاله ولا تجاهله، فمن قعد عن الأسباب حملة، أو سبب الأضرار التي تؤدي إلى ما حرمه الله، فقد عصي الله ورسوله من البداية، مهما كانت حجة على ذلك، لأن الله تعالى أمره بأمر فعصاه، ففساد حاله يقول لا أفعل ما أمري الله تعالى به، وذلك كاف لاستحقاقه عذاب الله وعصه^(١)

١) قد هو صحيح في سائر أفعال العباد وقد حانقوا في ذلك من أصحاب الفرق الأشعرية والمعتزلة والنجارية ١) الكسب عند الأشعرية غير الأشعرية عن أفعال العباد بالكسب، فقالوا أفعال العباد هي كسب العبد لا فعله، وعرفوا الكسب بأنه مقاربه القدرة الحادثة بفعل من غير تأثير فيه، ففسدوا بقولهم من غير تأثير فيه فلو أن العبد كان العبد حائز لأفعاله، وقالوا ما كسب كسباً من قول المجتهدين أن الإنسان مسؤول لإرادته بالكسب لكن حقيقته الأمر أن إرادته من قول المجتهدين أو فعله في حيز محض، وهو ما عرفت أنه يقولون بالأسباب يصطفي في صورة مختار حتى إن إرادته قد عجزت لتعجز يظهر أن الكسب اسم بلا معنى فلهذا يقولون ليس فعل الكسب عامر غير واضح، حتى إن منهم من يسمي الكسب فعلاً لا مدعى فما يصدر من عباد الله هو عليه من فعل الله ولا هو من فعل العبد فهو كذا من فعل الله لئلا يحسب =

من طلب الهداية هداه الله

المتبع لأبواب القرآن الكريم يجدها تؤكد على حقيقة ثالثة لا تتحجب، وهي أن الله ﷻ لا يحب من بذل جهده، وأعطى ما في وسعه، وسعى إلى الخير ما استطاع، وأن من أحسن لطريق الأخرى حذله وأصله وطع على قلبه فمن طلب الهداية هداية الله، ومن أعطى وتصدق بسره لليسرى، ومن جاهد في الله أمارته سببه، ومن تكسر وتحجر طبع له على قلبه، ومن ظلم أصله الله، ومن راع أراع الله قلبه فوفيق الله ليعبد وهديته إلى الخير يكون لمن حرص على ذلك، وأخذ بأسباب الهدية وعزم على الطاعة، وحذلان العبد وإصلاحه وسوقه إلى الخيبة وسوء المصير يكون لمن فرط ونكص على عقبيه، وضل طريقه، قال تعالى ﴿مَنْ مِّنْ أَعْمَىٰ وَاتَّقَىٰ ۖ ﴿١٧﴾ وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ ۖ ﴿١٨﴾ فَسَرَّ لِلْيَتْرَىٰ ۖ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَلَّ وَاسْتَفَىٰ ۖ ﴿٢٠﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ۖ ﴿٢١﴾ فَسِيرًا لِلْيَتْرَىٰ ۖ ﴿٢٢﴾﴾ [الليل ١٠ - ٢٢]، ﴿وَأَيَّدَ أَهْدُوا رَاذِقَهُ هُدًى وَآثَمَهُمْ قَوْمَهُمْ﴾ [محمد ١٧]، ﴿وَقُلْ لِّعَسَاوَىٰ فُتْرَىٰ اللَّهِ عَمَلُكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة ١٠٠]، ﴿وَيَسْأَلُ اللَّهُ لَطِيفِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم ٢٧]، ﴿وَمَا يُصَلِّ بِهٖ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [القرة ٢٦]، ﴿لَمَّا رَاغَا رَاغًا

= فوجہ اُن یکتو۔ یہ مصنفہ ناظمہ و ہذا داخل و تو کات من فعلی مُد تکا اُحد مٹ کُنہ فی لُعد ہ مد
صحن لایا۔ یہ کہ لا حقیقہ و قد تیس صعب حد سُعر یہ

٢ عدد عند محمديه يقول: ان الله يفعل الاشياء عذريته ومشيته هو حتى انه قد خلق
 من يصب بأخذه وما يفعل تعالى وما قضيه تعالى وتولاه تعالى واستدلوا على ذلك بقوله تعالى وما
 يصم من صم ولا يسمع من سمع الا في كتاب وانزل عنهم ذلك لايه وأما انهم مما يدل على ريادة
 صم بعد صم وعينه راجع ذلك محمول على ما في التلويح لمحمود لا ما في عدمه لانه لذي هو
 أم الكتاب فإنه لا يصم ولا يسمع الا أنهم قالوا ان الله يفعل بقدره خلقه أنه فعله لأنه لو لم يكن الله
 يفعل ما يشاء لعذريته لما صح أن يعاقب على أفعاله لأن عذريته على ما لم يفعله من خلقه وأنه صم عني
 خلقه ما حملوا أصواتهم لخصمه تقوم على الله والتوعد والتوعد والتوحد وتصره من تصره ولأنهم

٣. يكون من غير سوء يقول: يا نعيم انجسحت فهدم هؤلاء الامم التي كانت له ردة فهو كالرئيسه لمعلقه في جهنم فلا يوجد تأثير لاساس عليمه في مآلاتها واستندوا على ذلك يقول النبي * «وَمَنْ أَحَدَكُمْ يَمْلِكُ بِمَعْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْتِهِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَقَدْ أُولِيَ الْكِتَابَ، فَيَمْلِكُ بِمَعْلَى أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ يُدْعَى أَحَدُكُمْ بِمَعْلَى أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْتِهِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَقَدْ أُولِيَ الْكِتَابَ، فَيَمْلِكُ بِمَعْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ يُدْعَى أَحَدُكُمْ بِمَعْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ» صحيح البخاري رقم ٧٤٥٤ وأصح من هذا ما في النبي ﷺ عند ذكر ذلك أولا سكن على كتابة ونوع العمل؟ قال ﷺ لا، اعملوا فكل من عمل لنا خلت له صحبه البخاري رقم ٤٩٤٩

اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الف ٥]، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ حَبِيرًا﴾ [احزاب ٣٥]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا﴾ [المكوت ٦٩]، وفي الصحيح قال ﷺ أَفْكُلُ مِيرَ لِمَا خُلِقَ لَهُ^(١).

الشر لا ينسب إلى الله - تعالى -

على المسلم أن يعتقد أن جميع ما في السماوات والأرض من الخير والشر، والحركات والسكنات، والأوامر والنواهي، وما كان وما هو كائن منه محبوب لله تعالى، مقصي به، وفق مشيئة الله تعالى وإرادته وعلمه، لا يعرب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، فكل ما يكون في الوجود هو بقضاء الله وقدره، قال تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القدر ٤٩]، وقال تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُرَآهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد ٢٢]، لكن الشر لا ينسب إلى الله تعالى، فلا يقال لله حلال الشر، وذلك لما يأتي

١ ما يقتضيه العدم من الذنوب والشر والآثام، فهو وإن قدره الله فهو من كسب العبد ونسبه، ولذلك فهو منسوب إليه، ولا ينسب إلى الله تعالى؛ لأنه نهى عنه وحذر منه، وأمر بصدقه والعبد احتار من نفسه الشر وفعله فهو من عمله وكسبه، قال تعالى عن المنافقين ﴿وَلَنْ تُصِيبَهُمْ حَسََّةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُلْ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [النساء ٧٨] فالكل من عند الله إيجاباً وقدرًا، ثم رد الله تعالى عليهم ووصفهم بأنهم لا يفقهون كلام الله ولا يبرئونه من أمره، فإن الأشياء وإن كسب كلها من عند الله إيجاباً وقدرًا، فإن السيئات والبلايا إنما تنسب إلى أصحابها لذين عملوا ما يستحقون به تلك البلايا، ولذلك قال تعالى ﴿قُلْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسْرَةٍ فِي شَيْءٍ مِنْهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ نَجْصٍ﴾ [النساء ٧٩، ٨٠]، وقال تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آيِسُونَ فَرِحْتُمْ بِهَا وَيَسْتَعْمِلُونَ كَيْدَ بَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ﴾ [التورى ٣٠]، وقال تعالى ﴿أَوَلَمْ آتِكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ بِمِثْلِهَا فَلَمَّ آتَى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [إبراهيم ١٦٥]

(١) البخاري حديث رقم ٧٥٥١

٢ الله ﷻ لا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفضشاء، ولا يحب الفساد، وكل أحكامه وأوامره حكمة وحير، فلا ينسب إليه فعل الشر، لأنه أحكم الحكمين، وأرحم الراحمين، الخير بيديه والشر ليس إليه، فلا يقال: الله خالق الشر؛ لأن ما قدره من شر ليس شرًّا محضًا، بل فيه حكمة ومصلحة، وهو حير وإحسان مراعاة لهذه الحكمة، فما يصيب الإنسان من ألم ومرص وفقر وحوف كل ذلك فيه رحمة ومصحة عرف بعضها، كالإنتلاء والتمحيص، وتكفير الذنوب، ورفع الدرجات، وحفي عليها بعضها

وله تعالى لم يخلق الشر لأنه شر، بل خلقه للحكمة المترتبة عليه فهو برل المطر مثلاً في ليلة شتاء باردة، فأصاب من كان بيت في العراء وليس له مأوى، فرب المطر بالنسبة إليه سوء وأذى، لكن الله تعالى أمره لم يدفع تبع اسلاد والعداء، وهو يعلم أن أذاه يصيب فلاناً من الناس، وله في إصابته به حكمة، إما عقوبة له بعصيته، وإما انتلاء وتمحيصاً، لرفع مرتبته، وإما غير ذلك

ولذلك قال تعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النقرة ٢١٦]، ولما سألت الملائكة الناري ﷻ ﴿قَالُوا أَتَمَلَّ فِيهَا مَنْ يُفِيدُ فِيهَا وَتَسْفِكُ الْيَمَاءَ وَتَحْمِلُ نَجَسًا وَتَقْدِسُ لَكَ قَالَ بَلَىٰ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النقرة ٣٠]

قد يقال إن من القضاء ما هو في نظر الناس شر محض، كالقضاء على الكافر بالكفر، فلا تظهر في ذلك وجه مصلحة له مع أن الله قدره، فالجواب: كون ذلك شرًّا هذا صحيح، ولكنه شر في حق المخلوقين، وأما في حق الخالق فإنه يفعل ما يشاء، والشر لا يعرف كونه شرًّا إلا لله تعالى، والله تعالى عه، والناري ﷻ هو ذلك كنه، فليس أحد ينهه عن شيء، فلا يصح الحكم عليه بقانون المخلوقين

ولو أن لله تعالى عذب أهل السماء وأهل الأرض نعبهم، وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم كما جاء في الحديث^(١)

(١) أبو داود حديث رقم ٤٦٩٩

كراهية الخوض في القدر

القدر من الغيب الذي ستره الله تعالى عن العباد، فهو سر من أسرارهِ، احتص به وحده عن عقول الخلق، لما علمه من الحكمة في ذلك. فم يعلمه سي مرسل ولا مدح مقرب^(١). وكان السلف الصالح أصحاب رسول الله ﷺ، وكبار التابعين حير القرون وهم القدوة يكتفون في مسألة القدر بالإيمان بأن الله تعالى عدم مقدير الأشياء وأمرها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سنن في علمه أنه يوحد، فكل أمر في الوجود هو صادر عن علمه وقدرته وإرادته، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ولا يريدون على ذلك. فلا يكتفون أنفسهم البحث عن أسرار القدر، مثل هل الإنسان مسير أو مُحير؟ وإذا كان مسيراً فكيف يعده له تعالى عن فعله وهو مسلوب الإرادة؟، وإذا كان مُحيراً فأين قدرة الله التي يحصع لها كل شيء في الوجود؟. بل كانوا يحذرون من ذلك، ويقوضون أمور القدر كلها إلى الله، قال تعالى ﴿لَا تَتْلُو عَنَّا فِئْلَ وَهُمْ يَشْتَكُونَ﴾ [الأنبياء ٢٣]، وفي حديث عمرو بن شعيب، قال «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس سكمون في القدر، قال: وكأنما تلقأ في وجهه حب الرمان من العصب قال: فقال لهم ما لكم تصربون كتب الله بعضه بعض، بهذا أهلك من كان قبلكم»^(٢)، وروي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «إذا ذكر القدر فأمكوا»^(٣)

(١) انظر فتح الباري ٢٧٧/١٤

(٢) حشد مع فتح الباري ١٤٢، ١ وسر ابن ماجه ٢٢/١. وقد توضيري في ذلك من ماجه اسناد صحيح ورجاله ثقات، وقوله (وأنما تلقأ في وجه حب الرمان) أي احمر من العصب

(٣) قال الحافظ في فتح الباري ٢٧٧/١٤ أخرجه الطبراني سند حسن

علامات الساعة

الساعة لا يعلم وقتها إلا الله

[illegible]

وقد ذكر لما أنبى ﷺ علامتها، وروع العلماء هذه العلامات أنبى نوعين، علامت
كبيرة ملاصقة للساعة، وعلامات صغيرة مسانقة عن ذلك

(۱) انسدادی حالت رقم ۵۰

العلامات الصغرى:

من العلامات الصغرى التى ذكرها النبى ﷺ ما جاء فى الصحيح من حديث حبريل المتقدم «وَسَأَخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَةُ رَيْثَهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُغَاءُ الْإِبِلِ الْبُتْهُمُ فِي الْبَيْتَانِ»^(١)، ومعنى ولدت الأمة ريثها، إذا ولدت المرأة من يريها، أو من بسوء معدنها ويعقها ويسها ويصرها، كما يعامل السيد أمته. والمراد أن من علامات الساعة انعكاس الأمور، واحتلال المقاييس، وانقلاب الموارد، بحيث يصير السافل عالياً، ومن يستحق التربية والتأديب يصير مؤدناً مريباً، وهو معنى ما جاء فى الحديث الآخر المخرج فى الصحيح عندما سئل النبى ﷺ عن الساعة؟ قال «إِذَا وَشَدَّ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَاتَّظَرِ السَّاعَةَ»^(٢)، وفى الصحيح عن النبى ﷺ «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزُّنَا، وَتَكْثُرَ السَّاءُ وَيَقِلَّ الرَّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِحَمِيْنٍ امْرَأَةٌ الْقِيَمُ الْوَاحِدُ»^(٣)

وفى الصحيح من حديث أبى هريرة، قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقَابِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاثْنُلْهُ إِلَّا الْمَرْقَدُ فَهُنَّ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»^(٤)، وقال ﷺ «يُعِثُّ أَمَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرَأُ بَيْنَ إِصْبَيْهِ السَّابَّةَ وَالْوَسْطَى»^(٥)

وفى الصحيح من حديث أبى هريرة، قال رسول الله ﷺ «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ بَيْنَانِ عَظِيمَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوْتُهُمَا وَاجِدَةٌ وَحَتَّى يَبْمَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَحَتَّى يَقْبِضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ وَهُوَ الْقَتْلُ وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيُضَيِّضَ

(١) صحاري حديث رقم ٥ وشبهه السوء ويصح أن يكون صفة لرعاة ويصح أن يكون صفة للإبل

(٢) صحاري حديث رقم ٥٩ وَشَدَّ أَيَّ اسْدَ

(٣) صحاري حديث رقم ٨١ وكثرة الساء قد تكون سب كثره النفس والحروب فكثير لفضل في لرحا، فلهذا

ويكثر ساء وقد يكون أن لغة يهلب في آخر الزمان أن من يؤمن من لآيات أكثر ممن يؤمن من اندكو

(٤) مسلم حديث رقم ٢٩٢٢ والهرج هو من شجر الشوك، فل هو لموسحه نعطسه وهو شجر معروف

نصبه بضم نون

(٥) مسلم حديث رقم ٨٦٧

حَتَّى يُهَمَّ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَحَتَّى يَغْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ الَّذِي يَغْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي بِهِ وَحَتَّى يَنْظَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبَيَانِ وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ يَمِي أَمْوَا أَحْمَمُونَ قَدْلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ لَمَنَّا مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّحْلَانِ تَوْبَهُمَا يَتَنَهُمَا فَلَا يَبْتَاعَانِيهِ وَلَا يَطْوِيَانِيهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انصَرَفَ الرَّحْلُ بِلَبَنِ لِفَحْتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يُلْقِي فِيهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتُهُ إِلَى فِيهِ، فَلَا يَطْعَمُهَا^(١) وفي حديث عبد الله بن عمرو «لا تقوم الساعة حتى تتسافدوا في الطريق تسافد الحمير»^٢

العلامات الكبرى

علامات الساعة الكبرى التي تصحبها حديث حذيفة بن أسيد عن مسهم، هي خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وظهور يأجوج ومأجوج، وحروج الدابة تكلم الناس، وطموع الشمس من مغربها، وحسف بالمشرق، وحسف بالمغرب، وحسف بحريرة لعرب، ولدخان، والريح التي تقصر أرواح المؤمنين، واحر ذلك نار تحرق من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم^(٣)، وفيما يلي بيان ما يحتاج إلى تفصيل

١ خروج الدجال

ويسمى المسيح لدخان =الحاء والخاء وهو رجل، ذكر رسول الله ﷺ من صفته أنه أعور العين اليمنى^(٤)، كذاب، يدعى الألوهية، يمكث في الأرض أربعين يوماً، مكتوب على جبهته أنه كافر (ك ف ر)، يقرأ ذلك كل مؤمن كاتب وغير كاتب، يقتل الناس عن دينهم بما أعطى من حوارق العادات وغرائب الأمور، فيشب من أراد الله تثبيتته من المؤمنين، فيعلمون أنه الدجال ولا يخدعون به، ويصل الله تعالى

(١) البخاري حديث رقم ٧١٢١

(٢) مختصر روضة مسند ج ٢/ ١٨٤ وقال صحيح والسند من تعداد مروا الذكر على لأش

(٣) انظر شرح مسهم ٢٨/ ١٨

(٤) جاء في حديث الحسن عنه أنه أعور العين اليمنى، وورد في صحيح مسند من حديث حذيفة (أعور العين

يسرى)، قال عاصمي عاصم المصنوعة والمصنوعة التي ذهب بورها هي اليمنى، واليسرى طاعة (بدره

و مرور منها بمعنى الحب وليس دعاب النصر)، انظر فتح الباري ٢١١/ ١٦، وسلم حديث رقم ٢٩٣٤

«حريين، ولا يسعه إلا كاهن أو صافق، ويظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدينة فلا يدخلها، قال ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَبَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ»^(١)

وفي حديث الواس بن سمعان، قال «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ عَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَقَّعَ^(٢) حَتَّى ظَنَّا فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ قُلْنَا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ عَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَقَّعْتَ حَتَّى ظَنَّا فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَقَالَ خَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجَ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجَ وَلَيْسَ فِيكُمْ^(٣) فَأَمَرُوا حَاجِبَ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطَ^(٤) عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعُرَى بْنِ قَطَنِ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ حَلَّةً^(٥) بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ بَيْبَا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ هَاتِبُوا قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ أَرَبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمَ كَسَةِ، وَيَوْمَ كَشَّهَرٍ، وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ. قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَةِ أَنْكَبِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ لَا أَقْدِرُوَالَهُ قَدَرُهُ. قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِسْرَافُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ كَالنَّيْتِ اسْتَذْبَرْتَهُ الرِّيحُ قِيَّامِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ قِيْلُومُونَ بِهِ وَيَسْتَحْيِيُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطَرُ وَالْأَرْضُ فَتَنْبِتُ فَتَرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلُ مَا كَانَتْ دُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَهُ خَوَاصِرَ^(٦). ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَضْرِبُ عَنْهُمْ فَيَضْرِبُونَ مُنْجِلِينَ^(٧) لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمْرُ بِالْخَرِيبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزِي فَتَبْعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّخْلِ^(٨)، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمَثِّلًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ

(١) سنن أبي داود حديث رقم ١٨٨٦

(٢) خَفَّضَ أي حفر من شانه ورفع أي فحم ومن تَقَمَّصَهُ فتنه وتلمحه به

(٣) وهذا معمول على أن ذلك كان من أي يَسِي نَسِي ﷺ وفي خروج، فحور أو يجرح في حاته، ثم يبرحه تعالى له تأخر خروجه، انظر فتح الباري كتاب الفجر ٢٠٩/١٦

(٤) اعطط شديد حمود، شعر

(٥) انجده حكا- بن شبيب مثل بقعة الحدود بين الشدين

(٦) فروع عنه سارحهم - نوح الحصى أو العاشه التي تسرح أو - لها إلى المعرى تروح آخر لها من مسته شحنا مرتفعه لأسه كبيره فروع لامتلائها بالناس

(٧) منجدين - حجل يسر لأرض من الشعب من فله المنظر

(٨) يعاسبه سحر أي جماعه لسحر

بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ حَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغَرَضِ^(١) ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ بِضَحْكٍ^٢

وفي الصحيح من حديث أبي مسعود وحذيفة رضى الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ «إِنَّ مَعَهُ نَهْرًا مِنْ مَاءٍ وَنَهْرًا مِنْ نَارٍ فَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ نَارُ مَاءٍ، وَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ مَاءُ نَارٍ فَمَنْ أَذْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأَرَادَ الْمَاءَ فَلْيَسْرَبْ مِنَ الَّذِي يَرَاهُ أَنَّهُ نَارٌ فَإِنَّهُ سَيَجْعَلُهُ مَاءً قَالَ أَبُو مُسْعُودٍ هَكَذَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ^(٣)»

وكذا النبي ﷺ يستعيد في صلاته من فتنة الدجال

٢- نزول عيسى ﷺ

يحب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يقتله اليهود وإن شئ لهم ذلك بل رفعه الله تعالى إليه، وأنه لا يزال في السماء، سرب في آخر الزمان بأمر الله تعالى، فيكسر الصليب، ويقتل الحبرير ويصع الحجرية، ويصير الحق، ويقوم لعن في الأرض، ويحكم بشريعة نبي محمد ﷺ، ويقتل المسيح الدجال، ثم يبقى ما شاء الله له في الأرض، ثم يموت ويدفن قال الله تعالى مَكِدًا لِيَهُودَ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَلَوْ كَانُوا اعْتَنَفُوا بِهِ لَأَبَى شَيْءٌ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء ١٥٨]، وقد وقعت الإشارة في القرآن إلى مولده، قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ بَيْنَ أَعْيُنِ النَّاسِ وَبَيْنَ أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء ١٥٩]، قال الحسن في معنى ﴿قَتْلَ مَوْيِدٍ﴾ أي قتل موت عيسى عليه السلام، والله إنه لحبي الال عند الله، ولكنه إذا برز أموا به أجمعون^(٤)

وقال تعالى ﴿وَلَا يُلْمُ إِلَّا السَّاعَةِ فَلَا تَنسَوْنَهَا﴾ [الزخرف ٥١]، وفي الصحيح من حديث النواس بن سمعان المتقدم «بَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ بَيْتِ مَرْيَمَ^(٥) وَاضِعًا كَفَّهُ عَلَى

(١) حرس أي طعن ورمة الغرض أنه يكون بين القطعين مسافة ربه الله

(٢) مسلم حديث رقم ٢٩٣٧

(٣) مسلم حديث رقم ٢٩٣٥

(٤) انظر التمهيد ٢٠٤/١٤، وتفسير القرطبي ١١/٦

(٥) وانظر تفسير القرطبي ١٠٤/١٦

(٦) مهوروتين أي لاس ثوبير مصوغ

أَخْبَحَهُ مَنَكَيْنِ إِذَا طَاطَا رَأْسُهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَخَدَّرَ مِنْهُ جَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ^(١) فَلَا يَجِلُّ لِكَابِرٍ
يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَتَوَيَّ حَيْثُ يَتَوَيَّ طَرَفُهُ فَيُظَلِّبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بَابٌ لَدَى قَيْقُتُلَهُ
ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُخَدِّثُهُمْ
بِدُرِّحَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ^(٢)

٣- خروج ياجوج ومأجوج: جاجوج

ياحوج ومأجوج هم قوم من البشر مفسدون، عددهم كثير، لا يعلمه إلا الله تعالى، يخرجون في أيام نزول عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله جميعاً في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم^(٣)

وقد ذكر له تعالى ياحوج ومأجوج في القرآن وحروجهم، فقال تعالى ﴿حَتَّىٰ يَذُفُّوا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(١) وَقَرَّبَ الْوَعْدَ الْيَوْمَ فَوَدَّ أَنَّ شُعْبَةَ أَخَصَرُ الْإِنِّ كَفَرُوا تَوَلَّيْنَا قَدْ كُنَّا فِي عَقْلٍ مِنْ هَذَا مَلَكُ كُنَّا طَائِفِينَ ﴿الْأَنْبِيَاءُ ٩٦، ٩٧﴾، وقال تعالى ﴿ثُمَّ أَنجَسْنَا﴾^(٢) حَتَّىٰ يَذُفُّ مَطْبَعُ الشَّمْسِ وَجَنَفَ تَطَلُّعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَحْمِلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا شَيْئًا^(٣) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِمْ خَبْرًا^(٤) ثُمَّ أُنْجَسَ سَنَّا^(٥) حَتَّىٰ يَذُفُّ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَحَدَّ مِنْ دُونِهِمْ قَوْمًا لَا تَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا^(٦) فَأَلَوْ بِهَ أَفَرَّيْنَا بِمَا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُبْشِرِينَ فِي الْأَرْضِ لَهَلْ يَحْمِلُ لَكَ حَمْلًا عَلَىٰ أَنْ تَعْمَلَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ نَدًّا^(٧) قَالَ مَا مَكِّي بِهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِصُوا بِقَوْلِهِ تَعْمَلُ يَكْفُرُ وَيَسْمَعُ رَدْمًا^(٨) ءَأَتَوِي رُبِّيَ الْخَبِيرَ حَتَّىٰ يَذُفُّ سَاوِي بَيْنَ الصَّافِيَيْنِ قَالَ تَعْمَلُ حَتَّىٰ يَذُفُّ حَصْبٌ نَارًا قَالَ ءَأَتَوِي أَفْرِجَ عَلَيْهِ فِطْرًا^(٩) فَمَا اسْتَطَعُوا أَلْ يَصْهَرُوا وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ يَنْفَ^(١٠) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَمَعَهُمْ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿الْكَهْفُ ٨٩، ٩٠﴾ وَوَيْتَعَتْ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بَحِيرَةٍ فَيَسْرُبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُخَصِّرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَخْدِمَهُمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَخْدِمَهُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّفْعَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُضْحِكُونَ فَرَسَى كَمَوْتَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهَيِّطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا

(١) و حصى - جاء يجلل به كدلول في صفاته

(٢) مسلم حديث رقم ٢٩٣٦

(٣) نظر مسلم الحديث رقم ٤٤٨

يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شَيْءٍ إِلَّا مَلَأَهُمْ رَهْمُهُمْ وَتَنَّهُمْ فَبَرَّغَبَ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَبَرَّسِلَ اللَّهُ طَيْرًا كَأَفْطَانِي الْبُحْتِ فَخَمِلَهُمْ فَتَطَرَّحَهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ يَتٌّ مَذْبُورٌ وَلَا وَبَرٌ، فَيَغْلِي الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ، ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْجِي نَعْمَتِي وَرُدِّي بَرَكَتِي يَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ وَتَسْتَظِلُّونَ بِقِحْمِهَا وَيُبَارِكُ فِي الرُّسُلِ حَتَّى أَنْ اللَّفْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفَقَامَ مِنَ النَّاسِ»^(١)

٤- طلوع الشمس من مغربها

من علامات الساعة العظمى خروج الشمس من جهة الغرب على خلاف العادة، ودلت عندما يريد الله تعالى ذلك، إيداً سداية التعيرات العظيمة في العالم العنوي المؤدة قديم الساعة، وحيتند لا تقبل توبة من لم يتب، ولا يقع نفساً إيمانها لم تكن امتت من قبل، ولا يقع العمل الصالح من لم يعمل قبل ذلك، قل تعالى ﴿يَوْمَ بَأْسٌ شَدِيدٌ لِّأَنْبِيَائِكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام ١٥٨]، وللمرآد بعض آيات ربك عند جمهور المفسرين طلوع شمس من مغربها

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة المتقدم «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ قَرَأَهَا النَّاسُ أَمْوًا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»^(٢)، والسبب إذا شهدوا ذلك حصل لهم الإيمان الضروري بالمعانية، ولم ينو للإيمان بالعبس موضع، فهو يمان المصطر، كالإيمان عند العرعة وحروج الروح، وهو إيمان فرعون الذي رده الله تعالى عليه عند العرق

٥- خروج الدابة

خروج دابة تكلم الناس من الآيات الكبرى لقيام الساعة، وقد وقع الإشارة إليه

(١) مسند حديث رقم ٢٩٣٦ ومضى فبرع سي الله على أي يدعو له، وشعب دود يكون في أبواب الإنس وهم وقرسى قنى وهمهم دسهم والشعب نوع من الأسن، ولا يكر لا يصح من برون المطر، وسبر عير سدر وكأثره كالأثر في صفاتها وأنصاه لجماعه ونحسها تدوير لشرتها، ورسول من ونصحه الله العربية العهد من الولاده، وأنصاه لجماعه الكثرة، نظر شرح مسند

في الفرد، قال تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [الزلزال ٨٢]، وهي من الآيات التي يقفل مع خروجها باب النومة، فهي مصاحبة لطلوع الشمس من مغربها أو قرية منها، فهي الصحيح قال ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجُ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ صُحُيٌّ وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَإِلَّا أُخْرِجَتْ عَلَى إِيْرَهَا قَرِيبًا»^(١)

وتعرج لدنة لتكلم الناس وتغير المؤمن من الكافر، تكميلًا لمقصود من إغلاق باب النومة

٦- الريح التي تقبض أرواح المؤمنين

في حديث لنؤاس بن سماعيل المتقدم ... «فَيَتِمَّا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَانِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَحُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»^(٢)، وفي الصحيح عن عائشة قالت قال ﷺ «ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفِّي كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَيْرٌ مِنْ إِيْمَانٍ فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ»^(٣)، وفي حديث عبد الله بن عمرو في الصحيح عن النبي ﷺ «... ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِقَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ حَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ. قَالَ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَنْشَلُّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ أَلَا تَنْجِييُونَ؟ فَيَقُولُونَ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ ذَارٌّ رِزْقُهُمْ حَرَنَ عَيْبُهُمْ»^(٤)، وفي رواية «وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَحُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»^(٥)

ولاحديث الصحيحة تدل على أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الجن وأه

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٤١

(٢) مسلم حديث رقم ٢٩٣٧

(٣) مسلم حديث رقم ٢٩٠٧

(٤) مسلم حديث رقم ٢٩٤٠

(٥) مسلم حديث رقم ٢٩٣٧ وينها جود تهاجر الحمر أي يجامع الرجال النساء أمام الناس كما يفعل لحيير

لا يبقى إلا من لا حير فيه يومئذ فتأخذهم الساعة نعة، ولا سطور، جاء في الصحيح ق. ﷺ «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللَّفْحَةَ فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّحْلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِيطُ فِي حَوْضِهِ فَمَا يَصُدُّ حَتَّى تَقُومَ»^(١)، وفي رواية «... وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبْسٍ لِفَحْتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَنْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أَكُنْتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»^(٢)

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٥٤

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٥٦٠٦

العالم الآخر

أحوال العالم الآخر لا تخضع للقياس

يعتبر الإنسان مشاهد العالم الآخر من حين الاحتضار ووقوفه على أعقاب الموت، ثم تنع عليه المواقف بعد ذلك حتى تنتهي به إما إلى الجنة، وإما إلى النار وعالم ما بعد الموت يجب على الإنسان أن يسلم فيه بما ثبتت صحته منصوص الوحى، ولا يريد ولا ينقص، فلا يقيس تلك الأمور العينية بعقده، ولا يربطها بمبررات الدنيا، فإن لكل عالم مقاييسه ومواريه، فإذا استعملت مقاييس عالم في عالم آخر احتلت المقاييس وتناقضت الموارد، وضل القانس الطريق، كمن يريد أن يقيس السموات وتعد ما بين الأفلاك والمجرات بالسنتيمترات، بدل السبيل الصوتية، فإنه يفسد عمره ولن يظهر نطاقا. فأحوال العالم الآخر كلها من أمور الغيب التي يجب التسليم والإيمان بها على النحو الذي جاء في القرآن وسنة النبي ﷺ، وهي أمور لا يعترض عليها بعقل ولا قياس، ومن توقف فيها أو اعترض، فقد خسر وحرم الإيمان وقد جاء في القرآن والسنة الصحيحة وصف لكثير من هذه المشاهد، وفائدة ذلك أن يسهل لمن هم صائرون إليه، فيحملون أنفسهم على الأحكام والأساليب التي تحيهم من عذاب الله وأهوان ما بعد الموت، ويتصرعون إليه تعالى أن يحفف عنهم شدة تلك المواقف^(١)

وفيما يلي عرض هذه المشاهد التي يمر بها الإنسان من حين الاحتضار إلى أن ينتهي به الأمر إما إلى العيم وإما إلى الجحيم أعاذنا الله تعالى من النار بقصده وكرمه

(١) انظر فتح الباري ١٨٦/١٤

أحوال الموت والبرزخ^(١)

الموت

الموت يكون عند انتهاء الأجل، بخروج النفس ومفارقتها للبدن، ويتولى قبضها ملك الموت الذي وكل بقص الأرواح، والموت له شدة ومسكرات، قال تعالى ﴿وَمِنَ امْرَأَتٍ سَكَرَتْ لَمَوْتِهَا فَتَلَقَىٰ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [سورة ق: ١٩]. وشدة الموت ومكابدته على المؤمن أثناء خروج الروح، أو سهولته ويسره لا تعنى شقاء الإنسان أو سعده، فقد يشتد الموت على السعيد لرفع درجته، وقد يسهل على العاصي لحكمة يعلمها الله تعالى، وفي الصحيح عن عائشة قالت: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَنَبَّأُ بِمَوْتِهِ أَوْ عُتْبَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فَيَجْعَلُ يَدْخُلُ يَدَهُ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِمَوْتِ سَكَرَاتٍ، ثُمَّ نَضَبَ يَدَهُ فَيَجْعَلُ يَقُولُ فِي الرَّيْقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ»^(٢)، وكذب عائشة تقول «مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَيَسَّ حَاقِيَّتِي وَذَاقِيَّتِي، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَخِي أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ»^(٣)، وفي الصحيح عنها قالت «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَنِيهِ الْوَحْءُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٤)، وفي رواية عنها «مَا أَغْطِ أَحَدًا بِهَوْنِ مَوْتِ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٥)

(١) مخرج ما بعد الموت إلى الآخرة

(٢) صحاح حديث رقم ٦٥١٠ وفي الترمذي (الأعلى أي مع جماعه الملائكة ونسب في أعلى عرشه، نظر

فتح ساري شرح حديث رقم ٦٥١٠

(٣) صحاح حديث رقم ٤٤٤٦ والمراد (حافتي وذافتي) أمه ﷺ مات وهي مسنة له على صدرها، وهو

معنى حديث (ابن سحري وسحري)

(٤) صحاح حديث رقم ٥٦٤٦

(٥) الترمذي حديث رقم ٩٧٩ ونظر عارضة الأحاديث ٢٠١/٤، والمصنف ٣٣٦/١

والطيبون من المؤمنين تسلم عليهم الملائكة عند قصص أرواحهم، وتشهرهم بالجنة، قال تعالى ﴿لَبُدَّ تَوَفُّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِفِينَ أَنفُسُهُمْ فَالْقَوْمَ النَّارَ مَا كَانَ يَكُنُ لَكُمْ تَعْمَلُ مِنْ شَوْءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل ٣٢]، وقال تعالى ﴿إِنَّ إِلَیْكَ قَائِلُونَ رَبُّ اللَّهِ ثُمَّ تَتَّبِعُوا مَنَازِلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَاجِكُ إِلَّا عَاقِبُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [صافات ٣٠] أما الظلمة فإن الملائكة تشهرهم عند قصص أرواحهم بالنار، قال تعالى ﴿لَبُدَّ تَوَفُّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَائِفِينَ أَنفُسُهُمْ فَالْقَوْمَ النَّارَ مَا كَانَ يَكُنُ لَكُمْ تَعْمَلُ مِنْ شَوْءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الحل ٢٨، ٢٩]

أما لكبر، فقد أحمر الله تعالى أنه يذيقه العذاب عند حروح روحه، وأن الملائكة تصره وتخزيه، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمَلَائِكَةُ فِي عَمَزَاتٍ يَقُولُ وَالْمَلَائِكَةُ يَبْسُطُونَ أَيْدِيَهُمْ أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنت من بين الذين فسدت فاستكبرون﴾ [الأنعام ٩٣]، فقد جاء عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أن ذلك عند الموت ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَبْسُطُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الأنعام ٩٣]، يعني بصربوا وحوه الكفار وأديارهم، كما قال تعالى ﴿فَكَفَّ إِذَا تَوَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ يَقْرِئُوكَ وَخُوفُهُمْ وَأُذِّنْهُمْ﴾ [محمد ٢٧]

وفي الجنة من مات على حسن الخاتمة سأل الله تعالى حسبه فقد جاء أن من مات على لوحيد لا يخلد في النار قطعا مهما عظم دمه، في الصحيح قال ﷺ «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأُخْرِجُوهُ»^(١)

ولا عتد دمه هو بالخواتيم، في الصحيح، قال ﷺ «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا»^(٢)

والشيطان قد يعرض للإنسان عند الموت فيفتنه، ولذلك كان أخوف ما يحذره الصالحون سوء الخاتمة، والفتنة عند الموت

(١) سنن أبي داود حديث رقم ١٥٦٠

(٢) السنن حديث رقم ٦٤٩٣

والخوف من سوء الخاتمة وقت الصحة والقدرة على العمل مطلوب؛ لأنه يدفع إلى مريد من الطاعة والخوف من الله تعالى، أما عند الاحتضار وعدم القدرة على العمل، فقد حذر النبي ﷺ من القنوط واليأس من رحمة الله، وحض عن الرجاء والثقة في الله بحسن الخاتمة ففي الصحيح عن جابر قال «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُخَيِّنُ الظَّرَّ بِاللَّهِ ﷻ»^(١)

وعند العرعة والرع حين لا تقبل توبة، يشتر كل إنسان بما هو صائر إليه من نعيم أو عذاب، وللسعيد حيث يشاء بحب الموت ولقاء الله تعالى، لتحير الذي يراه، ويحب الله تعالى لقاءه، والشقي يكره الموت ولقاء الله تعالى، لما يراه من المكروه، والله تعالى يكره لقاءه فقد جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، قالت، قال رسول الله ﷺ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، فَقَدْ يَأْتِي اللَّهَ أَكْرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَّهَهُ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^(٢)

سؤال الملكين وعذاب القبر

أضيف العذاب إلى القبر، لأن العالم في الموتى أن يقرؤا ويدفوا، وليس لأهل العذاب حاص يمن يقرء دون غيره فمن احترق أو أكلته السباع فإن الله تعالى بعدنه إذا كان من أهل العذاب وقد تصامرت الأدلة من القرآن والسنة الصحيحة على أن الإنسان يُسأل في قبره ويفتن، ويجمع فيه أو يُعذب، والعقل كذلك لا يسمع أن يعيد الله تعالى الحياة إلى الجسد، فيقعد ويسأل، ويُعذب أو يُنعم، ولا يسمع من ذلك تفرق أحراره، لأن الله تعالى قادر أن يعيد الحياة إلى جرد الجسد، أو إلى كنهه ليفع عليه السؤال أو لعذاب، ولذلك يجب التصديق والإيمان بجميع ذلك، قال الله تعالى ﴿سَعِدَتْهُمُ مَّرَاتِلُهُمْ ثُمَّ بُرِدَتْ لَهُمْ أَعْيُنُهُمْ﴾ [التوبة ١٠١]

قال أهل التفسير العذاب الأول ما يصيب الكافر في الدنيا من عذاب، من مرض

(١) مسلم حديث رقم ٢٨٧٧

(٢) مسلم حديث رقم ١٥٧

أو فقر أو فصيحة الح، والعذاب الثاني هو عذاب القبر^(١)، وقال تعالى ﴿مَذَرْنَاهُمْ حَتَّى يُنْفِقُوا مِنْهُمْ كَبَىٰ فِيهِ يُصَفَّقُونَ﴾ (١٩) ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَذُوبُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٢٠) ﴿وَبَيْنَ يَدَيِ طَائِفَةٍ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكِنْ كَرِهْتَ لَا يَحْشَوْنَ﴾ [الطور ٤٠-٤١]، وقال تعالى ﴿لَنُدْرِي مَا تَعْمَلُونَ﴾ عليها عذاباً وعيشاً ﴿يَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ أَتَجْعَلُ لَكُمْ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [عامر ٤٦]، وجمهور العلماء على أن هذا العرص على الدار يكون في البرج بعد الموت، وقيل أن يعذب الله تعالى الحلاتي لحساب، وقال تعالى عن الشهداء ﴿وَمِنْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَلْفُ تِسْعٍ آتَتْهُمُ أَنْهًا مِنْ قَبْلِهِمْ وَبَيْنَهُمْ مَنْ يَبْغُوا بِهِمْ مِنْ حَتْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران ١٧٠]، وهذا لا يكون إلا في الدار، لأن الدين لم يمحوا، بهم أحياء لم يموتوا بعد، فدل على أن في القبر عيشاً وشدرة

وسوء. لقرب عاه للمطيع والعاصي والكافر^(٢) والمؤمن، لعموم الأدلة الدالة عليه، ففي الصحيح من حديث أس أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ أَنَاءَ مَلَكَيْنِ يَقْعِدَانِهِ يَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ - لِمُحَمَّدٍ ﷺ - فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْذَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيَقَالُ: لَا دَرَنَتْ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ خَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»^(٣)

وقد ثبت أحاديث كثيرة صحيحة في عذاب القبر عن النبي ﷺ، كتعوده في صلاته وغيرها من عذاب القبر، وكسماحه صوت من يعذب في قبره بسبب البول وغيره وكلامه ﷺ لموتى الكفار يوم بدر بعد أن رموا في القليب، وقوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا»^(٤)، حين سأله عمر

(١) نظر تفسير مرحطى ٨ ٢٤١

(٢) وذهب جماعة منهم من عد البر إلى أن سواد الخير لا يكون للكافر، وإنما يكون لمر طاهره لإيمان به النساء مؤمن أو منافق، وأما الكافر الجاحد فليس من يأت عن ديه. نظر لمهد ٢٢/٢٥٧

(٣) سحاري حديث رقم ١٣٧٤

(٤) مسلم حديث رقم ٢٨٧٥

رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ «كَيْفَ تَكَلَّمُ أَنْجَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا»^(١) كل ذلك وغيره بعيد لكثرة اليقين بصحته، ووحوب الإيمان بوقوعه قال النووي «وبقيل فصح شاهد الميت على حاله في قبره، فكيف يُسأل ويقعد ويصرب بمطارق من حديد، ولا يظهر له أثر، ولحوب أن ذلك غير ممكن، بل له نظير في العادة، وهو السائم، فإنه يجد لذة وألماً لا نحس نحن شيئاً منها، وكذا يجد اليقظان لذة وألماً لما يسمعه أو يفكر فيه، ولا يشاهد ذلك حليسه، وكذا كان حبريل يأتي النبي ﷺ، فيحمره سواحج الكرم، ولا يدركه الحاضرون وأما صرره بالمطارق، فلا يمتنع أن يوسع له في قبره، ويقعد ويصرب، والله أعلم»^(٢)

وفي حديث الرء بن عارب الآتي وصف كامل لحال الإنسان بداية من حنة الاحتصار وحروح الروح، إلى استقرار روحه في البرزخ، على الحالة التي هي عليها، من نعيم أو عذاب، حتى يأتى الله تعالى بقيام الساعة

عن الرء بن عارب رضي الله عنه، قال «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَتَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَذُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسَا حَوْلَهُ وَكَأَنَّ عَنِّي رُءُوسًا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِي حُودٌ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ اسْتَمِيزُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِثْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، يَضُّوْنَ الْوُجُوهُ كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَرٌ مِنَ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَخُوطٌ مِنَ خُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا بِهِ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ﷻ حَتَّى يَجْلِسَ جَنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغِيرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ فَتَخْرُجُ تَبِيلٌ كَمَا تَبِيلُ الْقَطْرَةِ مِنْ فِي السَّاقِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرَفَةٌ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْمَلُونَهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْخُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجَدْتَ عَلَى وَحْيِ الْأَرْضِ، قَالَ فَيَضَعُونَهَا بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ -يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ- إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ قُلَانُ ابْنُ قُلَانٍ بِأَخْسَنِ أَسْمَائِهِ النَّبِيُّ كَانُوا يُسَوِّنُهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَتَّهَمُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيَمْنَحُ لَهُمْ

(١) مسلم حديث رقم ٢٨٧٣

(٢) شرح مسلم ٣٠٢/١٧

فَيَسْأَلُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ
 يَقُولُ اللَّهُ ﷻ اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي جَلِيلَيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا
 خَفَقْتُهُمْ، وَبَيْنَهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. قَالَ قَتَعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ
 فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ يَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ يَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ يَقُولَانِ لَهُ مَا دِيْنُكَ؟
 يَقُولُ دِيْنِي الْإِسْلَامُ. يَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يُبْعَثُ فِيكُمْ؟ يَقُولُ هُوَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولَانِ لَهُ وَمَا جِئُوكَ؟ يَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمْسَتْ بِهِ وَصَدَّقْتُ،
 فَيَأْتِيهِ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَقْرِئُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبُسُوءَ مِنَ الْجَنَّةِ،
 وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْهَا فَيَفْشَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ
 قَالَ وَبَيَّأَتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوُجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرَّيْحِ. يَقُولُ أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ،
 هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ يَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ فَوَجْهَكَ الْوُجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ يَقُولُ
 أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ يَقُولُ رَبِّ، أَتِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي

ق. وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ
 السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سَوْدُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكَ
 الْمَوْتِ حَتَّى يَخْلِسَ عِنْدَ رَأْيِهِ يَقُولُ أَتَيْتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ أَخْرِجِي إِلَى مَسْخِطٍ مِنَ اللَّهِ
 وَغَضَبٍ قَالَ فَتَفَرَّقَ فِي حَدِيدِهِ فَيَتَرَعَّعُهَا كَمَا يَتَرَعُّ السَّقُودُ مِنَ الصُّوْبِ الْمَبْلُولِ،
 فَيَأْخُذُهَا وَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَذْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرَفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي بِلْدِكَ الْمُسُوحِ،
 وَيُخْرِجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ حَقِيقَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا
 عَنْهُمْ مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ يَقُولُونَ فَلَا أَيْبَ فُلَانٍ بِأَفْئِجِ
 أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْفَتَحُ لَهُ،
 فَلَا يَفْشَحُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿لَا تَفْشَحْ لَهُمْ أَيْوَدُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُوا لِمَعْنَةٍ حَتَّى يَبِجَ
 أُنْسَلُ فِي سَرِّ الْخَبَابِ﴾ [الاعراب ٤٠] يَقُولُ اللَّهُ ﷻ اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ، فِي الْأَرْضِ
 الشُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِإِلَهِهِ فَكَانَ حَرَمًا مِنَ السَّمَاءِ فَتَنَحَّطُهُ
 الْكَلْبُ أَوْ نَهَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَارٍ سَجْوٍ﴾ [الحج ٣١] قَتَعَادُ رُوحَهُ فِي جَسَدِهِ، وَبَيَّأَتِيهِ مَلَكَانِ
 فَيَجْلِسَانِهِ يَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟ يَقُولُ هَاهُ هَاهُ، لَا أَذْرِي. يَقُولَانِ لَهُ مَا دِيْنُكَ؟
 يَقُولُ هَاهُ هَاهُ لَا أَذْرِي. يَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يُبْعَثُ فِيكُمْ؟ يَقُولُ هَاهُ
 هَاهُ لَا أَذْرِي فَيَأْتِيهِ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَقْرِئُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى
 النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَبَيَّأَتِيهِ

رَحُلٌ فَيَبِّحُ الْوُجْهَ، فَيَبِّحُ الشَّيْبَ، مَتَرُ الرِّيحِ، يَقُولُ أَتَبْرُ بِالَّذِي يَسْؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ
الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ يَقُولُ مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهَكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ يَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ
الْحَسِيتُ، يَقُولُ رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ^(١)

وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث تشاء، إلا من حسه عن دحوب الجنة دين عليه، أو شيء من الحقوق كما جاء في السنة^(١) جاء في الصحيح في تفسير قول الله تعالى ﴿وَلَا تَحْزَنْ لِمَنْ هَلَكَ مِنْهُمْ فِي الْحَرْبِ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أَمْوَالُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران ١٥٦] «أَنْ أَرْزَاقَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْمَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ»^(٢)

وأما أحساد الشهداء، فقد جاء في حديث جابر حين نقل أناه من قبره، قال «فَأَسْتَخْرِجُهُ بِمَدِّ سِنِّي أَشْهُرَ فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَا غَيْرَ أَذْنِهِ»^(٣)، فيحتمل أن تنفي أحساد الشهداء كذلك إلى أن تمت، لا تأكلها الأرض، ويحتمل أنها تدنى مع طول المدة، والله أعلم. قال الطحاوي «وكانه والله أعلم كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول»^(٤) وأرواح عامة المؤمنين تنفوت في أوصاف المعيم وفي أوصاف العذاب والألم، حسب مقامها وعمدها في الدين، فمنها ما يكون طائرًا يرتفع في شجر الجنة، ففي الموطأ من حديث كعب بن مالك، قال رسول الله ﷺ «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَغْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(٥)

ومنها ما يكون في الجنة، في مكان أو دار، قال رسول الله ﷺ «لَمْ أَر قط أحسن منها»^(٦)، ومنها ما يكون محبوسًا على باب الجنة، كما دل عليه حديث «إِنْ صَاحَبَكُم مُّخْتَبَرٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فِي دِينٍ عَلَيْهِ»^(٧)

ومنها ما يكون وراء القبر، ويدل له حديث ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا عرفه

(١) من سنن أبي حنيفة حديث رقم ٢٦٨٤ والمصنف الطحاوي، ص ٤٥٥

(٢) مسند حديث رقم ١٨٨٧

(٣) مسند أبي حنيفة حديث رقم ١٣٥١ ولله الشكر

(٤) مسند أبي حنيفة حديث رقم ٤٥٦

(٥) موطأ حديث رقم ٥٦٦

(٦) مسند أبي حنيفة حديث رقم ٢٦٩١

(٧) مسند أحمد حديث رقم ١٩٦٦٦

ورد عليه السلام^(١)، قال مالك: «يلقى أن الروح مرسله تذهب حيث شاءت»^٢
ومنها أرواح تسبح في أنهار من الدم، كلما أرادت أن تخرج منه رميت بحجر،
فردت حيث كادت، وهم أكلوا الرما، ومنها ما هو محبوس في تور، أعلاه صين
وأسمه واسع، يتوقد تحته ناراً، وهم الرماة، ومنها من تُعذب ككُتُوب من حديد يدخل
في شديق صاحبها حتى يبلغ ققاء، ثم يفعل شدة الآخر مثل ذلك، فإذا التأم شدقة
الأول صنع به مثله، وهكذا دواليك، وهؤلاء هم الكذابين يصنع بهم كذلك إلى يوم
القيامة، ومنها أرواح تشدح رءوس أصحابها بصخرة عظيمة، ثم تستم وتعود كما
كادت، فتصوب مرة أخرى وهكذا، وصاحب هذه الحال هو من أعطاه الله تعالى
القرآن، فدم عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالمهار، يفعل به كذلك إلى يوم القيامة كل
ذلك من عيه حديث البخاري في الرؤيا التي رآها النبي ﷺ^(٣)، وأما أرواح الكفار،
فهي في سبعين في أسفل سافلين

وأحساد عامة المؤمنين تقبى وتأكلها الأرض، ما عدا عجب الدب، ثم سئنها الله
تعالى عند لبعث شاة أخرى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ قُلُوبَهُ تَلْمِزُ الْأُخْرَى﴾ [التجم ٤٧]،
وفي الصحيح قول ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُ التُّرَابَ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ
يُرْكَبُ»^(٤)

(١) قال الحفاظ العراقي ذكره ابن عبد الو في التمهيد والاستدكار بإسناد صحيح من حديث ابن عباس.

وصححه كندة أبو محمد عبد الرحمن النذري ١٤٥/١ وقصص التعدير ٤٨٧/٥، وعون المصنف ٢٦١/٣

(٢) انقصة المطاوية ص ٤٥٣

(٣) البخاري حديث رقم ١٣٨٦

(٤) مسلم حديث رقم ٢٩٥٥، والمعجب غظم لطف في أهل الصليب، وهو مكان رأس النسي من دوت

النفخ في الصور

بداية القِيامة تكون بالنفخ في الصور، والصور كهينة النوى، وصاحب الصور الذي يولى صفحه بأمر الله تعالى إسماعيل من الملائكة عند أكثر العناء ولصوره صفحتان، الصفحة الأولى يقبى الله تعالى بها جميع الحلائق، فيصعقون إلا من شاء الله أن يستثيه، والصفحة الثانية يحيى الله تعالى بها الحلائق، وقد ذكر الله تعالى للصفحة الأولى في أكثر من آية، قال تعالى ﴿مَا يَطُورُونَ إِلَّا مَنِيحَةً وَجَدَهُ تَأْتِيهِمْ وَهُمْ يَحْضَرُونَ﴾ [يس: ٤٩]، وقال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي سُرُورٍ ۚ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُرْجَوْنَ﴾ [المدثر: ٨، ٩]^(١) كما جاء ذكر الصفحة الثانية في مواضع من القرآن، قال تعالى ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ نُفْرًا فَإِنَّا هُمْ قِيَامٌ يَطُورُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَطُورُونَ﴾ [الصافات: ١٩]^(٢)، وقال تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۚ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [الذاريات: ١٣، ١٤]^(٣)، وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ ۚ تَرْجُفُ الرَّابِفَةُ﴾ [الذاريات: ٦، ٧]^(٤)

وعقب الصفحة الأولى تحدث التفسيرات في الكون التي أحمر عهد القرن، فسدت الأرض ولجبت وتشق السماء، وتظلم الكواكب، قال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْطَحُ فِي الصُّورِ صَفْعَةً وَاحِدَةً ۚ وَجَدَتِ الْأَرْضُ وَلِجَالِهَا فُكْكًا كَذَّكًا وَجَدَتِ ۚ يَوْمَ يَبْعَثُ رَبُّهَا تَوْفِيقَهُ ۚ وَانْشَبَ

(١) السور الصور

(٢) الزجرة صفحة النفخ في الصور

(٣) السور وجه الأرض

(٤) الراجعة الصفحة الأولى، والراصة الصفحة الثانية، كما روي عن ابن عباس رضي

النَّسَاءَ فِي يَوْمٍ يُثَيَّرُ بِهِ^(١) [الحاقة ١٤]، وقال تعالى ﴿لَا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا^(٢) وَجَاءَ رُتُكُ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا^(٣)﴾ [الصمر ٢٢]، وقال تعالى ﴿إِذَا انشَقَّتْ كُرُونُ^(٤) وَدَا أَسْحُومُ انْكَدَرَتْ^(٥) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ^(٦)﴾ [التكوير ١]، وقال تعالى ﴿إِذَا النُّجُومُ انْشَقَّتْ^(٧) وَدَّتْ رَبِّهَا وَحَّتْ^(٨) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ^(٩) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَسَّتْ^(١٠)﴾ [الانشقاق ١٤]، وقال تعالى ﴿وَأَنشَقَّتِ النَّسَاءُ فِي يَوْمٍ يُثَيَّرُ وَابِهَتْ^(١١)﴾ [الحاقة ١٦]، وقال تعالى ﴿إِذَا النُّجُومُ انْشَقَّتْ^(١٢) نَسَمَهُ فَكَانَتْ زُرْدَةً كَالَّذِي هَانُ^(١٣)﴾ [الرحمن ٣٧]، وقال تعالى ﴿إِذَا النَّسَاءُ انْفَطَرَتْ^(١٤) وَدَا الْكُوكُبُ انْتَرَتْ^(١٥)﴾ [الانفطار ١، ٢]، فتطوى السماء وتكور شمسه وسجودها وكواكبها، وتصير محمرة متموجة كذُرْدِي الریت كما أحمر القراں ﴿إِذَا انْشَقَّتْ نَسَمَهُ فَكَانَتْ زُرْدَةً كَالَّذِي هَانُ^(١٦)﴾ [يَوْمَ تَكُونُ النَّسَاءُ كَالْمُهْرِ]

وقد دل على أن للصور نفختين حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم، وفيه (ثُمَّ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْحَى لَنَا وَرَقَعَ لَنَا^(١))، قال وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَحُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قال قِيضَعُ وَيُضَعُّ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ قَالَ يُزِيلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الظِّلُّ أَوْ الظِّلُّ فَتَبَّتْ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ^(٢))

وحاء في اسم اليوم الذي تكون فيه الصعقة حديث أوس بن أوس الثقفي، عن النبي ﷺ «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النُّفُخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ^(٣)»، وفي الصحيح من حديث فضل يوم الجمعة «... وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(٤)» وروى البيهقي بسند قوي عن ابن مسعود عن قوله «ثُمَّ يَقُومُ مَدَّتِ الصُّورُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَيَنْفَخُ فِيهِ، فَلَا يَبْقَى لِلَّهِ خَلْقٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا ب، إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ، ثُمَّ يَكُونُ بَيْنَ الصَّفْحَتَيْنِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ^(٥)» وورد

(١) انتفت صفيحة العرش، وأصغر أمال

(٢) مسلم حديث رقم ٢٩٤٠

(٣) أبو داود حديث رقم ١٠٤٧

(٤) مسلم حديث رقم ٨٥٤

(٥) بطر فتح ساري ١٤ ١٥٧

أقوال كثيرة في تحديد من يستشيهم الله تعالى فلا يموتون عند النفخة الأولى، هل هم الملائكة أو بعض الملائكة أو غيرهم، والأحاديث في تعيينهم ضعيفة، والله أعلم بذلك.

فيما فيب لحلائق ولم يبق إلا الله تعالى، قال سبحانه: أنا الجبار، لم السمك اليوم؟ فلا يحيه أحد، فيقول لله الواحد القهار وفي الصحيح، قال ﷺ: يقبض الله -تبارك وتعالى- الأرض يوم القيامة ويطوي السماء يمينه ثم يقول: أن الملك، أين ملوك الأرض؟^(١)

وورد في بيان المدة التي تكون بين النفختين حديث أبي هريرة في الصحيح، قال: قال رسول الله ﷺ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ قَالَ يَبْنَ النَّفَّخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَيْتُ، قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ أَيْتُ، قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَيْتُ، وَيَتَلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبٌ ذَنْبُهُ فِيهِ يُرَكَّبُ الْحَقُّ^(٢) وللعلماء بقولون أربعون سنة، وقد جاء ذلك في أحاديث من طرق ضعيفة^(٣)

(١) مسلم حديث رقم ٢٧٨٧

(٢) مسلم حديث رقم ٤٨١٤ ومضى أب امتنع أن يمر لأي لا أعلمه، فلا أقول به ما رأي

(٣) اعتر فتح اناري ١٥٨/١٤

الحياة الآخرة

- ٩ -

البعث

معنى البعث

البعث هو إثارة لشيء الساكن، والمراد بالبعث في يوم القيامة إحياء الأموات لمساءلهم في فصل القضاء، قال تعالى ﴿لَا يَنْظُرُ أَزْوَاجُهُمْ أَنَّهُمْ مَعْمُورُونَ﴾ (١) لِقَاءَ عَظِيمِ ﴿يَوْمَ نَقُومُ لَدُنْ رَبِّكَ الْحَيَّيْنَ﴾ [المطففون ٤، ٦]، وقال تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (٢) ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [التارعات ١٣، ١٤] (١)

فيحب على المسلم أن يؤمن بأن الله تعالى يحيى عباده بعد أن تفسى الحلائق فيسببهم شاة أخرى، ويبعثهم من قبورهم ونحوها، ليحاربهم على أفعالهم، ففي الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم «ثُمَّ يُرْمَلُ اللَّهُ أَوْ قَالَ يُزَلُّ اللَّهُ مَظَرًا كَأَنَّهُ الظِّلُّ أَوْ الظِّلُّ قَتَبَتْ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» (٢)

الحكمة من البعث

البعث من تمام عدل الله تعالى وحكمته، فلو ترك الناس سُوءِي، لأبقت الفاجر من لقصاص، ولاستوى الظالم والمظلوم، والقاسق والصالح، والمسلم والكافر، قال تعالى ﴿تَجْمَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْكَرْمِ﴾ [القلم ٣٥، ٣٦]، وقال -

(١) سدره أبيض جوف

(٢) مسلم حديث رقم ٢٩٤٠

تعالى - ﴿الْحَسْبُ لَنَا حَقُّكُمْ عَسًا وَأَنْتُمْ لَا تُحْصُونَ﴾ [المومن ١١٥]

فثبت الناس للحساب فيه تسلياً للمسلم وطمأنينة لقلبه، فلا يصيبه بأس ولا قنوط مهما أودى، أو ظلم أو حرم، لأنه يحتسب ذلك كله ليوم يأخذ فيه حقه وافيًا عدلًا أحكم الحاكمين، الذي لا تحفى عنه حافية، ولا يعرب عنه مثقال ذرة

إقامة الحجة على منكري البعث

قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَعِثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج ٧]، وقال تعالى ﴿فَرَأَيْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُفْعَلُونَ﴾ [المومن ١٦]، وقد حج الله الكافرين الذين يكررون البعث، وسقى في القرآن عدداً من شبههم وأظهرها، وأقام البراهين القاطعة على بطلانها، قال تعالى ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْزَوْا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُعْزِيَ ثُمَّ لَنُنَوِّذُ بِمَا عٰمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التعنن ٧]، وقال تعالى على لسان الكافرين ﴿وَقُلُوبُهُمْ كُفُوءًا عَظَمًا وَرَفَقًا إِنْهَا لَتُعْزَوْنَ حَقًّا جَدِيدًا﴾ [الإسراء ٩٨]، فرد عليهم بقوله ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۖ أَوْ حَقًّا بِمَا يَكْفُرُونَ ۖ صُدُّوا عَنْكُمْ فَمَقُولُكُمْ مِنْ مُبِينًا قُلْ يَدَى فُطْرِكُمْ أَوْ مَرْزُ فَيُجْصَدُونَ إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ وَتَقُولُونَ تَنَّى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِينًا﴾ [الإسراء ٥٠، ٥١] وفي قوله تعالى ﴿قُلْ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ أَتَى فُطْرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَلَهُ فِي حَقِّهِ سَوَاءٌ، لا يكلفه الخلق جهداً ولا أمراً، لا في البداية ولا في الإعادة، ولكنه مثل ضربه لنا من أنفسنا، بمقتضى قانون العلم الذي تطيقه عقولنا، ولد حتم له الآية السابقة بقوله تعالى ﴿وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ﴾ [٧] صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ۖ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي الْآيَةِ الْآخَرَىٰ ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَنَىٰ حَقَّقَهُ قَالَ مَنْ نَحْنِي الْعَبْطَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [٧] قُلْ يُجِيبُ الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۖ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَمِنْهُ أَسْمَ مِمَّا تُوقِدُونَ ۖ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَنِ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَبِيمُ ۖ إِمَّا نُرَدِّدْهُمَا إِذَا شَاءَ ثُمَّ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ كُنْ فَيَكُونُ ۖ فَسَخَّرَ اللَّهُ يَدِيهِمْ مَسْكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ وَبَيْنَهُمْ رُجُوعٌ ۖ لَيْسَ ۖ ٧٨ ٧٩﴾ [٧] وقال تعالى ﴿يَخْلُقُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ حَتَّى الْتَّائِينَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ [عامر ٥٧]،
وقال تعالى ﴿يَتَحَسَّبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٥٨﴾ ثُمَّ تَكُونُ سُطْفًا مِنْ مِثْي يَتَى ﴿٥٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَقْبُهُ قَتَاقٍ
فَسَوَى ﴿٦٠﴾ لِحُلِّ مَنَّهُ أَرْوَاحٍ أَلْكَرَ وَلَاقٍ ﴿٦١﴾ تَلَسَّ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَحْيَى ﴿[القيامة ٣٦-٤٠]﴾،
وقال تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ فِ رِبِّ مِنْ أَلْبَحْ فَإِنَّا حَقَّقْنَا مِنْ قَرِيبٍ ثُمَّ مِنْ
نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَمَةٍ ثُمَّ مِنْ مُصْعَقٍ لِحَشَمَةٍ ﴿[الحج ٦]﴾ وَإِذَا نَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الْحَلَالِ
قال الكافرون ﴿يُونِيَا مِنْ نَعَثًا مِنْ مَرَقِدًا﴾ [يس ٥٢]، ويرد المؤمنون ﴿هَذَا مَا وَعَدَ
الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس ٥٢] وحاء في الصحيح أن نبي محمد ﷺ هو أول
من تشق عنه الأرض، قال ﷺ: «أَنَا مَيِّدٌ وَلَدَ أَدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَشُقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ
وَأَوَّلُ شَايِعٍ وَأَوَّلُ مُشَقِّعٍ»^(١)

(١) مسلم حديث رقم ٢٢٧٨

الحشر

معنى الحشر:

الحشر سوق الناس بعد بعثهم من القور إلى الموقف، ينتظرون الحساب وحراء الأعمال. ويحشر الناس حفاة عراة غرلا أي غير مختونين، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ وَلََّا تَرْوُونَ﴾ [الأنعام ١٠٤]، وقال تعالى ﴿كَمَا بَدَأَ أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء ١٠٤]، وأول من يكسى بى الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويصيب الناس من الهول وكرب الموقف وطوئه ما يصيبهم، حتى إنهم يسمون الانصرف ولو إلى النار ويستثنى من ذلك الكرب الأسياء والشهداء ومن يطعمهم الله تحب ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، كما جاء في حديث السعة الدين يطعمهم الله تعالى وليس الناس في المحشر كلهم سواء، فمعهم من يكرم تكرم الوفود على الملوك، وهم المتقون، ومعهم من يحشر على وجهه، وهم الكفار، قال تعالى ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقْدًا ۖ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ [مريم ٨٥، ٨٦]، وقال تعالى ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيَآ وَنُكَّآ وَصَمًا﴾ [الإسراء ٩٧]، وقال تعالى ﴿أَلَيْسَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان ٣٤]، وقد جاء في الصحيح أن رجلا، قال «يَا نَبِيَّ اللَّهِ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ أَلَيْسَ أَلَدِي أَمْشَاءُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَىٰ أَنْ يُنْشِئَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ قَتَادَةُ بَلَىٰ وَعِزَّةُ رَبِّنَا^(١) وجاء في الحديث ابن عباس

(١) البخاري حديث رقم ٤٧٦٠

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ، قَالَ «خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاءَ عُرَاءَ عُرُلَا ، ثُمَّ قَالَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ إِلَى آخِرِ آيَةِ ثُمَّ قَالَ أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ^(١)»

وفي الصحيح أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «تُحْشَرُونَ حُفَاءَ عُرَاءَ عُرُلَا ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يُنْظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَقَالَ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهْمَّهُمْ ذَلِكَ^(٢) ، فبَكَى امْرَأَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ شَاءَ بَعِيهِ وَفِي الصَّحِيحِ قَالَ ﷺ «إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَنْفَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعًا ، وَإِنَّهُ لَيَنْبَغُ إِلَى أَقْوَاءِ النَّاسِ أَوْ إِلَى أَدْنَاهُمْ^(٣)» ، وَقَالَ ﷺ «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ ، قَالَ سَلِمَةُ بْنُ عَامِرٍ قَوْلَ اللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَنْبَغِي بِالْمِيلِ أَمَّا قِصَّةُ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟ قَالَ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَفَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِنْجَامًا. قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ إِلَى وَجْهِهِ^(٤)»

وفي حديث ابن مسعود «إِنَّ الرَّحْلَ لَيُلْجِمُهُ الْعَرَقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقُولَ يَا رَبِّ ارْحَمْنِي وَلَوْ إِلَى لَبَارَةٍ^(٥)» ، وَحَيْثُ يَشْعَلُ كُلُّ أَحَدٍ نَفْسَهُ وَلَا يَعِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا يَمْصُرُونَ ، فَتَذْهَبُ الْمَصْرَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا وَالْإِحْتِمَاءُ دُنْجَاهُ وَالسُّطُوبُ ، وَتَقْطَعُ الْمَوَاصِلُ لَنِي كَانَتْ بَيْنَ النَّاسِ وَالْمَوَدَّةُ ، وَالْحَنَّةُ وَالشَّفَاعَةُ ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَنَقَطَعْتَ بِهِمُ الْأَسْبَابَ﴾ [الْقُرَةُ ١٦٦] ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّهِمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُ﴾ [عَسَى ٣٧]

(١) سحري حديث رقم ٤٦٢٥

(٢) سحري حديث رقم ٦٥٢٧

(٣) مسلم حديث رقم ٢٨٦٣

(٤) مسلم حديث رقم ٢٨٦٤

(٥) به الحفاظ في الفتح ١٨٥/١٤ إلى أبي يعلى، قال وصححه ابن حبان

الشفاعة

الشفاعة

الشفاعة هي توحه نبيا محمد ﷺ إلى ربه لرفع الكرب عن العباد في المحشر بعد أن يظنوا انتظروهم لفصل القضاء، وكذلك توجهه ﷺ ودعاؤه ربه ليحرح المدس من أمته من النار، أو ليرفع درجة المتقين في الجنة

فيحب على المسلم أن يعتقد شوت الشفاعة لنبيا محمد ﷺ لوقوع الإذن بها في القرآن، ولتنصريح بها في السنة قال تعالى ﴿عَمَّيْ أَنْ يَتَعَنَّكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء ٧٩]، وقال تعالى ﴿لَا مَنْ أَدْرَكَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَحِمَى لَهُ قَوْلًا﴾ [طه ٢٨]، وقال تعالى ﴿وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا لِمَنْ رَضَى وَهُمْ مِنْ حَشِيَّةٍ مُشْعُوقُونَ﴾ [الأنبياء ٢٨]، وفي الصحيح قال ﷺ «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا» ، وقال ﷺ «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأَرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)

قال لعنماء وقد ملعب الآثار الدالة على الشفاعة لعمدنيين من هذه الأمة سمعت في مجموعها حد لتواتر، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها، وأما قول له تعالى ﴿فَمَا تَعْمَلُهُمْ شَفَعَةً لِشُعْبَةٍ﴾ [المدثر ٤٨]^(٢)، وقوله تعالى

(١) مسلم حديث رقم ١٩٦

(٢) مسلم حديث رقم ١٩٨

(٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير ٥٧٣/١

﴿مَّا لِلطَّالِبِينَ مِنْ حَيِّمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر ١٨] ^(١)، فهو في الكفار، وليس لمؤمنين كما هو لسيوف في الآتين

والشفاعة أنواع كما ذكرها العلماء ^(٢) ودلت عليها الأحاديث

أولها شفاعة نبي محمد ﷺ لتخليص العباد من هول الموقف وهم ستطرون الحساب، حين تدنو منهم الشمس ويكونون في العرق على قدر أعمالهم، وهذه هي الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي يحمله أهل الجمع كهم كما جاء في الصحيح، قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ بِي ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، وَيَنْفَعُهُمُ الْبَصَرُ» ^(٣)، وتذنبوا الشَّسْرَ فَيَنْفَعُ النَّاسَ مِنَ النَّفَمِ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يُشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ اتَّوَا أَدَمَ قِيَاتُونَ أَدَمَ . . . ، ثم يأتيون عدداً من الأسياء بعده، وكل يقول نفسي نفسي، إلى أن يقولوا . . . انْعَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ قِيَاتُونِي يَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَعَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَأَنْظِرْ قَاتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعَ سَاحِلًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحِ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَخَابِدِهِ وَحُسْنِ الشَّأْنِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي ثُمَّ يَقَالَ يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشْفَعُ ^(٤)

الشفاعة الثانية إدخال قوم العجة بغير حساب، ويدل عليها قول النبي ﷺ: «أُعْطِيَتْ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَقُلُوبُهُمْ عَلَى قُلُوبِ رَحُلٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَزِدْتُ رَبِّي ﷺ، فَرَأَيْتَنِي مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفًا» ^(٥)

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢٣٩/٣

(٢) انظر شرح مسلم ٣٥/٣

(٣) أي يحيط بهم الناظر لا يحصى علمهم شيء لاسواء الأرض وعدم وجود ما يستغرم

(٤) مسلم حديث رقم ١٩٤

(٥) مسند أحمد حديث رقم ٢٣

الثالثة: الشفاعة لقوم استوحوا النار بذنوبهم، فلا يدخلونها بسبب شفاعة نبي محمد ﷺ، وتكون هذه الشفاعة لغيره من الأنبياء، وليس شاء الله من الملائكة أو غيرهم، ويدل عليها ما جاء في الصحيح «وَيُكْرَمُ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(١)، وفي رواية «وَدَّعَوَى الرَّسُولُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(٢)، وفي حديث جابر عن النبي ﷺ «وَمَنْ زَادَتْ مَنَاتُهُ عَلَى حَنَاتِهِ فَذَاكَ الَّذِي أَوْبَقَ نَفْسَهُ، وَإِنَّمَا الشَّفَاعَةُ فِي مِثْلِهِ»^(٣)

الرابعة: الشفاعة لقوم من العصاة دخلوا النار، فيحرون منها شفاعة نبي محمد ﷺ والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ففي الصحيح من حديث أسير في الشفاعة، قال ﷺ «يُقَالُ لِي اذْقِعْ رَأْسَكَ سَلِّ تَغْطَهُ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يَحْمَدُنِي ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَعُدُّ لِي حُدُودًا ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُوذُ فَأَقْعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَنِّي وَحَبَّ عَلَيْهِ الْحُلُودُ»^(٤) وفي الصحيح قال ﷺ «يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُسَمُّونَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»^(٥)، وأسعد الناس بهذه الشفاعة من كان أكمل إيماناً من غيره.

ولا يهوب المسلم أن يدعو الله تعالى سائلاً شفاعة النبي ﷺ، وأن يدعوه الله تعالى بها لجهة، مع السعي والعمل الصالح والاجتهاد في العبادة وطاعة الله ﷻ، حتى يكون أهلاً لهذه الشفاعة، ولا يجوز له التمريط والانتكال على الشفاعة، فإن ذلك من علامات الجدلان، ففي الصحيح قال ﷺ «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ»^(٦)، وقد قال ﷺ لاسنة وطمة أحب الناس إليه «لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللُّوْثِ شَيْءٌ»^(٧)

(١) مسلم حديث رقم ١٩٥

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٧٤٣٨

(٣) ذكره حافظ في فتح الباري ١٤، ١٩٤، وعراه ابن العثيمين

(٤) سنن أبي داود حديث رقم ١٥٦٥

(٥) سنن أبي داود حديث رقم ١٥٦٦

(٦) سنن أبي داود حديث رقم ١٥٦٠

(٧) سنن أبي داود حديث رقم ٢٧٥٣

العرض والحساب

الفرق بين العرض والحساب

المراد بالعرض عرض الأعمال على الله تعالى عندما يقف الناس في ساحة القضاء يوم القيمة، ليعترف كل أحد بذنبه مع المسامحة والإعفاء، وعدم التفصي والحساب: المحاسبة في ذلك الموقف بالصغير والكبير من الأمور، والتفصي فيها وترك المسامحة، قال تعالى ﴿وَأَنْقُذُوا يَوْمَ تُجْزَوْنَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [القرة ٢٨١]، وقال تعالى ﴿وَقِفُّهُمْ يَوْمَ تُسْأَلُونَ﴾ [الصافات ٢٤]، وقال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة ١٧]، وقال تعالى ﴿وَمِمَّا مِنْ أَوْقٍ كُنْتُمْ وَرَاءَ ظَهْرِ اللَّهِ فَسَوْفَ نَدْعُوا ثَوْرًا ﴿١٩٩﴾ وَيَصْلَى سَمِيرًا﴾ [الاشفاق ١٧٧]، وقال تعالى ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الاعرون ١٩٩]، قيل لعبي رضى الله تعالى عنه كيف يحاسب الله تعالى جميع الناس في وقت واحد؟ فقال كما يوزقهم في ان واحد يحاسبهم في ان واحد

حساب الكافر

يحاء بالكفر يوم القيامة، ويقال له «لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفندي به قال نعم، قال فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَى مِنْ هَذَا»^(١)، ويأتي مريد من كان يعبد شيئاً فَيُشْبِعُهُ فَيُشْبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَيُشْبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ وَيُشْبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ

(١) البخاري حديث رقم ١٣٤

الظَّوَاعِثُ»^(١)، وفي رواية أبي سعيد الخدري لهذا الحديث «فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَليِبِهِمْ وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْحَابُ كُلِّ إِلَهٍ مَعَ إِلَهَتِهِمْ»^(٢)، قال تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِ﴾ [الإسراء ٧١]

ويوقف لكل فرد للحساب فيعرض عليه رثته عمله فيجحد، ويقول أي رب، وعترتك لقد كتب عني هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك أما علمت كذا في يوم كذا، في مكان كذا؟ فيقول لا وعترتك، أي رب ما عملته فإذا فعل ذلك وحده وحاصم بحم اله تعالى على فيه، ويقال لأركانها انطوى بعمله، وذلك قول اله تعالى ﴿الْيَوْمَ نَحْشُرُ عَلَى أَوْثَانِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْغُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الْيَوْمَ لَهُمْ بُرْءُونَ ﴿١٩﴾﴾ حَقٌّ إِذْ مَا جَاءَهُ شَهِدٌ عَلَيْهِمْ سَمِعَهُمْ وَأَنصَرَهُمْ وَسَوَدُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْمُلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ تُؤْخَذُ مِنَّا شَهَادَةٌ عَلَيْنَا فَأَلْغَا اللَّهُ أَلْفَافِي أَلْفِ شَيْءٍ وَهُوَ حَافِكُمْ أُوَلَّ مِرَّةً وَإِلَىٰ رُحُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [صافات ١٩-٢١]، ويشر له كذبه الذي لا بعدد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ويسأ بما قدم وأخر، قال تعالى ﴿يَوْمَ يَسْأَلُهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُشْهِرُهُمْ بِمَا عَمِلُوا فَخَسَّدَهُ اللَّهُ وَقَسْوَهُ﴾ [المجادلة ٦]، وقال تعالى ﴿وَرُزِّعَ الْكُتُبَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُتَعَفِّينَ بِمَا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْتَ مَا هَذَا لَكُتِبَ لَا يَظْدَرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا وَوَحَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا وَلَا يَصُدُّ رُتُكَ أَحَدًا﴾ [الكهف ٤٩]، ويُعطى الكفار كتب أعمالهم شمالهم أو من وراء ظهورهم، ويساقون جميعاً وما يعدون من دون الله إلى النار، قال تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنَمَّ لَهَا وَرَوُّكَ﴾ [الأنبياء ٩٨]، وقال تعالى عن فرعون وقومه ﴿يَسْتُمْ قَوْمُ يَوْمَ أَلْقَيْنَا مَا وَرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْأَوْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [مؤد ٩٨]

تمييز المؤمن من المنافق في المحشر

فإذا ذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، ولم يس إلا من يعد له من بر أو فاجر كما جاء في حديث أبي سعيد المتقدم «فَيَقَالُ لَهُمْ مَا يَخْبِيكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ ... وَإِنَّا سَمِعْنَا مَنَادًا يَنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَإِنَّمَا نَتَنَظَّرُ رَيْتَنَا قَالَ قِيَانِيَهُمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا

(١) سعدى حديث رقم ١٥٧٤

(٢) سعدى حديث رقم ٧٤٤٠

أَوَّلَ مَرَّةٍ يَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ يَقُولُونَ أَنْتَ رَبَّنَا فَلَا يَكْلَمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ يَقُولُ هَلْ يَسْكُمُ وَيَسْتَعِ
 آيَةً تَعْرِفُونَهُ؟ يَقُولُونَ السَّاقِ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ
 لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَنْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاجِدًا^(١)، وفي ذلك يقول الله
 تعالى ﴿يَوْمَ تُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الْقلم ٤٢]، وحسب دفع
 الكرب ولشدة على المصافقين الذين عجزوا عن السجود فلا يستطيعونه، ويرول
 الحوف واليهول الذي أحد المؤمنين حتى عابوا عن رؤية عوراتهم، وإسما امتحن الناس
 في هذا الموقف بالسجود ليعتبر المؤمن من المصافق

وفي هذا الموقف ينصرف وجهه وتسود وجوه ﴿يَوْمَ تَبْشُرُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ
 اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ ابْتِلَاءِكُمْ قَدَرُوا آيَاتِي بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [١٠٦، ١٠٧]، ويقال للمؤمنين الذين
 أحسنوا طاعتهم لله تعالى في الدنيا، وأقدرهم الله على السجود في ذلك الموقف
 بقدر لهم «رفعوا رؤوسكم إلى ربكم بقدر أعمالكم، فيعطون بوزنهم بقدر
 أعمالهم، فمنهم من يعطى بوزن مثل الجبل، ودون ذلك، ومثل الحبة، ودون ذلك،
 حتى يكون أحدهم من يعطى بوزن على قدر إيمان قدمه، ثم يطفأ نور المصافق^(٢)، ثم
 ينتقمون إلى منزل آخر وتعشى الناس الظلمة، فيقول المصافقون لئذين اسوا ﴿تُسْرُونَا
 نَفْسٍ مِنْ تَرْكُكُمْ﴾، فيقال لهم ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فيرجعون إلى المكان الذي
 قُسم فيه النور فلا يجدون شيئاً، ويعبدون أنفسهم قد صرَبَ بينهم سور، قال تعالى
 ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُسْفُونَ وَالْمُصَفِّتُ لِلرِّبِّ أَمْوًا أَتُورُونَ نَفْسٍ مِنْ تَرْكُكُمْ فَيَلْجَأُ وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
 فَصُرِبَ نَفْسُهُمْ بِسُورٍ لَمْ يَأْتِ بِإِثْمٍ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهَرَهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾ [١٣٠]، سُدُّوهُمْ ثُمَّ تَكُنْ مِنْكُمْ
 قُلُوبُ بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَسَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحديد ١٣]

كيفية الحساب وإحصاء الأعمال

عد إحصاء لأعمال تخرج للناس الكتب التي حفظت فيها الملائكة أعمال العباد،
 ومجلت فيها السيئات والحسنات، كما قال تعالى: ﴿مَا كَلْبُطٌ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا نَدَّيْهِ رَقِيبٌ

(١) صحري حديث رقم ٧٤٤٠ - في الحفاظ في صحيح البخاري وفي الحديث دلل على أن المؤمنين رأوا ربهم قبل
 الله - أول ما حشر - في شرح حديث رقم ٧٤٤٠

(٢) حاكم في مستدرک ٣٦١/٢ وهو حديث صحيح وأشر صحيح مسلم ١٧٨

عِنْدَ ﴿سورة ق ١٨﴾^(١)، وقال تعالى ﴿وَكُلٌّ إِلَيْنَا رُجُوعٌ طَائِفَةٍ فِي عَذَابٍ دُونَ الَّذِي نَعْتَذِرُهُمْ﴾ [الأنعام ١٢٢]، وقال تعالى ﴿فَإِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ لِيَكُونُنَّ أَهْلًا لِّعَذَابٍ مُّشْتَرِكٍ إِلَّا لِوَحِيْدٍ مِّنْهُمْ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ [الحاقة ٢٩]، وقال تعالى ﴿يُنَادِي السَّمْعُ وَبِمَا فَدَا وَخَرَّ﴾ [القيامة ١٣]، ثم تُعطى هذه الكتب إلى أصحابها ليقروا كل أحد كتابه، فمن الناس من يناول كتابه يمينه، ويكون ذلك علامة على مسعاده وحقة حسابه، ومنهم من يناول كتابه شماله من وراء ظهره، ويكون ذلك علامة على شقائه وعسر حسابه، قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ بِمَا عَاهَدَ نَفْسَهُ﴾ [الأنعام ١٣١] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [البقرة ١٦٦]، وكل إنسان يسأل وحده من قبل ربه ليجيب عن نفسه نفسه، فلا واسطة ولا ترحمان، ففي الصحيح قال ﷺ ﴿مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكُونُ رُبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْحُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشَمَ مِنْهُ، فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ يَمِيْنَهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَانْقَرُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ ثَمَرَةٍ﴾^(٢)، وفي الصحيح من كلام رب العزة ﴿يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوْكِيكُمْ فِيهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ﴾^(٣)

ومن رحمة الله تعالى بمعباده أنه يصاعف الحساب، ولا يجري بالسيئة إلا مثبها

تفاوت المؤمنين عند الحساب

تفاوت درجات المؤمنين في الإحسان إليهم عند الحساب، ويؤخذ من مجموع الأحاديث أنها على النحو الآتي.

(١) روي عن عبد الله بن مسعود أن كل كفة يعونها الإنسان هناك ملك معد لها يراها ويكتبها

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٥٥١٢

(٣) مسلم حديث رقم ٢٥٧٧

١ قوم يدخلون الجنة بغير حساب كما جاء في الصحيح قال ﷺ «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْرِقُونَ وَلَا يَنْطَبِرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١)، وسهم من يدخل الجنة بغير حساب شفاعاة النبي ﷺ كما تقدم في الشفاعة^(٢) ألهم احبهم

٢ قوم يحاسبون حساباً يسيراً، وهم الذين يعرضون على ربهم فيعرفهم بدوابهم فيعرفونها، فيجوز لهم عنها، وهؤلاء هم الذين يعطون كتابهم بيمينهم، وفي الصحيح قال ﷺ «يَذْنُوبُ أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَفَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ أَعْمِلْتُ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ نَعَمْ، وَيَقُولُ عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ نَعَمْ، فَيَقْرَأُ ثُمَّ يَقُولُ إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»^(٣)

٣ من كثرت معاصيه وحاهر بها ولم يتب، وأوتى كتابه بشماله، فهو الذي يدقشه الباري الحساب، ومن نوقش الحساب عذب، وفي الصحيح قالت قالت قال رسول الله ﷺ «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿مَنْ أَرَادَ كَثْرَ سَيِّئِهِ * مَوْتًا يُحَاسَبُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّمَا ذَلِكَ الْغَرَضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِبَ»^(٤)، وفي حديث حابر عن النبي ﷺ «مَنْ زَادَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، فَذَاكَ الَّذِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَمَنْ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ، فَذَاكَ الَّذِي يُحَاسَبُ حِسَابًا بَسِيرًا، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ زَادَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، فَذَاكَ الَّذِي أَوْقَعَ نَفْسَهُ»^(٥)

(١) مسلم حديث رقم ٢١٨

(٢) صحيح بخاري ٧٥١٠

(٣) بخاري حديث رقم ٧٥١٤، والكنز الشري

(٤) بخاري حديث رقم ٦٥٣٧

(٥) به الحفاظ في فتح الباري ١٤/١٩٤ إلى الحاكم

الميزان

إتماماً لما وعد الله تعالى به من العدل وإحقاق الحق على أكمل الوجوه بسبب الميزان يوم لقيمة لوزن الأعمال، إذ لا أحد أحمق إثمه العذر من الله، ولذلك أرسل الرسل كما جاء في الحديث^(١) وهو ميزان حقيقي، له كفتان كما دلت الأحاديث، حيث يحول الله تعالى الأعمال إلى شيء محسوس، له ثقل، وتوضع الحسرات في كفة، والسيدات في كفة أخرى، فمن ثقلت كفة حسراته أفلح ونجا، ومن ثقلت كفة سيئاته حاب وحسر، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَوْمِيزُوا الْحَقَّ مِنْ ثِقَتِ مَوَازِينَهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٨، ٩)، وقد تعالى ﴿وَصَحَّ الْمَوَازِينُ لَيُوزَنَ الْفَعِمَةُ فَلَا ظَلْمَ لَكُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (٤٧) [لأبياء ٤٧]

وورد في الفرق بالمؤمن عند الميزان أحاديث، منها حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ نَسْعَةً وَتَسْمِينَ سِجِلًا، كُلُّ سِجِلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ يَقُولُ لَا يَا رَبِّ، يَقُولُ أَفَأَنْتَ عُنْدَ؟ يَقُولُ لَا يَا رَبِّ، يَقُولُ بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظَلَمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

(١) أي لا يؤخذ إلا بعد إتمامه نسخة انظر صح البخاري ١٧/١٧١

(٢) وأكثر حسنة على أنه ميزان واحد وإنما جمع في الآية (موازين) لتعدد لأعمال لم يؤد به

فَيَقُولُ احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السُّجُلَاتِ، فَقَالَ إِنَّكَ لَا تُنْظِمُ، قَالَ فَتَوَضَّعُ السُّجُلَاتُ فِي كَفِّهِ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفِّهِ، فَطَاشَتِ السُّجُلَاتُ وَتَفَقَّتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقُلُ مَعَ اسْمِ اللّٰهِ شَيْءٌ^(١)

(١) مس الرمعلي حديث . ص ٢٦٣٩

الحوض

قال القاضي عياض «مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به، أن الله ﷻ قد حصن نبياً محمداً ﷺ بالحوض المصروح باسمه وصفته وشرائه في الأحداث الصحيحة الشهيرة، التي يحصل مجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من أصحابه أريد من ثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك، مما صح نقله، واشتهرت روايته»^(١)، فقد قال الله تعالى لبيه ﴿وَإِنَّا أَنْعَمْنَا بِكَ الْكَوْنَرُ﴾ [الكوثر ١]، والكوثر نهر في الجنة، وماء الحوض ممتد منه، والظاهر أن الحوض في عرصات القيامة بعد الحساب، وقبل بعد الصراط، فقد جاء في الحديث «لَيَرَدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي فَيَقَالُ إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُوا بِغَدِّكَ فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ عَيَّرَ بَعْدِي»^(٢) وفي رواية «يَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَخَذْتُوا بِغَدِّكَ إِنَّهُمْ ارْتَدَّوْا عَلَيَّ أَذْبَارِهِمْ»^(٣)، قال

(١) أنكر جورج وحمزة الحوض وتسموا في تاويل الأحاديث الصحيحة على غير ظاهرها، وهم محجوجون بسبب نسبهم إلى النبي ﷺ، وذلك بإجماع السلف وأهل له من خلف ومصر كما يكره عبد الله بن رباح وند رباح بن أمه. أحد ولاية العراق، وقد دخل عليه أبو برة الأسدي فقال له هل سمعت رسول الله ﷺ ذكره شيئاً؟ يعني الحوض، فقال أبو برة نعم، لا مرة، ولا مرتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً فمن كذب به فلا سفاهة له، من صحح لي ١٤ ٢٦٣

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق ٦٥٨٥

العصاة ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط، فدل على أن العرض عن الحوص يكون
قل لصراط^(١)

صفة الحوض

ورد في الصحيح عن النبي ﷺ «حَوْضِي مَبِيرَةُ شَهْرِ مَادَّةٍ أَيْتُضُّ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ
أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكَيْرَانُهُ كُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»^(٢)، ومادّة ما أتته
من نهر الكوثر في الجنة جاء في الصحيح عن أسر من ماله، قال «بني رسول
الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُسْتَمًا فَقُنَا مَا أَصْحَكْتُ
بِأَرْسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ أَتُرِلْتِ عَلَيَّ إِنْفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ سَمِ اللَّهَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿وَإِنَّا
أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّكَ شَاعِدٌ هُوَ الْآخِرُ﴾ ثُمَّ قَالَ
أَتَذَرُونِ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ فَإِنَّ نَهْرًا وَعَدِيهِ رَبِّي ﷺ عَلَيْهِ خَيْرٌ
كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرُدُّ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ابْنُهُ عَذُّ السَّجُومِ فَيُحْنَحُ الْعُذُّ مِنْهُمْ فَأَقُولُ
رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فيقول ما تَذَرِي مَا أَخَذْتُ بِعَذِّكَ»^(٣)

ومن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، وأول من يرده نبيًا محمد ﷺ كما جاء
في الصحيح «إِنِّي قَرَطْتُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ
أَبَدًا»^(٤)

ويُطْرَدُ عن الحوص العصاة وأهل الكبائر، ويأديهم رسول الله ﷺ، فيقال له
لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم بدلوا وغيروا فبنوا منهم، ويقول: ألا مسحًا مسحًا

(١) نظر سنده مر ٣٠٢ ولألفه الطحاوية ص ٢٥٢

(٢) سنن أبي داود رقم ٦٥٩٩

(٣) مسلم حديث رقم ٤٠٠، ويصحح أي تحديه الملائكة وتسمعه من ورود الحوص

(٤) البخاري حديث رقم ٦٥٨٥، والفرط الذي يس

الصراط

الإيمان به وصفه

الصراط - الجسر المصوب على جهنم لعبور المسلمين منه إلى الجنة، ومنه يسقط أهل النار في النار.

والصراط مما يجب الإيمان به، لما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة، قال الله تعالى ﴿وَبِذَلِكَ يُبَيَّنُّ لَكُمْ الصِّرَاطَ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُ اللَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا نَحْنَهَا قَالَتْ بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاثْبَرَهَا، فَقَالَتْ خَفَضَتْ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ ثُمَّ تُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَتَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا^(١)

قال كثير من المفسرين المراد بالورود مرور المسلمين على الجسر بين طهريتهما، وورود المشركين أن يدخلوها وفي الصحيح قال ﷺ «لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوُلْدِ فَيَلِجَ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةُ الْقَسَمِ^(٢)»، يعني الورد. قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية ﴿وَبِذَلِكَ يُبَيَّنُّ لَكُمْ الصِّرَاطَ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُ اللَّهُ ﷻ﴾

وقد جاء في الصراط وصفه أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما، من ذلك

(١) مسلم حديث رقم ٢٤٩٦

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٣٢ وانظر تفسير ابن كثير ١٣٣/٣

حديث أبي سعيد المتقدم، وفيه • ثُمَّ يَأْتِي بِالْجَسْرِ فَيَجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ
فَمَا بَا دُشُوا لَهُ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ مَذْحِجَةٌ مَرَّتُهُ عِنْدَهُ حَطَاطِيْفٌ وَكَلَالِيْبٌ وَحَسَكَةٌ
مُعْلَطُحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقْبَقَاءٌ^(١١) وَهِيَ رَوَايَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ • وَهِيَ جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ
شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا بَعَمْ، قَالَ فِيهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ
غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَغْنَمُ قَنْدَرٌ عَظْمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَحْطِفُ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ^(١٢)، • الْمُؤْمِنُ عِنْدَهَا
كَالْظُرْفِ وَكَالْبُرْقِ وَكَالْبُرُوحِ وَكَالْحَاوِيْدِ الْحَيْلِ وَالزُّكَاتِ فَجَاحٌ مُسْتَمٌّ وَبَاحٌ مُخْدُوشٌ
وَمُكْدُوشٌ فِي بَدَنِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ أَحْرَهُمْ يُسْحَبُ سَحَابًا^(١٣)

والمرود على الصراط عام لكل أحد حتى الأسياء، فهي الصحيح من حديث
أبي هريرة المتقدم • وَيَضْرِبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَدْنَى وَأَمْسَى أَوَّلَ مَنْ
يُحْيَرُهَا وَلَا يَسْكُنُ بِؤْمِنِي إِلَّا الرُّسُلُ وَدَعَاؤُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَتِّمْ سَتِّمْ^(١٤)

القصاص من المظالم

يُحَسِّنُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ قِطْرَةٍ، قَبْلَ هِيَ الصَّرَاطُ، وَقَبْلَ قِطْرَةٍ أُخْرَى عِنْدَ
الصَّرَاطِ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَتَقَاصُوا الْمَظَالِمَ فِيمَا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَنْظُمَ، فِي
الصَّحِيحِ قَالَهُ ﷺ «يَخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَجْبُونَ عَلَى قِطْرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
فَيَقْصُرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هَذَّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي
دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحْلُمَنَّ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ
فِي الدُّنْيَا»^(١٥) وَهِيَ رَوَايَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ
فِيمَا مِنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ
وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا،
فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فُتِنَ مِنْ حَسَنَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ
مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١٦) وَإِذَا مَرَّ النَّاسُ عَلَى الصَّرَاطِ، وَسَفَطَ

(١١) سحدي حديث رقم ٧٤٤٠

(١٢) سحدي حديث رقم ١٥٧٤

(١٣) سحدي حديث رقم ٧٤٤٠

(١٤) سحدي حديث رقم ٧٤٣٨

(١٥) سحدي حديث رقم ١٥٣٥

(١٦) مسلم حديث رقم ٢٥٨١

في الدار من سقط فيها من الكفار والعصاة، معجى الله تعالى بعد ذلك المؤمنين بعد
 أن يسوفوا لجراء على حسب أعمالهم، أو يخرجون منها شفاعاة من يشفع فيهم من
 الملائكة ولسين وإخوانهم المؤمنين^(١)

(١) انظر تفسير ابن كثير ١٣٤/٣

الجنة والنار

- ٨ -

النار

جهنم - أعادنا الله منها -

جهنم محبوبة موحدة، وهي اسم لجميع طاق النار، والنار دركات، أي طفت ومدرب، قال تعالى ﴿إِنَّ الْمَكِينِ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(١) [النساء ١٤٥] وقد ذكر له تعالى النار في كتابه، ووصفها على لسان نبيه ﷺ، وتوسعت أسماؤها في لقراء، قال العلماء تبعاً لدركاتها وشدتها وطمعتها، قال تعالى ﴿كَلَّا يَهَيَّأُ لَهَا نَظِيرًا﴾^(٢) [المعارج ١٥، ١٦]، وقال تعالى ﴿وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ﴾^(٣) [المعارج ٢٧، ٢٨]، وقال تعالى ﴿كَلَّا لَبِئْسَ فِي الْهَاطِلِ﴾^(٤) [التكوير ١٢]

وقد حذر الله تعالى من النار وتوعد بها الكافرين، وحوّث بها العصاة والطغاة والممردين من المسلمين، فقال تعالى ﴿فَاقْبَلُوا النَّارَ الَّتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَنَجَارَةُ أَصْدَقَ لِلْكَافِرِينَ﴾ [الفرقة ٢٤]، وقال تعالى ﴿ذَلِكَ عَذَابُ اللَّهِ بِهِ، عَادِمٌ يَبْعِدُ فَأَقْوَمُ﴾

(١) يهين ما هو وتساوي درك، ونحو ارتفع وعلا، درج، فالحق درجات، والنار دركات

(٢) واشترى جسع شواء وهي جلد الثور

(٣) ولواحه أي مصيرة

(٤) وسمرت أي أوقدت وأصمرت

[الرمل ١٦] وقد تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يَافِكُونَ أَمَّا الْيَسَىٰ طَلْعًا إِنَّمَا يَافِكُونَ فِي طَلْعِهِمْ نَارًا رَسْفُورًا سَمِيرًا﴾ [النساء ١٠]

وحرار جهنم ليس مثل نار الدنيا، بل يريد عليها أصعافاً كثيرة، فهي الصحيح قد ﴿فَنَارُكُمْ حُرَّةٌ مِنْ مَبِينٍ حُرَّةً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ، قَالَ فَضَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِشَعَةِ وَبَشِيرٍ حُرَّةً كَلْهُنَّ مِثْلَ حُرَّةَا﴾^(١)

وكما أن في الجنة من السيم ما لا عين رأت ولا أدن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فإن في النار من الأهوال وأصناف العذاب ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ففيها سلاسل وأغلال ومقامع من حديد وطعام من عسلين، وطعام ذو عصاة، قال تعالى ﴿يَا لَيْتَا أَكْثَلَا وَجْهًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الرمل ١٢، ١٣] وقد تعالى ﴿يَا شَجَرَتِ الرَّقُومِ ۝ طَعَامُ الْإِنْسِ ۝ كَاتِبِينَ يَبْقَىٰ فِي الْطَلْعِ ۝ كَمَيِّ لَحْمِيمِ ۝ حُدُودُهُ فَاغْلُظْ إِلَىٰ سَوَاءٍ لَحْمِيمِ﴾ [الذخار ٤٧]، وقد تعالى ﴿فَقُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصْطَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ لَحْمِيمٌ ۝ يُضْهِرُ بِهِ مَا فِي طَلْعِهِمْ وَيُخْفِيهِ ۝ وَلَهُمْ مَقْنِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج ١٩، ٢١]، وقال تعالى ﴿حُدُودُ صُدُوءِ ۝ ثُمَّ فِي سَبِيلِهِ دَرَعًا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة ٣٠، ٣٢]

وفي الصحيح قد ﴿إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَىٰ أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ حُمُرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا وَمَاخُهُ كَمَا يَغْلِي الْبِرْجَلُ وَالْقَنْقَمُ﴾^(٢)

وفي الصحيح قد ﴿يَقُولُ اللَّهُ -تعالى- لَأَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَقْنِدي بِهِ؟ يَقُولُ نَعَمْ، فَيَقُولُ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبٍ لَدَمْ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَيَّتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾^(٣)

النار لا تقنى ولا ينقطع عذابها

كما أن السيم لا يقطع، فكذلك عذاب النار لا ينقطع عما جعل الله مصيره إلى النار نعوذ بالله منه، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر ٣٦]، وفي منهم فيها

(١) سحري حديث رقم ٢٢٦٥

(٢) سحري حديث رقم ١٥١٢

(٣) سحري حديث رقم ١٥٥٧

عنى الدوم بلا موت، ولا حياة باسعة، ولا راحة، قال تعالى ﴿وَدِدُّكَ يَنْفَسُ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكَ مَكِينٌ﴾ [الزحرف ٧٧]، وقال تعالى ﴿كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثًا﴾ [الحج ٢٢] وقال تعالى ﴿كُلَّمَا نَفَثَ جَلُودُهُمْ نَذَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء ٥٦]

قال لعلماء^(١)، وهذا في أهل النار من الكفرة، أما العصاة يُعذبون، وبعد ذلك يموتون، وقد تحسب أحوالهم في طول العذاب بحسب آثامهم ومعاصيهم، ويدل لذلك ما جاء في الصحيح، قال ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِي مِنْ قَالٍ حَيٍّ مِنْ خَزْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ قَدْ امْتَحَشُوا وَعَادُوا حُمَمًا يُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ فَيَبْتِثُونَ كَمَا تَبْتِثُ الْحَبَّةُ فِي حَبِيلِ السِّلِ»^(٢)

صفة أهل الجنة وأهل النار

ثبت في الكتاب والسنة على وجه اليقين، أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الموافقة على الإيمان موصل إلى الجنة، وأن الكفر والمعاصي واتباع الهوى والضلال، موصل إلى عذاب الله تعالى في النار

قال الله تعالى ﴿مَنْ مِمَّنْ سَمِعَ ﴿١٠﴾ وَآثَرَ لِقَاءَ الدُّنْيَا ﴿١١﴾ إِنَّ تِلْكَ هِيَ الدُّنْيَا﴾ [الزحرف ٣٧-٣٩]، وقال تعالى ﴿إِنَّ الْآيَةَ لَا يَزِيدُكَ لِقَاءَنَا وَرَوْضًا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَآثَرًا بِهَا وَالْآيَةَ هُمْ عَنْ مَا بَيْنَا عَتِلُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ الْآيَةَ مَأْمُونًا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَبْتَغِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِسْمِهِمْ تَخَرَّفَ مِنْ تَحِيَّتِهِمُ الْآثَرُ فِي حَسَنَةِ الْيَمِينِ﴾ [يونس ٩٦]

وفي الصحيح قال ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ غُلٍّ جَوَاطِ مُتَكَبِّرٍ»^(٣)، وفي رواية «كُلُّ جَوَاطِ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ»^(٤)

(١) نظر سذكره ص ٤١٥

(٢) البخاري حديث رقم ٦٥٦٠، وامتحنوا احرقوا وصاروا دجنا

(٣) البخاري ٤٩١٨

(٤) مسلم حديث رقم ٢٨٥٣، والغل الحادي الغط الشديد في الحصى بالداخل ونحوه ونحوه

محذوف، ونحوه، في نسب الملوك بالثوب ونحوه

والمراد بالصعف ليس ضعف العريضة أو القوة البدنية، فإن المؤمن القوي حير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف كما جاء في الحديث^(١)، وإنما المراد رقة القلب ولبه، وإحاطة وحشوعه لله ﷻ وفي الصحيح قال ﷺ «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ»^(٢)

وفي الصحيح قال ﷺ «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ مِيَاهٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنَاءٌ كَأَسْيَافٍ عَارِيَاتٌ مُيَلَّاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْهُمٍ الْبُخْبُ الْمَائِلَةُ لَا يَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدَنَّ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا»^(٣)

(١) مسلم حديث رقم ٢٦٦٤

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٢٢ ومعنى (لو أقسم على الله لأبره) لو حلف بيمين طمأنينة في كرم لله تعالى بأبره لأبره (ومدفع بالأبواب) أي لا يوجد له إذا أراد الدخول لعدم وجاهته عند الناس، بطر شرح صحيح مسلم ١٧ ١٨٧

(٣) مسلم حديث رقم ٢٦٢٨ و(كاسيات عاريات) تشر بعض بدنها وتكشف بعضه، أو تشره بناسر من يصف ما تحته إصهاراً لهه ولحماء فهي كاسه عاريه، و(رؤوسهن كأسهم السحاب) تعظم شعورهن وتكريمه حتى يشه في ارتفاعه سام العير، يلغى بذلك الاساء

الجنة

الجنة موحدة لأن خلقها الله تعالى وأعدّها للمتقين، يدل على ذلك بصوص القرآن ولأحدِيث الصحيحة، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [ال عمران ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [العنكبوت ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣٦﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٣٧﴾ عِندَهَا جَنَّاتُ الْأَوْثَارِ ﴿١٣٨﴾ [النجم ١٣-١٥] وقد رأى النبي ﷺ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَىٰ ورأى عدها حنة المأوى ليلة المعراج، وفي الصحيح من حديث أسد قال قال ﷺ: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَاقَتِي سِفْرَةَ الْمُنْتَهَى فَفِيهَا أَلْوَانٌ لَا أَذْرِ مَا هِيَ قَالَ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَبَدَأَ فِيهَا حَتَابِدُ اللَّذَلِزِ وَإِذَا تَرَاهَا الْمِنْكَ»^(١) وفي الصحيح، قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ هَرَضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ يَقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)، وفي الصحيح من حديث الكسوف: «... قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَكَ تَتَأَوَّلُ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ رَأَيْتَكَ تَكْمَلُكَ فَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ أَوْ أُرَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَأَوَّلْتُ فِيهَا حُقُودًا وَلَوْ أَخَذْتُهَ لَأَكَلْتُ مِنْهَا مَا بَعَثَ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مُنْظَرًا نَظًّا»^(٣)

(١) مسلم ١١٣

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٣٢٤٠

(٣) سنن أبي داود حديث رقم ٥١٩٧

وفي الموطأ من حديث كعب بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَنْفَلِقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(١)
فهذه قبيل من كثير من النصوص التي تدل على أن الجنة مخلوقة الآن أعدها الله تعالى لعباده المتقين

الجنة لا تفنى ولا يقطع نعيمها

ومن أعم له تعالى عليه مدحول الجنة فقد فار، فهو في نعيم مقبم لا سقطع ولا يفسى، قال تعالى ﴿أَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهَا إِذَا تُرِيتُهَا﴾ [الرعد ٣٠]، وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَنْهَى الْفَرْسَ أَنْ يُجْرِيَ فِي رِجْلِهِ خَيْرًا مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ [النساء ١٣٤]، وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَنْهَى الْفَرْسَ أَنْ يُجْرِيَ فِي رِجْلِهِ خَيْرًا مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ [النساء ١٣٤]

وحاء في الصحيح من حديث ابن عمر، قال قال رسول الله ﷺ «إِنَّا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُدْبِحُ ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، لَا مَوْتَ وَبَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»^(٢)

وفي لحة من أصفاف النعيم ما لا عين رأت، ولا أدن سمعت ولا حطر عسى قلب شر، قال له تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ رَّزَاهُ بَدَأُ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [السجدة ١٧]

وفي الصحيح قال ﷺ «أَوَّلُ رُفْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةُ الْبَدْرِ لَا يَبْصُرُونَ فِيهَا وَلَا يَنْتَحِطُونَ وَلَا يَتَمَوَّطُونَ أَيْتُهُمْ فِيهَا اللَّعَبُ أَمْشَاطُهُمْ مِنَ اللَّعَبِ وَالْفِضَّةُ وَمَحَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ»^(٣)
وفي الصحيح قال ﷺ «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُّجَوَّفَةٍ طُولُهَا

(١) موطأ حديث رقم ٥٦٦ هذا وقد أكر بعض المصنفين وجود الجنة الآن وقالوا لا تحدث الا يوم النسخة لأنه في عهدهم لا فائدة من وجودها الآن وأنها لو كانت موجودة لثرت على ذلك أنه نفس مع الله، هذا هو الذي تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ انظر المعتمد لطحاوية ص ٤٧٦، وفتح لم ي، باب ما جاء في صفه الجنة

(٢) سحري حديث رقم ١٥٤٨

(٣) سحري حديث رقم ٣٢٤٥ والآية العود الذي يسحره

يَسْتَوْنَ مِثْلًا لِلْمُؤْمِنِينَ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَا يَرَوْنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(١)، قال تعالى ﴿وَيَا رَبِّتَ نَمُ رَأَيْتَ هَآءَا وَمَكَآ كَيْفَا﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدِّيَّةٌ حَصْرٌ وَتَسْرِقٌ وَهُمْ أَسَدَرٌ مِّنْ صَمَرٍ وَسَقَمُهُمْ رِيْهُمُ سَرَابًا طَهُورٌ﴾ [الإنسان ٢٠، ٢١]، وقال تعالى ﴿وَأَصْحَابُ آيِي مَآ أَصْحَابُ كَيْسِي﴾ وَ يَدْرِي تَحْصُرُ ﴿وَطَنُجٌ مَّصُورٌ ﴿وَطَلِيٌّ تَمْدُورٌ ﴿وَمَآ مَسْكُوبٌ ﴿وَمَكْهَرٌ كَبِيرٌ ﴿لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَسْمُوعَةٌ ﴿وَرُثِي مَرْغُوعٌ ﴿يَا أَشَاهِدُ إِشَاءَ ﴿بِحَفْصُهُمْ أَتَكَارًا ﴿عَرَا ثَرَا ﴿لَأَصْحَابِ كَيْسِي﴾ [الواقعة ٢٧-٣٨]

وما أعطيه أهل الجنة من النعيم والطعام والشراب والذهب والحرير وأنواع الفاكهة والفُرش، ليس شيء منه يشبه ما في الدنيا، والتشابه ليس إلا في الأسماء فقط، تقريباً للأفهام وصرحاً للأمثال، وتوصيلاً للمعاني بما يعقل الناس ودرجوا عليه من الألفاظ، وإلا فليس بين ذكوة الجنة وفاكهة الدنيا من شبه في الذة والنعيم، ولا بين لسهة وعسلها وحمرها، وعسل الدنيا ولنسها وحمرها مقارنة أو شبه

وفي الجنة شيء أحر أحب إلى أهل الجنة من نعيم الجنة، وهو رصود ربهم عنهم، وطرهم إلى وجهه الكريم، ففي الصحيح من حديث صهيب، قال قال ﷺ «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تَبْخُسْ وَحَوْهَتَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ فَيَكْثِفُ الْجَنَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ»^(٢)، ثم تلا قوله تعالى ﴿يَلْبِسُونَ أَحْسَنَ لِبَاسٍ وَزِيَادَةً﴾ [يوسف ٢٦]

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه، قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَمُطْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ أَجَلٌ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٣)، حسب الله من أهل الجنة والرصود نعمة وكرمه، وأعادنا من سطحه والبار

(١) مسلم حديث رقم ٢٨٣٨

(٢) مسلم حديث رقم ١٨١

(٣) بخاري حديث رقم ٦٥٤٩

أولاد المسلمين وأولاد المشركين

ذكر غير واحد من العلماء الإجماع على أن من مات من أولاد المسلمين قبل النبوة فهو في الجنة^(١)؛ لأنه غير مكلف، ولما جاء في الصحيح من حديث سمرة في الرؤيا: «وَأَمَّا الرَّحْلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوَصَةِ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ وَأُمِّ الْوَلَدَانِ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مُؤْتَوِدٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ»^(٢)

واحتسب أقول العلماء في ما يكون عليه حال أولاد المشركين^(٣)، فمنهم من قال: إنهم في مشيئة الله تعالى، لا يعرف مصيرهم، لما جاء في الصحيح: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: اللَّهُ إِذَا حَلَقَهُمْ أَغْنَمَ بِمَا كُنُوا غَنَمِينَ»^(٤) ولصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة، لقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَا لَمْ يُلْحَقُوا بِهِمْ مِنْهُمْ أَجْرٌ كَمَا كُنْتُمْ تُفْتَنُونَ﴾ [الإسراء: ١٠]، قال الحافظ في فتح الباري: «وإذا كان لا بعد العاقل لكونه لم تلبسه الدعوة، فلا لا يعذب غير العاقل من باب أولى»^(٥)، ولحديث سمرة المتقدم، فقد جاء فيه: «فَقَالَ نَعَصَ الْمُسْلِمِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادَ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»^(٦)، أي مع الولدان الذين هم حول سيدنا إبراهيم ﷺ

(١) انظر شرح مسلم ٢٠٧/١٦

(٢) البخاري حديث رقم ٧٠٤٧

(٣) انظر فتح الباري ٤٨٩/٣

(٤) البخاري حديث رقم ١٣٨٣

(٥) فتح باري ٤٩٠/٣

(٦) حديث رقم ٧٠٤٧

أهل الفترة

المراد بهم من عاشوا في الحدة الواقعة بين بعثة نبيّ من أسياء الله تعالى ، فكذبوا على فترة من الرسل ، ويدخل فيهم عرب الجاهلية في الجزيرة العربية قبل أن يُبعث إليهم نبي محمد ﷺ ، وكان منهم حنفاء على دين إبراهيم ﷺ ، كورقة بن نوفل ، وعمر بن عتبة ، وزيد بن عمرو بن نفيل

وأهل لفترة في حملتهم إلا من عصمه الله كانوا في صلال بعيد في العقيدة ، وصلاب في الأفعال والسلوك ، الشرك بالله وعادة الأوثان ، وشرب الخمر ، وواد الساب والمصلعة والارتواء من العارات ، وكان في كل أمة منهم بالإصافة إلى الشرك بالله حسياسة في السلوك اشتهروا بها ، أراد الله ﷻ إصلاحها وتحبصهم منها بمن بعث إليهم من الرسل ، كتيان الفاحشة في قوم لوط ، ونظيف المكيال والميراث في آل مدين ، ووّد لسان عبد العرب لكن من كمال عدل الله ورحمته بعده أنه لا يحاسب عباده قبل إقامة الحجة عليهم ، ولا يعذبهم قبل أن يدرهم ويحذرهم ، ويسنّ لهم لشرع ، ويرسل إليهم الرسل ، وإن كان فعدهم قبل ذلك بوصف ناقص ، وبالفاحشة ، وبالسكر ، شرعاً وعقلاً ، ولكن لا لوم عليهم ، ولا عقاب عنى ما فعلوه قبل أن يبعث إليهم الرسل ، فإن العقل يدرك في كل فعل حساً وقبحاً ضرورة ، لكن لا عقاب عليه إلا بالشرع وإرسال الرسل ، قال الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء ١٥] ، وقال ﷻ ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء ١٦٥] ، وقال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا رَبُّكَ مُهْلِكًا تَقَرَّى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ رَسُولًا لِّبَلِّغُوا عَلَيْهِنَّ أَيْبًا﴾ [القصص ٥٩]

فمن كان في نادية من الأرض لم تلعه دعوة الإسلام ، أو كان حدث عهد به ، لم يصبه منه ما يصحح الإيمان ، فهو معذور حتى يبلعه الأمر ، وتقام عليه الحجة

الباب الثاني

في السلوك

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

الإيمان والمفاهيم الخاطئة

عزل الإيمان عن السلوك

من المفاهيم لحاظته التي أحدثت في علم الكلام، ولم يكن لسلف الصالح بها عهد، فصل العمل عن الإيمان، كانوا لا يعرفون الإيمان إلا بالعمل، ومن قصر عندهم في العمل قصر في الإيمان، فكانوا يحشون من نقص العمل بنقص الإيمان، وكان لهذا الفهم الصحيح تأثير إيجابي على حياتهم في العهد الأول، لأن من حاف بنقص الإيمان بنقص العمل شمر على العمل، ولم يتهاون في الطلب، لأن النقص بعد النقص يذهب بالإيمان كله، فلا يبقى له أصل ولا فرع، لذا كانت هممتهم معالي الأمور وتحصيل الأعمال النافعة في كل وجوه الحياة، فمكوا الدين شرقاً وغرباً، وأسروا دولته اتوحدوا وأقاموا العدل، ومكن الله لديهم في الأرض، وأبدىهم من بعد خوفهم أمناً، فصلحت بهم الدنيا وصلاح بهم الدين

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي عامله على الحرية «إِنَّ لِلْإِيمَانِ قَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَشُتًا، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشَ قَسَائِبُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أُمِتَ نَمَّا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِخَيْرٍ»^(١)

ثم بكل المسلمون في العرون المتأخرة عصور التحلف إلى ما أحدث من الفهم الخاطئ في الفصل بين الإيمان والعمل الصالح، الذي هو أشبه بدعوة فصل الدين عن الحياة، وذلك على خلاف ما تضافرت عليه آيات القرآن ونطقته، من اقتران الإيمان بالعمل، وصورت كتب الكلام أن الحلاف في هذه المسألة وهي هل لعمل

(١) البحري، كتاب الإيمان، باب في الإسلام على خمس

الصلح من الإيمان؟ من قيل الحلاف الملقب^(١)، فرجعوا على أعقابهم القهقري، فقهرتهم الأمم، ولم تستقم لهم الدنيا، ولم يستقم لهم الدين

أحلد عامة المسلمين اليوم إلى الاعتقاد السائد أن المكلف لا يزال مؤمناً، مهما عمل من معص، وأظهر من فساد، ومهما فرط في حق الله وحق العباد، حتى صار المسم بدلت لا يحلف عن غير المسلم في ارتكاب الموبقات والمحرمات، وفي الإعراض عما كلفه به ربه من العادات يترك الفرائض، ويرتكب المعاصي والمخالفات، يأكل الربا ويأتي الربا، ويتعدى ويظلم، ويكذب ويعش، ويسكن بالكلمة الكبيرة في الدين لا يدري ما هي دون حسيب من نفسه أو رقيب

قصر عمة لباس دور الإيمان في الفوس على المساجد، وأخرجوه من مائر مرافق الحياة الأخرى في السلوك والتعامل، وما أكثر ما فيها من فرائض، فليس للإيمان أثر يذكر في التجارة والأسواق، ولا في السمر والرحلات، ولا في السباحة والصيد، ولا في الطب والعلاج والمستشفيات، ولا في الجامعات ومعاهد العلم، ولا في الإدراب والأعمال والوظائف، ولا في الحركة اليومية من حياة الناس

التجارة والمكاسب

في الحارات صفقات محرمة، وعقود فاسدة، وقروض ربوية يسمونها (تسهيلات) من تسمية الشيء بضده، وذلك من تلاعب الشيطان، قليل يتورع، وغلب الدس لا يسأل أبداً، أو يسأل بعد إتمام الصفقة، ونسبة كبيرة من الدس تقف أمام العقود المشوهة شرعاً، المعربة بعروضها طعناً، في مفرق طرق، لقب غير مطهر ولإعراء بُح، والقناوي متصارعة، وسهولة بذئها من أهل العلم عنى الهوى في المداور، وذلك من علامات الساعة وقلة العلم، والمسائل يسأل عن المشبه، لا ليكشف ويتورع، كما يصح رسول الله ﷺ الأمة «فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ»^(٢)، و«دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ»^(٣)، وإنما ليحط عن كاهنه المسئولية، ويضعها على كاهل العالم، فيتحذه حسراً

(١) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٠٨/١

(٢) البخاري حديث رقم ٥٢

(٣) الترمذي حديث رقم ٢٥١٨

المال والتعامل

إذا أردت أن تعلم محل الإيمان في قلوب الناس، فلا تنظر إلى رحمتهم على أبواب المساجد، وأماكن المناسك، حجاجًا وعمارًا، وبكائهم وصحبجهم، ولكن انظر إلى تعاملهم بالمال، وبصافيتهم غيرهم من أنفسهم إذا راحمهم أو حاورهم، أو شاركهم، أو باعهم. التعامل محك يختبر به إيمان المسلم وورعه، ووقوفه عند حدود الله تعالى، وأقوى أنواع التعامل في احتيار معادن الناس وديانتهم التعامل بالمال، فالمال شقيق الروح، وفيه إعراء وإعواء، يصعب معه على صديق الدين النصيحة، وترك ما ليس له، ما دام يقدر عليه ولو بالاحتيال والغش، أو الفهر والعدة، والديار ولدهم بقلبك على حقيقة الرجال، ولذلك كانوا يقولون احتبروهم بالمرور والنفوس، فقد تجد الرجل يصلي ويصوم ويحج، ويعجبك مظهره ومهجه، فإذا ما حالته في المال رأيت عجبًا، فكأنه إنسان آخر، يحاصم بهائمًا، ويأكل المال بالباطل، ويحاصم في المحاكم فجورًا، يبحث عن ثغرة في القوانين، ويسعدي على حصمه بالمحامير، ليستولي على ما ليس له إذا وجد في القوانين ثغرة، وذلك من قلة لفق وقسوة القلب، فإن ترك الحرام أفضل من العادة

فما سوء المعاملة بين المسلمين، ووصل إلى حد صار الناس يمدحون به الكفر ويمنون لمسلمين، فظلم بذلك المسلمون دينهم الذي يقوم على الحق والعدل، ويحبوا أهل الكفر وقوانينهم التي تقوم على الجور والظلم فما يتعقد الله على عمل في العال ولكثير أو يتشارك حتى من أولئك الذين يدل مظهرهم على المحافظة على دين الله تعالى وشرعه، والوقوف عند حدوده أمرًا ونهيًا إلا وتسمع عن تعاملهم بعد حين ما يسوء ويخيب الآمال؛ مماثلة في دفع الحقوق والديون، خيف في العهود والموثيق، تحايل على التوصل من الالتزامات، كثير منهم لا يراجع عمه مدد دينه، ليعرف ما إذا كان يتفق مع شرع الله أو يحالفه، فيكون سوء العمل من أساسه على باطل، وما كان أساسه باطلا لا يصير بعد ذلك صالحًا. وبعضهم يراجع عمه على الشرع، ولكن يأخذ منه ويترك، لأنه يريد كسبًا سريعًا، ويرى أن بعض الفوائد تعوقه عن الصفقات المعزية، والكسب السريع، فيأخذ من الشرع ما ساسه،

وما لا يماسه من الأقوال المعروفة المشهورة في الدين إذا كان محتاجاً إليها يبحث له عن (محل) عن طريق القنوات القصائية أو مواقع الحاسوب، والمهم سوى (وس) قد علمنا لقي الله سائلاً)، فصار كل شيء احترافاً، حتى الاستعداد، أما سوى رسول الله ﷺ للأمة في كل عصر ومصر. «دَعَا مَا يَرْثُكَ إِلَى مَا لَا يُورِثُكَ»^(١)، فليس لها بيسا مكان إلا من رحم ربك

عدم الانضباط

حارب المسمون الكفار في كثير من مكراتهم التي يحرّمها الإسلام، وورد العامة من المسلمين على غير المسلمين سيئة أخرى، وهي عدم الانضباط في حياتهم، وفي تصريف معاشهم ومعاملاتهم، فكثر فيهم العش والكذب، والإحلاف والرشوة، والاحياء على أكل المال بالباطل، واستحلال المال العام، والمعاناة على الحقوق، والهرب من لوائح، والتصل من الالتزامات والعهود، والآلية، وسعلاا المراكز والوظائف، والامتيازات والعقود، لصالح النفس، والقريب والصديق، والذي يدفع أكثر، إلى غير ذلك من الأمراض الاجتماعية الشائعة في بلاد المسلمين، وليس لها حصر ولا عد

انضبط حياة غير المسلمين مع تصييعهم للدين، ثما وجدوا من فوائد في الانضباط فعودوا أنفسهم على ذلك، وشنوا أولادهم عليه، وأشربوا محبته في قلوبهم، ثم سو من القوايين ما يحفظ هذا الانضباط، وطقوا القوايين بصرامة على الرئيس والمرءوس، فاستقام لهم بذلك ما أرادوا من الدنيا، وازدهرت لهم الحياة، وتقدمت العلوم، وصدروا للعالم حضارتهم واحترافاتهم وثقافتهم، واسونوا بذلك على ثروات المسلمين وعلى عقولهم، ورهد المسلمون في العمل الذي هو حرة الإيمان فتحلموا

ولعدم الانضباط في حياة المسلمين اليوم مظاهر سلبية أكثر من أن تحصن، هي سب تحفهم وذلهم، وشقاء حياتهم وانتكاساتهم، لأخذ منها مثالين يشترك فيهما في العالب والكثير عامة الناس، يدلان على ناقبها

(١) المصدر السابق

١- الاستهتار بالوقت

الوقت أعلى شيء عند العاقل، وأرحص شيء عند الجاهل، العاقل يزن كل ذرة منه بمواريث الذهب، والجاهل يذله برحص التراب، العاقل يحرص عني الاستداع به في كل نفس من أنفاسه، ويحسه بأحراء الثواب

لم تعرف لشربة وصفاً يعبر عن نفاسة الوقت واعظامه في الحير أبلغ من قول رسول الله ﷺ «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِي أَدْحَنُكُمْ قَبِيلَةً، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِبَهَا، فَلْيَفْعَلْ»^(١). وقد بلغ علماء المسلمين في حساب الوقت مدناً لا يوحد به بطير، قال رجل لعامر بن عبد الله بن عبد قيس أحد الأعداء كني، فقال له عامر أمسك الشمس

يقول أبو لوف بن عقيل عن نفسه لا يحل لي أن أصبغ ساعة من عمري، إن تعطل لسبي عن مذاكرة أو ملاحظة، وبصري عن مطالعة، أعمد فكري وأد مسطرح، فلا أنهض إلا وقد حطر لي ما أسطره، وقد ألف ابن عقيل كتاب (العون)، قال عنه الذهبي لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب، يقال. نبع ثمانية مجلد وكان يقول كتب أحتار سف الكعك وتحسبه بالماء على مضغ الخبز؛ لأجل ما بينهما من التفاوت في الوقت، حتى تتوفر له ثوان يغتمها في شيء ينفعه^(٢)

والخطيب لعدادي إذا احتاج إلى المشي في الطريق لا يصيب وقته في المشي دون أن يعود عليه منه شيء، بل كان يمشي وفي يده جرة يطأه، وكان ابن الجوري يجعل أوقات الريات التي لا يقدر على دفعها ليري الأقلام، وإعداد النور، وحرم الكواريس، لأنها أعمال لا بد له منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، حتى لا يضيع شيئاً من وقته دون نفع^(٣)

هذا لمقيس لذي يقيس به عامر بن عبد القيس وابن عقيل الوقت، دونه لمقيس اليوم في الدول الصناعية المتقدمة، فلم يصلوا بعد إلى احتصار أوقات أكلهم بما

(١) - حديث رقم ١٢٥٦٩

(٢) - حفيد لأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ٢/٢٤٧. وانظر حاشته شرح عبدفتاح أبي عفة على سانه

المترشحين للمحاسبين ص ١٤٧

(٣) - المصدر السابق ص ١٤٧، عن عبد الحافظ لابن الجوري

احتصره من عقيل إنها الحصاراة النابعة من الإيمان، التي لا ترقى إليها الحصاراة المادية المحددة، فلما حرج السلوك من دائرة الإيمان، ولم يكن هناك قانون رادع، ولا عقاب صارم، صيغ الناس كل شيء، صيغوا أعمارهم وأعمالهم، بالجمع في المكتتب وأماكن لعمل تنمضية الأوقات، وبالجلوس في الأسواق والطرقات، ومراقبة الناس، وبما اعتادوه من كثرة الريارات، ويسمون ذلك مواصلة، يمشون فيها أكثر أوقات أعمارهم، في أحاديث لا تعود بظائل، بل إلى الغيبة والمخالعات أقرب

فمن لم يكن شيء من ذلك، فالجلوس الساعات الطويلة لشاشات الصغيرة، التي لا يكاد يحبو منها بيت، أو يلعب الورق والشطرنج وما استحدثت من ذلك في محلات اللهو واللعب، وهذا هو العن الذي حذر منه النبي ﷺ «يُفْتَنَانِ مَقْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(١)

الوقت هو الكلمة السحرية التي إذا أحس استعمالها، وعلا ثمنها، وحسنت بالتوازي والدقائق، عند المسلم منه، وأنتج القرد، وتقدم الأمم، وسيت الحضارات، وإذا أسوأ استعمالها واستوت فيها الدقائق والأيام مع السنين والأعمار، وصارت سعر التراب، تعطل الحياة، واصمحت الأمم، وحرب الملاد في الأمم لمقدمة، تقلع الحافلة والقطار في الموعد، ويصل الريد في الوقت المحدد، ويبدأ العامل في الرمن المقرر، وإتقانه للعمل ومستوى أدائه في الخدمة من السحية العنسية والعقلية هو في الساعة الأخيرة من الدوام كإساعة الأولى حين بدأ، وكأنه آلة، لا تكل ولا تمل، وفي الأمم التي لا تحسب للوقت حساباً، تحتفي الحفلات من الشورع، ويصل الريد المحظوظ بعد شهر، والموظف الأمين من يرور المكتب كل يوم!!

لوحص الوقت عند المسلمين صار المسلم لا يحس بالحرع إن تأخر عن عمله، أو تحيف عن عهده، خصوصاً إذا قال عند العهد إن شاء الله، فوصعت هذه الكلمة (إن شاء الله) لتي تعني العزم والتصميم، وطلب العون من الله على السعيد، وصعت لتلمح إلى الإنكاث، وأصمحت تعني عند ضعاف الإيمان تبست الية مسقاً على الإحلاف، حتى صار أعداء المسلمين، يتدرون بها على المسلمين

(١) البخاري حديث رقم ٦٤١٢

٢- المغالبة على الحقوق

من مظاهر عدم الانصاف المادية لسلوك المسلم الإيماني، المعاملة على الحقوق، لا أقصد الحقوق لمادية العيبة، كأَمْلاك والعقارات، فتلك لها شأن آخر، وإنما الحقوق التي يعمل عليها الناس، حتى إهم قد لا يعدونها حقوقاً، الحقوق المعنوية المتمثلة في المدفع العامة، التي يكتسبها الإنسان بصفة أسقيته إلى الشيء، أو بصفته مواطناً، أو بصفته إنساناً، أو بما وضعته الدولة لرعاياها من نظم وقوانين لتحقيق الصالح العام، مما لا يخالف الشرع، أصبحت هذه الحقوق غير معروف بها عند كثير من عامة المسممين، وسلبها والاستيلاء عليها أمر لا يثير الاستنكار ولا الاستعراب، فمن يقدر على شيء بالمراحمه والمعالجة، أحذه دون استحياء ولا تردد

الاردحده غير لمظم شعار الناس حتى في المقابر للعرء، مع أن الحادث حدث موت، ولموت اعتبار، ولكن لا تأثير له على النظام، فالطع يعجب الطع لم يعد الناس في حياتهم نظام (الطواير) واحترام الحقوق، لا في المقابر، ولا في الأسواق، ولا في الحج وأماكن العبادة، ولا في ركوب الطائرات والحافلات، ولا في العيديد والمستشفيات، ولا وهم يقودون المركبات في الطرقت

فهي الطرقت المبدأ السائد هو المعاملة، والاستيلاء على ما لغيره، العذر والضعيف هو لدي ينترم نظام السير، والناقي يسطو على الطريق من أي جهة كانت، فبد ما كمنته، أو لم تسمح له بالتعدي سمعت من الكلام ما لا يمكن الصرع عليه، فإن سكنت سكنت عن ظلم وذن، وإن تكلمت أوقف سيارته وأخرج السلاح ليقتل، وتساؤل نفسك. أين أنت؟ لا تصدق ما ترى!! ما حولك من الظواهر والمركبات وهيئات الأشخاص، كلها ظواهر مادية، أهلها مسممون، والأحلاق؟ الله المسعد، لا يمان في القلب يردع، ولا قانون له سلطان على الجميع يعد

المعالة بالاحياء والسطو على أوقات الناس وعلى حقوقهم بالسرور والرشوي، أو بالمعروف ولوحاهات والوسائط، أصبحت اليوم في الأعراف السائدة مشروعة، من يقدر على شيء من جهد غيره أو وقته أو ماله أو حقه أخذه ولا يبالى

السلوك الإيماني في الحفاظ على النظام والأداب العامة وحقوق الآخرين معطل،

يقف السائق سيارته وسط الطريق ليتحدث مع صديقه، ويتوقف بوقفه الجميع حتى ينهي من حديثه ولا يحس بالحرج

من احراج إلى لطيف العام لأي طرف من الظروف ركب حبة وسط الطريق، وأعنفه على لباس ألباما عديدة، لا يستأذن أحداً، ولا يرى أنه اعتدى على أحد، والجميع يجب أن يعذروه، وكان الطريق ميراث أبيه، رحم الله ماتك، أوقفه جمال على ظهره لماء في الطريق لمسألة، فلم يجه حتى يحاه عن الطريق، وقال له الطريق ملك المسلمين جميعاً، ليست ملك أبي ولا أليك

وإذ كان السب الذي أعلقت الطريق من أحلها تعدياً حصل رواح، أضاف المعتدي إلى مع الطريق مع راحة الجيران، بمكبرات الصوت التي تث كلاماً مائلاً صاخاً، بسموه عاء، وتمتد هذه الأصوات المكبرة إلى فروع الحجر، فدا ما حان وقت الأذان هداً لأصوب، وحمدت الشياطين، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعَثْنَا مَا تُحْسِنُونَ فَقَدْ اخْتَلَوْا بِهِمْ﴾ [الأحزاب ٥٨]

كل حقوق الفرد سواء كانت مادية أو معنوية، سواء كفلها له الشرع، أو كفنها له القوانين لموضوعه لمصالح العام بما لا يخالف الشرع، كقوانين السير في الطرقات والمرور، وتنظيم الأسواق وتنظيم الأعمال والإدارات وغيرها، مما يحقق المصلحة العامة كلها يجب طاعتها واحترامها، وعدم الاعتداء عليها، فلا يجوز المساس بها شرعاً، ومحلها تعد عصياناً، قال تعالى ﴿وَلَا تَسَدُّوْا بُرُوجَ اللَّهِ لَا يُحِبَّ الْمُفْسِدُونَ﴾ [الفرقة ١٩٠]، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ نَفْسَ وَنَحْوَهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى ٤٢]

والحقوق بأوعها مادية أو معنوية لا تونة لمن يتعدى عليها إلا باستحلال أصحابها، قال ﷺ «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِيْنَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(١)

(١) البخاري حديث رقم ٢٤٤٩

استحلال المال العام

استحب لقعدة العريضة من الناس المال العام، فمن قدر على شيء منه وأمس
المساءلة تعذى عليه ولم يبال، ولا يرون للمال العام حرمة ولا ضوابط

المال العام فيه حتى لكل الأمة، والمعتدي عليه من غير وجه حتى متعدد على كل
الأمة التي لها حق في ذلك المال، والصرر المترتب على كل الأمة أشد من الصرر
المنوَّب على التعدي على فرد واحد، فمن امتدت يده مثلاً إلى آلة أو جهاز، أو سيارة
في (مصنع) أو مؤسسة، أو مستشفى، أو مرفق يقدم خدمات عامة، فقد عطل تدفُّق
الخدمة، وشلَّ حركة ذلك المرفق، وأوقع صرراً بالغاً بعامه الناس، يؤدي إلى تعطيل
مصلحتهم، وتصنيع حقوقهم، وقد يؤدي إلى إتلاف حياتهم

النقص في لأجهزه، وفي المواد والإمداد، وفي كل السبع التي لا تأتي إلا عن
طريق المال العام، وما يؤدي إليه هذا النقص من إصرار بالمحتاجين إليها من أهم
أسباب إمداد الأيدي إليها من (الأموال) عليها في مصدرها الأول، الذين سسحبوا
المال العام، فلا يصرف منها إلى الجهات التي تستحقها إلا القليل، وهذا القليل أيضاً
لا يسلم منه، بل يباله ما يطوله من الأيدي التي هي الأخرى تسحب المال العام بعد
تسليمه إليها، ولجميع يبيعون هذا المال العام بأعلى الأثمان إلى تجار القطع
الحاص

هذا التعدي يُعد من أهم أسباب النقص في السلع والمواد والخدمات في مصدرها
الأول، الذي يقدمها مجاناً كالمستشفيات، أو سعر في المساوِل الميسور، كالمصنع
والمؤسسات، وتوفرها خارجها بأصعاف ثمنها، مما لا يقدر عليه عامة الناس
والعامة من عباد الله لا يقدرُون على إيواء مرضاهم في المصحات الخاصة،
ولا يقدرُون على شراء السلع والمواد الأولية اللازمة لئاء بيت مثلاً، أو تكوين أسرة
من المحلات التي تبيعها بأصعاف ثمنها، ويكون مصيرهم سبب سرقة من تعد
أيديهم إلى المال العام إما إلى اليأس المؤدي إلى هلاك المريض، أو الحرمان
المستمر للمحتاجين، وإما اقتحام الحرام بأكل الربا والرشاوى وانتهاب المال العام
كما ينتهب غيرهم، وتتولد على هذا الانحراف سلسلة من المعاسد، تنمو وتكثر وتوسع
أساليبها في الاحتيال والفساد والإفساد

وكل ذلك بحمل تبعته وأوراده من تاجر في حقوق العباد وخدماتهم المجانية،
وسمى ماله من لسلع المحفظة شتى الطرق والوسائل غير المشروعة، كافتعال
الوسائل، المرور باسم الإدارات والمؤسسات، واستغلال التوحيات والمصائب
والنعم، وهو مطلوب عند الحساب بالحقوق من كل من تصرر منه من عدد الله
هذا لون من لتعدي على الحال العام على المستوى الأدنى، من أصحاب الوظائف
الصغيرة، أما على مستوى المؤسسات ومجالس الإدارات، فالبدء السائد بينها إلا
من رحم ريك أن المؤسسة وما تنتجه ملك من أملاك رئيس المؤسسة، يعميه ويأخذ
عمولاته، ويستثمره ويستغله مادياً ومعنوياً للرفع من مستواه، وخدمة أملاكه ومشاريعه
وموارد، وشغله لشاغل الحرص على المصعب، وبذل القيس والرحيص في الحفاظ
عليه، لأن يفقد كل شيء، عدا سلوك المؤمن، فإنه غير موحود أصلاً،
فلا يصاب فيه

وقد توعد لبي ﷺ من كنتم مخيطاً من الحال العام، فكيف بما فوفه، فقال «مَنْ
اسْتَعْمَنَهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمْنَا مَخِيطًا، فَمَا قَوَّةَ كَانَ عُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»^(١)، وأشد السى ﷺ وهو يمر بالقبع إلى قبر، وقال «هَذَا فُلَانٌ بَعَثْتُ سَاعِيًا
عَلَى بَنِي فُلَانٍ، فَقُلَّ نَمِرَةً، فَفَرَّخَ الْآنَ مِثْلَهَا مِنْ نَارِهِ»^(٢)، ودرع معه أنس عوصها
درد، وهو لثيب الساعة الكاملة أي ألسها في النار وقال ﷺ «مَا بَالُ الْعَامِلِ
نَسْتَمِينُهُ قِيَامَتًا فَيَقُولُ هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أَهْدَيْ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ
فَنَظَرَ هَلْ يَهْدِي لَهُ أَمْ لَا؟ قَوْلَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بَيْنَهُ، لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا جَاءَ
بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا، جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً، جَاءَ
بِهَا لَهَا خُورَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً، جَاءَ بِهَا تَغَرٌّ، فَقَدْ بَلَّغْتُ»^(٣)

١) مسلم حديث رقم ١٨٣٣ وحديث «مَنْ وَلِيَ لَنَا عَمَلًا وَلَيْسَ لَهُ مِزْلٌ فَلْيَتَّخِذْ مِزْلًا، أَوْ لَيْسَ لَهُ رُوحَةٌ
فَلْيَتَرَوَّجْ، أَوْ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَتَّخِذْ خَادِمًا» أخرجه أحمد وأبو داود واللفظ له وسكت عنه هو ولسيري، قال
خطابي هو محبوب عن أحد وجهين أحدهما أن ذلك يكون من عمارته التي هي أجرة مثله، وليس له أن
يرتكب شيء سواه ثاني أن لعمال السكى والخدمة، فإنه لم يكن له مسكن ولا خادم «سؤحر له من
يخدمه فكيف يمه مثله ويكره له مسكن يسكنه ماله مقامه في عمله» نصح لرباني على المسد ٩ ٥٦

(٢) سن السائي حديث رقم ٨٦٢

(٣) البخاري حديث رقم ٦١٣٦

وتوعد الله ﷻ العال، فقال: ﴿وَمَنْ يَلْلُ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْفَيْئَةِ﴾ [آل عمران ١٦١]، وأحر السي ﷺ أنه يتبرأ من العال من أمته يوم القيامة فقال «يقول: أغثنى، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً»^(١)، وأحر عمر أحد شمة من المعمر قبل القسم أنها تشعل عليه نار^(٢)

ولا خلاف بين الفقهاء أن من أحد شيئاً من المال العام من غير وجه حق، أو أتمعه، لومه رده، أو رد مثله أو قيمته، على القاعدة في ضمان التعدي، وإسبا الحلاف بينهم في قطع يده، فمنهم من أوجب فيه القطع، وهم المالكية تمسك بالعموم في بة السرقة، ومنهم من منع القطع وهم الجمهور، لنسبة، فإن لكل الأمة حقاً في بيت المال، والحدود تدرأ بالشبهات^(٣)

السفر والسياحة

السفر ولرحلات، والقصادق والسياحة، ليس هناك فارق يذكر بين ما هي عليه في بلاد المسلمين، وبلاد العرب، ابتداء من اللغة، فليست اللغة العربية لغة سياحة، الكلام لغة لعرب، ولباس النساء عاملات أو نزيلات لباس الغرب، ضجيج الموسيقى والأشرطة والمسلسلات لا يفارق المسافر، لا في الحافلة، ولا في الطائرة، ولا في لبحرة، ولا في صالات القصادق التي تعمر ليلها بالحمور والقمار، والعاء والساء، وما إلى ذلك من حائل الشيطان، لا تسمع من يقول سم الله، ولا توكب على الله، ولا من يكبر الله ويوحده، لا هو راكب ولا هو سارل، بل اسندلو، بالدكر ولتكبير عند مرور الطائرات التصفيق والتهريج، كما كدت تفعل الحاهية عند لبس بذل الذكر والصلاة، ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْآلَتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْيِيَةً﴾ [الأنفال ٣٥] - أي صغيراً وتصفيقاً

وليس في حدود السياحة ومواعيدها مكان للصلاة، فلا إقلاع الطائرات مطور في حسنه إلى صلاة المسلمين التي ربطها الله تعالى بأوقات محددة، ولا في جدول الحافلات مكان للوقوف للصلوات، إلا إذا وافق وقت أكل، أو راحة لتسائق

(١) نظر سحري حديث رقم ٢٠٧٣

(٢) سحري حديث رقم ٤٢٣٤

(٣) نظر موسوعة الفقه بكريّة مادة (ب المال) فقرة ٢٦

والراكب، فعلى من يريد الصلاة أن يتحين تلك الأوقات ويبادر، فيه إن انتظر يأكل، فلا ينتظر ليصلي، لا على مصص وكره، ولو قلت لسائق الحافلة قف لي قليلاً لأشري شيئاً رأيتني في طريق لاستجاب لك، ولو حدث من الركاب قولاً ورصاً، لكن إن حدث وقت الصلاة وطلب الراكب من السائق أن يقف ليصلي خوفاً خروج الوقت مع بدرة من يفعل ذلك لما وجد استجابة إلا على مصص وكره، واستحفاً واستهجاناً، ولرموه بالشذوذ وقلة الاهتمام في الدين، لأنه (عطل المسلمين)، فهل هذه أخلاق المؤمنين؟^{١١٩}

الطب والمستشفيات

الطب ولعلاج والمستشفيات، لا يختلف حاله وحال العاملين فيه عن العاملين في السياحة والصدى والمستشفيات الأوروبية، فلا الطبيب ولا من يساعده من العاملين والعاملات حتى المصليين مهم يتقيد بتعاليم الشرع والدين، إلا من رحم ربك، وهم من البدرة يمكن. لهم في الاستهتار وعدم المحافظة في كشف عورات المرضى، والحلوة والاحتلاط المحرم ما يبدى له الجيب، يطقون في ذلك ما تعلمونه في مستشفيات أوروبا مع المريض، والأوروبيون يسيحون احتلاء الرجل بالمرأة، ويكشفون لعورات دون عصاصة ولا حياء، حتى في الطرقات والأسواق، والحمامات، فليس في ذلك عندهم حرج ولا بأس^{١٢٠}

إذا دخلت صالة الولادة في مستشفى من المستشفيات رأيت العجب، مناظر لا يقبها صاحب نفس كريمة، ناهيك بمن له من دين المسلمين نصيب، أجساد ساء شبه عارية تتوحد، هنا وهناك، والداخلون والخارجون من الطنفة والمدرسين والعاملين لمطعمين، والمراحمين، أطباء وغيرهم، أكثر من القائلات والمداوين تعاليم الإسلام تقول المرأة للرجل كلها عورة ما عدا وجهها وكفيها، ولا يجوز له أن يمس شرتها إلا للمصرورة، والمرأة يجوز لها أن ترى من المرأة أعني يدها وأصبعها، ما عدا ما بين السرة والركبة، فهو عورة، لا يجوز لمرأة أن تراه من المرأة إلا للمصرورة

وعليه فالرجل لا يكشف على المرأة ولا يباشرها بيده ما دام هناك طيبة يمكنها أن تعالج المريضة؛ لأن الطيبة يجوز لها أن تباشر المريضة بيدها، ويجوز لها أن ترى

مبها ما عدا ما بين السرة والركبة فإن كان العلاج يستدعى كشف العورة، فهي حادثة الضرورة، الرجل يعالج الرجل، والمرأة تعالج المرأة، فإن تعذر هذه الموافقة، فمبعد الرجل طبيباً رجلاً يعالجه، ولم تجد المرأة طبيبة تعالجها ووجدت ضرورة، جاز للرجل أن يكشف عن المرأة، وللمرأة أن تكشف عن الرجل

أما حديث الربيع بن معمر الذي قال: «كنا مع النبي ﷺ نشقي ويداي الجرحى، ويرد القسي إلى المدينة»^(١) فمحمول عند العلماء على أنه يداوي الأرواح والمجاهد، أو على أنه كان من غير مباشرة ولا من لئد، قالوا: وبذلك لدلت اتفاق العلماء على أن المرأة إذا ماتت، ولم توجد امرأة تعسلها أن الرجل لا يباشر غسلها بسبب بدنها، بل يعسلها من وراء حائل عند بعض العلماء، وعند أكثرهم يمسحها، ويسقط عنها فرض الغسل^(٢)

والضرورة التي تستدعي كشف العورة للعلاج يجب أن تقدرها بقدرها، دون توسع أو تساهل وعدم مبالاة، كما هو الحال في المستشفيات التي يسهر فيها في العادة كشف عورة المريض، وحرمة العورات في تقاليد المستشفيات ثانوية

فمثلاً إذا كان يكفي في علاج الجرح مثلاً كشف الفخذ، فلا يجوز تطيب أو يكشف ما زرع عليه، وإذا كانت الطيبة أو الممرضة يمكن لها أن تقوم بالعمل وحدها، فلا يجوز لها أن تعرض المريض أو المريضة مكشوف العورة أمام جماعة من رفاق المهنة، الذين ليس لحضورهم حاجة في العلاج

وإذا انتهى لطبيب أو المعالج من الدواء أو الكشف، أول شيء يجب أن يقوم به نفسه، هوستر عورة المريض، قبل القيام بأي عمل آخر، لأنه المسئول عن ذلك، ولأن المريض لا يعلم متى ينهي الطبيب عمله، لا أن يترك الطبيب المريض، ويذهب لغسل يديه، وأحياناً حتى لكتابة الوصفة، والمريض على حاله

فعلى العاملين في المستشفيات، الخاصة منها والعامية أن يتقوا الله تعالى في عورتهم المسلمتين والمسلمات، وأن يعملوا على أن يسود فيها احترام قانون الشرع في الحفاظ على لعورات، التي فرض الله تعالى على المسلمين سرها، قال تعالى

(١) البخاري حديث رقم ٢٨٨٢، وفتح الباري ٦/ ٢٢٠

(٢) انظر فتح الباري ٦/ ٢٢٠

﴿قُلِ لِلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَنْ يُنْفِرَ مِنْ أَثَرِهَا وَيَحْفَظُوا مَرْجِعَهُمْ﴾ [النور ٣٠]، وقال تعالى ﴿وَلَا يَتَّبِعْكَ رَيْثُهَا إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور ٣١]، وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلَا الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ»^(١)، وقال ﷺ «... والعينان زناهما النظر»^(٢)

ولا يتم ذلك إلا بتوفير الخدمات النسائية للنساء، بأن تخصص للنساء في العيادة طبية، وفي التوليد (قابلة)، وفي معمل التحليل أو عرفة الأشعة امرأة تقوم لهم بالخدمة ولتحضير. حيث تحتاج المريضة لكشف صدرها أو عقبها، وكشف ذلك للمرأة غير ممسوح، لكنه للمرحل ممسوح، وبذلك يتخصص من محدود آخر ليس له حساب في عرف المستشفيات، وهو الخلوة بين الرجل والمرأة في عرفة ليس معهم أحد

الطبية المسلمة تحسن بالحرج من عدم مراعاة تجنب الخلوة في المستشفيات حتى إن مهن من تركن المهمة من أحله، وكذلك بعض الأطباء يعاونون من هذه المشكلة مرارة، فإن المؤمن لا يطبق التماذي على انتهاك حدود الله والإصرار على ذلك كل يوم، وليس حل هذه المشكلة من الأمر العسير إذا حنصت بية من بديرو المستشفيات، فإن تخصيص خدمات الرجال للرجال، وخدمات النساء للنساء كفيل بوجود مخرج للمسلم من هذا الأمر

وقد حرم لى ﷺ الخلوة وحذر منها أشد التحذير، قال ﷺ «إِنَّا كُنْمُ وَالِدُخُولِ عَنِ النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْخَمُوءَ؟» أي هل يجوز له أن يختلي بزوجة أخيه؟ قال ﷺ «الْخَمُوءُ الْمَوْتُ»^(٣)، محذراً من ذلك، ومؤكداً عليه، وقد ﷺ «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»^(٤)

وكما أن الخلوة ترتفع بوجود محرم للمرأة، ترتفع أيضاً بوجود طرف ثالث ثقة، رجل أو امرأة، ولو غير محرم عند كثير من العلماء، لقول رسول الله ﷺ «لَا يَدْخُلَنَّ

(١) مسلم حديث رقم ٣٣٨

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٥٧

(٣) صحاح حديث رقم ٥٢٣٢

(٤) انصاري حديث رقم ٥٢٣٣

رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا عَلَى مُغَيَّةٍ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوْ اثْنَانِ^(١)، وعنده فقداء المريضة في العرفة مع الطبيب يحضور الممرضة مثلاً ترتفع معه المحبوة، ولا يكون مسموعاً^(٢) والذي يحل المسألة يرمتها أن تترك خدمات النساء طبيبات وغير طبيبات النساء ويستعد منها الرجال، ولا شك أن في ذلك فائدة علاجية أيضاً علاوة على الفائدة الأخلاقية الدبية، فإن استجابة المريضة إلى امرأة مثلها أسير عيها وأرفع لذكفة، حيث تستطيع أن توح لها بكل ما في نفسها، الأمر الذي قد يساعد على تشخيص الداء ومعرفة الدواء

وسبب البعد عن هذا المسار الصحيح في إدارة وحدات العلاج والمستشفيات، ووجود الرجال في أماكن خدمات النساء، وأحياناً يكون هؤلاء الرجال المهنيون في الأشعة أو غيره من غير المسلمين، كالنصارى والهندوس، فيرداد الأمر بذلك سوءاً، سبب ذلك صارت المرأة المحافظة على حياتها تحسب لدخول المستشفى ألف حساب، وقد تناحر وتساطأ كارهة، حتى يفوت الأوان ولا يقع العلاج

فرائض الإسلام وسبه تعيش عرة داخل المستشفيات، حيث يتوقع لحفظ عيها والتقيدها، لما يشاهد فيها من الاتعاض اليومي المتواصل بالموت والأوجاع والأسقام والآلام هل رأيت طبيباً، أو ممرضاً واقفاً إلى جنب محتضر يلقيه لا إله إلا الله^(٣) وقد خاطب النبي ﷺ جميع المسلمين بذلك فقال: «لَقَّوْا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٤)، ثم يعمص له عييه، ويشد له لحييه، كما هي السنة في العمل بمن حضر أحبه

أحبري طبيب أنه حاول أن يشيع ذلك بين زملائه، فوجد نفسه كأنه يحاطب أن جهل، ولا يحاطب مؤمنين، والأسوأ في هذا أن المريض إن حضر أحبه فيما يسمى بعرفة لعابية، تحصره في العالب ممرضة يودية، أو نصرانية، لأنه لم يعمل حساب لما يستغنى من حقوق المسلم عند الموت

يرك الطبيب عرفة عمله، ويطلب الإسعاف مريض، فلا يُعثر له على أثر، وتُربط

(١) مسلم حديث رقم ٢١٧٣ ولعمري المرأة التي عاب زوجها

(٢) نظر فتح ساري ٤ ٤٤٨ ومواهب التحليل ٢/٢٥٥

(٣) مسلم حديث رقم ٩١٧

أيدي المريض على السرية بحبل شديد، قد يؤثر فيه ويسبب له عاهة مستديمة لا يبرأ منها، ويترك أحياناً مربوط اليدين موثقاً وهو في الرمن الأخير محتاح إلى أن يل شفيه بالماء، فلا يجد من يحل وثاقه، ولا من يأوله الماء، أوثقه الممرضة بأمر الطبيب، وذهب كل إلى حله، والصباح رباح! أوثقوه حتى لا تمتد يده (الأثمة) إلى أسوأ الدواء، المركب في يده وكفه ، ولكن ما الحيلة، فائريض أشبه بالأسير^(١) هناك ممارسات متخلفة وسط العاملين في المستشفيات العامة يجرمها القانون، ويحرمها الشرع وكل عرف ودين، وهي تدخل تحت حياة الأمانة، ومنها ما يدخل تحت السرقة والاستيلاء على المال العام دون وجه حق، أو الإهمال أو السب، ويرتب على ذلك ضرر بالغ بعامة الناس وعجز عن علاج ما كان يمكن علاجه، وقد يكون سبباً في إتلاف الأرواح

من هذه الممارسات

١ احتفاء الأجهزة والمواد من المستشفيات، نقص حتى في المواد الأولية، كمواد التعقيم، وتصعيد الجروح، والمواد اللازمة للتحاليل الطبية، ويتوفر ما احتسب من ذلك في لمصحات الخاصة والعيادات

٢ إذا كان عدم إتقان العامل لعمله ونأديته على الوجه الأكمل في سائر المرافق من الإحلال بالعقود التي أمر الله تعالى بالوفاء بها، في قوله ﷺ ﴿يَتَأْتِيهَا الْبُيُوتُ مَأْمُومًا أَوْ مُوْتًا يَلْعَنُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، ومن حياة الأمانة في التكليف الموعد عندها شرعاً، كما قال ﷺ في الحديث القدسي «ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ رَجُلٌ أَغْطَى بِي ثُمَّ عَدَّرَ»^(٢)، أي عاهد عهد المسلمين ثم نكث، والتكليف كدها أمانة، والصلاة أمانة، والصيام أمانة، وأداء الواجب أمانة، كل ذلك أمانات فكيف إذا كان هذا اليهود في مرفق يمس حياة الناس وأرواحهم، ويعرضهم لنموت

٣ الطبيب المتخصص يترك مرضاه في المستشفى العام إلى من هو أقل كفاءة، فلا يراهم حتى يخرجوا، أو يفوت الأوان، ويعتنى بهم في المصحات الخاصة، ولو حاول أبها المريض أن تكلم هذا الطبيب المتخصص في المستشفى بعد أن

(١) انجاري حديث رقم ٢٢٢٧

ينسب من إتيانه إليك لا يقف لك، ولا يلتفت إليك، ولا يرد حتى السلام،
وَبَحْثِ أَفْرَى مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَغْفِرَ أَخَاهُ الْمُنْلِمَ^(١)

٤ المتخصص في التحاليل الطبية أو الأشعة الشخصية لا يدقق عمله،
ولا يثق به، ولا يعطيه من جهده ووقته ما يصم صحة النتائج ووضوحها التي على
أساسها بتقرر مصير المريض، حتى صار الأطباء لا يطمنون إلى النتائج التي تعطيها
لعرنتها، ويطلبون من المريض إعادتها في مكان آخر

٥ المهنيون في الخدمات، كالأشعة والتعريض وغيرها، غير مؤهدين إسيدي قبل
الأنهليل مهياً للتعامل مع المريض، لا يرفقون معاصر ولا متوجع، لا في ثقته ولا في
تحريره، ولا يسمعون حتى إلى كلامه وشكواه إذا طلب منهم عمل ما يريجه،
أو يعيهم على أداء عملهم على وجه أفضل، لأن جميع المرضى في نظرهم جهال
ومتطلبون بالكلام، فعليهم أن يسكتوا ويسمعوا ويطيعوا، حتى ينهي الواحد منهم من
عمله بالطريقة التي يريدها، وهم أدرى بمصلحة المريض^{١١}

٦ الكثير من الأطباء والمساعدين والمداوين لا يحسون بالمسئولية الطبية عن
التقصير، وقد يشأ عن إهمال الطبيب أو الممرض وتقصيره جدية، يرتب عيها
دهش من، أو صانة معاة مستديمة للمريض لا يقوم بعدها، ويحفي الطبيب
أو المعالج تقصيره حتى لا تلحقه مساءلة القانون، وأحياناً يشعر بحطته الذي لا يكون
طاهر، بحرمة القانون، فيحفيه عن المريض ودويه، ويحسب أنه كسب القصية، والله
تعالى عليم به ما أحماه، وهو عليه رقيب ولا شك أن كل مظلوم سيقف مع من
ظلمه حين توضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴿وَصَّحُّ لَوُؤِيْنَ الْقِسْطِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا
تُظَنُّمْ عَلَى شَيْئٍ وَذِكْرٌ كَانَ مَثْكَالَ حَبْكٍ بَيْنَ حَرْوٍ أَنْكَأَ بِهَا وَكَفَى بِتِ حَسْبِيكَ﴾
[الأنبياء ٤٧]، ولحظاً يرفع الإثم عن المحطى لقول الله تعالى ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ

(١) مسلم حديث رقم ٢٥٦٤

المصحات الخاصة

هنا بعض ما في المستشفيات العامة، أما المصحات الخاصة، فأمرها المعاكس
تحرص المصحات لا يقل إيواء المريض إلا أن يدفع مقدماً مبلغاً
محترماً، حتى لو كان المريض حالته لا تحتل الانتظار، أو يتألم ويصرخ، عنيك أن
تركه في الاستقبال حتى تحضر المطلوب، لأن تعليمات الإدارة هكذا، ولو رجعت
فوجدت المريض قصي نجه، تكون محظوظاً إذا سلمت من أجرة الكشف

لا أريد أن أذكر أصحاب هذه المصحات معاملات الكفار في البلاد الأوروبية
الذين لا تريد إخراجهم عن إيواء المريض أو حتى عند خروجه وتركه المصحة عن
أحد عونه ورقم هاتفه لا أريد أن أذكرهم بذلك فأصحاب المصحات أكثرهم ما
شاء الله درسوا في تلك البلاد، وتخرجوا في جامعاتها، واشتبعوا مع أهلها،
وعلموا سيرتهم في هذا الباب تمام العلم وقد يعتدرون لأنفسهم بأن الناس هناك غير
الناس هنا لكن أريد أن أذكرهم بما يجري حولهم في بلدان العالم الثالث، الذين هم
من حديثي ولدينا ويسلكون سلوكنا، لم يعرف عنهم اشتراط الدفع قبل إدخال
المريض ولا سمعنا بمن طلبه، لأنه لا معنى لهذا الشرط والمريض داخل لا خارج،
فهو رهينة في ثمن علاجه أحر الأمر، إذ لم يحدث أن أحداً هرب مريضه ليلاً حتى
يكون مبرراً لهذا الشرط، ولو وُجد فهو من النُدرة بحيث لا يستدعي تشريعاً من
أصحاب المصحات يتأذى منه الكافة، ويعرض المحتججين إلى المصحة إلى الخطر
ومعبدة لألم تعطيل إيوائهم وإسعافهم، والمتوقع من هذه المؤسسات الإنسانية أن
مصلحة المريض فوق كل اعتبار، ولتشرط المصحة بعد إيواء المريض من الضمانات
ما تشاء، وذلك من حقها.

تسويق السلعة للمريض دون أن يستشار

لنحضر المصحات والعيادات من الوسائل القابضة وغير القابضة ما لا يحظر على
السل، المبدأ السائد فيها فرض تسويق سلعتها على المرضى من غير تمييز، من يحتاج
مهم إليها ومن لا يحتاج، لها أدوية وأجهزة ومعامل لا بد من تسويقها وتشجيعها بأعنى
الأسعار، فكل مريض عليه من الناحية (الإنسانية) أن يسهم في دعمها

من المصحات ما له تقليد (معتبر) صمته الإدارة، تحصيلاً للمصلحة العليا وهو

أن كل من يتخطى عتبتها للإبواء، لابد أن يمر بعدد من التحاليل والشحيصات، لا يعنى منها نجات من الأحوال، سواء كانت لها صلة بشكواه التى أوجده المصحة، أو لم تكن، لأن الاحتياط واجب!

بحرح المريض بعد الإبواء بقائمة حساب طويلة مملوءة بخدمات طبية وفحوصات وأدوية، بعضها تسلمه وبعضها لم يتسلمه، أو على الأقل لم يعلم به إلا عند دفع الحساب

وما استلمه المريض من الخدمات لم يستشر فيه، وهذا هو السبب أنه لم يعلم به إلا عند دفع الحساب، وكان المريض من حين سلم نفسه إلى المصحة، سم معها رشفه وأهليته فى التصرف، وحقه فيما يريد وما لا يريد، وأعطى للمصحة الوصاية المطلقة عليه فى أن تفعل به ما تريد الشرع والعرف والقوانين المحصورة فى الشرع وفى العرب، تحرم أن يأخذ أحد مالا من غيره على خدمة أو عمل لم يعلم به، ولم يؤخذ إده فيه مسبقاً، ولا يعرف هذا فى الشرائع المتعددة، فضلاً عن الإسلام، وأي ما يؤخذ من الإنسان على عمل دون إعلامه به، وأخذ رضاء مسبقاً، هو من أكل المال بالباطل فى دين المسلمين، حرام، لا توبة لصاحبه إلا برده، قال تعالى مشيراً إلى وحوث التراضى فى تبادل المصاعف ﴿يَأْتِيهَا إِلَيْكَ ءَمْسُو لَا تَكُلُوا أَمْوَالَكُمْ سَعَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بِحُكْمٍ عَنْ بَيْنٍ بَيْنَكُمُ﴾ [النساء ٢٨]، وقد ﷺ «إِنَّهُ لَا يَجِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ»^(١)، وقال ﷺ «يُخْشَى امْرِئٌ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَخْفِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلَّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»^(٢)

الواجب على المصحة أن تكتب الدواء للمريض، والمريض هو الذي شره، إن شاء منها وإن شاء من غيرها، فقد تكون له مصادر للدواء أقل تكلفة، خصوصاً أن تسعيرة المصحات كلها توضع فى قائمة الحساب على سعر السوق السوداء، حتى لو كان مصدر لدواء مخازن الصحة، وعلى المصحة أن تحذر المريض أنه يحسب إلى التحيل القلاوى والتصوير القلاوى، وأنه يكلف كذا وكذا، فما وافق عليه عمل له،

(١) مسند أحمد حديث رقم ٢٠١٧٢

(٢) مسند أحمد حديث رقم ٢٥٦٤

وما لم يوافق عليه لا يعمل، لأنه هو الذي سيدفع الثمن، وهو أحرص على مصدحة نفسه من غيره

والواجب أن تُبين الأجرة على ما يقدم له من خدمات سود واضحة، بحسبها مسبقاً، بحيث لا يباحأ عند الحساب شيء لم يعلمه، فإذا قيل له مثلاً أجرة عرفة العميات كذا، فمعناه أن كل ما يقدم له داخل عرفة العمليات داخل فيما ذكر، إلا إذا استثنى شيء بعينه وأحضره، لأن أي عقد لا يكون بهذا الوضوح، واكتفه جهالة أو غموض، فهو باطل شرعاً وقانوناً والعقود الناطقة بسب الجهالة محرمة في الشريعة لمهي النبي ﷺ عن عقود العرر^(١)

هذا قبيل من كثير مما يجري في المستشفيات والمصحات الخاصة، لو جمع لخرجت منه كبريس، يمر عليها من الكرام على مرأى وسمع ولا يبقى له دال ولا نعم لحكم على الجميع، فما قلناه هو الشائع والكثير والغائب، ولكن من الأطباء والعلميين من له من ديبه وكريم خلقه ما يحرص معه على مصدحة المريض العلاجية والمالية حرصه على أمر نفسه، ويجنسه من النفقات والمصاريف غير اللازمة ما وحد إلى ذلك مسيلاً ولا يألوا. وقد رأيت نماذج من ذلك أجلبهم وأحترمهم وأكبر فيهم هذا، الحمد، ولهم في نفسى مرارة لما يقدمونه من خدمات في المستشفيات المحمية على مستوى من الكفاية العالية للعامة من عباد الله دون تمييز، فأحر هؤلاء عند الله عظيم وثوابهم جليل، والله لا يصيب أجر من أحسن عملاً

معالج المريض طيب، أو مساعد في علاج، أو مائل مصدحة لو أحسن له عمله، وأتقنه بالرحمة المطلوبة والشفقة المعهودة، فكان في رحمة الله تعالى ورضوانه، ولفرح الله عنه كرب القيامة، التي لا يقدر على دفعها أحد غير الله ﷻ، فإن من فرح عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرح الله عنه كربة من كرب يوم القيامة كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ، فكيف بمن عمله كله تفرج كرب عن مريض المسلمين؟ لكن إن فرط وأهمل، أو استغل المضطرين من المرضى والمحتاجين، على نحو غير مشروع، فما أكثر حصومه بين يدي الله تعالى

(١) مسلم حديث رقم ١٥١٣

الجامعات والمعاهد

الجامعات والمعاهد والمدارس، حلب من التذكير بالله تعالى ، وتعليم ما يجب من أحكام الدين، الطلبة والأساتذة والإدارة، يفكرون في القبول والرسوم، وساعات العمل والعلاوات والتسجيل والمجاح والامتحان، لكن لا يفكرون في التحصيل العلمي المتدني، ولا في الفضيحة المتردية، ولا فيما يروونه من التهاون في فرائض الله تعالى ولنضبط في إقامة شعائره، ثم لا يحركون ساكنًا للإصلاح، ولا لاسهك حدود الله تعالى وحرماته

فبو دحبت ساحة من ساحات الجامعات، لأنكرت نفسك، هل أنت في معهد عملي، أم مدهى ليلي؟ لما تسمع من الأنعام الراقصة والصحب والصحيح، والكلام البديء أثناء المحاضرات، ولما ترى من أشكال وجوه السوء، لا تقيم وزنًا لأستاذ ولا حرمة لعقيدة تحتشم وتراعى الآداب، ليسوا من الجامعة ولا من طلابها، جاءوا حصيصًا لمسعة وقضاء الأوقات، واستدراج من كل على نمطهم في الهيئة واللباس، والبهود وعدم المسالة

لا تسمع في لجامعة اذانًا ولا ترى صلاة جماعة، بل الأستاذ لا يأذن للطلاب بالصلاة حتى لو كان وقت المحاضرة يستعرق وقت الصلاة كلها، فالمحاضرة في طره أيد من الصلاة^{١١}

معظم الأساتذة والطلبة على جهل كامل بكثير من الأساسيات في الدين، وفروض الأعياد، ويريد لأمر سوء، جهلهم بأنهم يجهلون فبو سائت أحدهم عن وقت من أوقات الصلاة متى بدأ ومتى ينتهى؟ وما الوقت الذي يجوز تأخير الصلاة إليه من غير عذر؟ ومى يحرم التأخير؟ لما وجدت عند أكثرهم جوابًا، ولا يرون في جهلهم بهذه الفروض تقصير، ولا نقصانًا، فسواء عليهم علموها أو جهنوها، فهي في نظرهم لا تقدم ولا تؤخر، لأنها ليست شهادة علمية يترقون بها، أو يتوظفون، وليست عمدًا من علوم الدين تلى المناصب الرفيعة والأماكن المرموقة، ولو اقرحت تدرس هذه الأساسيات في مقررات الجامعة، ليكون شأنها شأن أي علم من العلوم الأخرى التي يحتاج إليها الطالب، لوحدت منهم معارضة شديدة، لأنها ليست من علوم العصر، التي يحتجون إليها في نظرهم

تعقد دورات لتقوية للإداريين والمدرسين والطلبة، في مجالات محتلفة من المعرفة، في التربية، في المحاسبة، في الإدارة، في اللغة العربية، لكن ما سمعنا بعد بدورة تقوية في هذا المجال، لم لا تعقد حلقات لأساتذة الجامعة في تعميم ما لديهم من أساسيات الدين؟

الجامعات الخاصة

وراد حالة لتعليم سوءاً بالتساق على فتح الجامعات والمعاهد العليا الخاصة، في كل قرية وكل واد، دون إعداد ولا دراسة، ولا (كوادر) عمية مؤهلة، فمن أراد أن يشي جامعة أو معهداً أنشأ، فاستوى فتح الجامعة مع فتح الدكان، والورشة، ومحل تأجير لكراسي في المؤهلات والمتطلبات والشروط جامعات لا تدعو إليها حاجة من ناحية التعليمية، بل قد تفسد أكثر مما تصحح، فالتدبير يسحقون بهذه الجامعات التجارية هم صغار الطلبة، وغير المؤهلين لدخول الجامعات، ليؤسوا بجامعتهم الذي يتعذر عليهم في غيرها، ذلك أن المؤسسة التجارية مدرسة أو معهداً، أو جامعة هي من خلال التجربة ملزمة بتصحيح طلابها، وإلا قل الإقبال عليها، وعُدَّ المشروع فاشلاً!!

الموظفون والإداريون

إننا نعاين بصفة عامة من أزمة في الإدارة، على مستوى العالم الثالث الذي منه معظم بلاد المسلمين إن لم تكن كلها، في الدوائر والمصانع والمراكز المحففة، تسبب وإهمال، وتصيير للأوقات، وحياة للأمانة، ورشوة، وفساد لدمم وعدم انصاف، مسها حروج السلوك من دائرة الإيمان، مع غياب القانون الرادع

عنة لدين بين الموظفين والإداريين ما أشدها، التوظيفة في بلاد الروتين، التي منها بلاد المسلمين في الغالب واحد من اثنين إما وسية من وسائل التسمية، أو وسية للاحتيال والسحب والرشوة، والاستيلاء على المال العام، من كان العامل من أصحاب الماصب الذين أوتعنوا على المال العام، فأول ما يفكر فيه أن يكون أكثر المال له، والقليل منه لغيره، ويعتبر المؤسسة التي يرأسها من مكنه الحاصر، يعميها لنفسه ما دام فيها، حتى إذا ما أحس بإحراجها منها أفرغ خزائنها، وأغس إعلامها، وذهب إلى حاله

إن كان مكفياً بإدارة عطاءات أو مقاولات أصبحت الـ ٢٠% الحاصلة به إن كان مواضعاً لا تقبل النقاش وإن كان في مرفق يحتاج الناس إليه في اسحراج شهداء أو توقيعات عالية الثمن. أو دفع مستحقات مالية، بماطل ويسوف، ويؤجل ويهجر، إلى أن يضطر صاحب الحق إلى واحد من اثنين إما أن يترك حقه، فيكون الموظف المنتسب له في تركه كالعاصب الذي لم يتمتع بعصه، لا هو حصل منه عني شيء، ولا سم من ورده، وإما أن يضطره إلى دفع الرشوة، التي نحن رسول الله ﷺ يحدها ومعطيها، والواسطة فيها، وهي السحت الذي يسميه الناس عمولة

والرشوة أبو عهد وطرقها تعددت هذه الأيام، فقد تدفع بواسطة العملاء، وقد تدفع مباشرة، وقد تدفع عرضاً من المتجدين والمتجرات من الدين والحنو، فتقصي الحاجات ولو كانت محظورة نقضاء الشهوات وقد تدفع مقبضة بالمصالح والخدمات، فقد صار الناس في المقايضة بالخدمات لا يتسرون ولا سحرحون، وأول شيء يوه به عند التعارف، موقع العمل، والخدمات التي يمكن أن يقدمها من يعرف نفسه، فإن كان في موقع له أهمية في الخدمات الحياتية، وجد لقوله استحساناً عند سامعه، وحفظ السامع اسمه وعنوانه وهاتفه، وإن كان غير ذلك، كأن يكون طائلاً أو مدرساً، صرف عنه النظر وترك لشأنه. وصار الناس بسبب ذلك يصرفون عن الالتحاق بالأعمال النافعة، التي لا ترجى منها مقايضة عاجلة، ويتقنون عني المواطنين الأحرى التي تصلح للمقايضة، ليصل إليها من يصنع لها ومن لا يصنع، وبذلك أقرب معاهد التعليم ومدارسه من المعلمين النابهين

والمقايضة بالخدمات تجرؤ على طلب ما لا تحله لوائح ولا قوانين لأعرانها، فهي سبب مصفعة، وكل سلف مردود! وتكون النتيجة صباغ الصمير، وحياة المسئولية، نصح المعلوبين على أمرهم حقوقهم، والتجاوز بإعطاء من ترجى المقايضة معه ما يمنعه القانون

أما الموظف الذي لا يملك توقيعاتاً غالية الثمن، فالموظفة له تسية، يحصر مسمى شيء، ويعيب مسمى شيء، ويوكل من يوقع عنه دفاتر الحضور والانصراف، مُشْتة بالساعة والدقيقة روزاً، ثم يبحث عن فتوى لتحليل المرتب إن كان من أنصاف المدبسين، وإلا فهو في عنى عن الحلال، لأنه لم يعد يفكر فيه وإذا حصر بعد العيب والتأحر

الطويل تجمع مع زملائه، أو زميلاته في غرفة، وقضى الساعات المصعبة في السسبة، والمؤاساة ولحكاب، احتلاط مشوه، وحلوة محرمة، وعزل مطر، ومكائات في الهدف في لمكاتب مع السات والساء لمواعيد اللقاء، من الكبر والشباب على السواء، محصور لباس دون استحياء وشيوع هذا الحلق القديم، وشيوع المعاصي صار المعروف لا يستكر ذلك، ويقف صاحب الحاجة وربما كان الوقوف يؤلمه لسه أو مرضه على الموظف الرمن الطويل، وهو في مكائمة من هذه المكائات، لا يمتص إليه، ولا يرفع إليه رأساً، بل يعد حضوره في ذلك الوقت مصيبة برلت به^(١) فقد الإحساس بالمسؤولية، وفساد الصمير والتسبب، وتعطيل مصالح الناس، وعدم إتقان لعمل، وتراكمه، وإهماله حتى تصبغ الأوراق والمسندات، ويصعب معها الحق صار مظهرًا من مظاهر الوظيفة بين المسلمين يأتي صاحب الحاجة الذي لا حول له ولا طول من مكان قريب أو بعيد، ليراجع الموظف الذي وصعت به (لافة) عند رأسه تذكره بحديث النبي ﷺ «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَهُ»^(٢)، فيجد المراجع اللافة، ولا يجد الموظف، وإذا وحده بجده حسداً بلا روح، عاساً قانظاً. لم يسمع بعد بأن الكلمة الطيبة صدقة^(٣)، مع أنها في حقه واجبة وليس صدقة، فهي حرة من عمله الواجب عليه، ولم يعرف أن التمسك في وجهه أحيث، لك صدقة^(٤). ولا أن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه^(٥)، أين الأورق؟ احتجب الأورق، أين الملف؟ صاع الملف، وإذا احتج صاحب الشأن أو أظهر عدم رضاء، وعرف من حاله أنه ممن لا يقع يرتجى منه في مكان آخر، سمع ما يسوءه، وصحت أذنه ما يثير ويعبط، ولو اشتكى الموظف الذي عطل له عمله بعد المراجعات المتكررة إلى رئيسه لينصفه منه، ازداد المكر به، وكان كالمستجير من الرمضاء النار، وعليه أن يئأس من الوصول إلى حاجته بعد الشكوى حتى لو أظهر له المدير التعاطف في ظاهر الحال، لأن رئيس الإدارة في بلاد الروتين يعد الشكوى في

(١) ر.ه أبو يحيى وصف مصعب بن ثابت وثقة ابن حبان وصفه جماعة. مجمع تروكد ٤ ٩٨

(٢) حديث خرجه سحري انظر التجاري مع فتح الشاري ٥٦/١٣

(٣) سمرندي حديث رقم ١٩٥٦ و٥٧ - حور عروب

(٤) مسلم حديث رقم ٢٦٩٩

أحد موظفيه طعماً فيه شخصياً^١ ودليلاً على عدم كفايته، وضعف قدراته على تسيير العمل ونجاحه، فالمسألة مسألة اعتباراً

عمر عليه السلام وهو خليفة المسلمين يقف له بلال أو سلمان فيقول له: «لَوْ رَأَيْنَا فِيكَ اغْوِخَاخًا لَقَوَّمْنَا بِسُورِنَا، فيقول الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من إذا رأى في اعوجاجها قومني بسيفه»^(١) وكان من حطة أبي بكر رضي الله عنه عندما تولى أمر المسلمين «إن أحسب فأعيبوني، وإن أسأت فقوموني». والمدير في أيامنا لا يسمح أن يهمل مرءوسه بتقصير، ناهيك أن يتهم هو ذاته!! والسبب أن الموظف لم يؤمن بعد أن الوظيفة تكليف ومسئولية، كما فهمها أبو بكر رضي الله عنه والمؤمنون، يوم كان الإيمان حراً من سلوكهم، وليس مرايا ومنايع ذاتية، ولم يؤمن بعد بأن وقته حلال سعادت عمه مدك وطيخته، وليس له منه شيء لنفسه، وأن أجره ومرته لا يحل له منه إلا بقدر ما أعطى من عمل حقيقي لوظيفته، وأنه يحرم عليه منه إلا بقدر ما أعطى من عمل حقيقي لوظيفته، وأنه يحرم عليه منه بقدر تفريطه وتقصيره، فهو على ذلك تعاقد وأجر نفسه، والوفاء بالعقود واجب، قال تعالى ﴿يَتْلُوهَا إِلَيْكَ ءَامِنًا أَذْقُوا بِالْعُقُودِ﴾

[المائدة: ١]

لأنه لم يوصف إلى الخدمات اليومية المعتادة في الإدارات من شعاعيات ووحدات ومناظ ومعارف، ومن لا يقدم بين يدي طلبه شيئاً من ذلك لا يلتفت إليه، ولا يؤبه به، وهكذا يفعل النخلف، وضعف الإيمان، وعزله عن السلوك، وغيب القلوب الرادع، ولشعور بالتقصير فعلة في إفساد أخلاق الناس ومصالحهم، وبطام حياتهم، والروح بهم في معادة يومية، تأكل طاقاتهم وأموالهم وأوقاتهم وحساساتهم، وتشدهم إلى تحيف بعض، في الوقت الذي احتفت فيه هذه المفردات النوسطة والشعيع والمحسوبة من قواميس الإدارة في البلاد المنحصرة، ليس احتفاؤها ديانة، ولكن لاحترام القديون، فصم الجميع الوصول إلى الخدمات والحقوق دون عداء، ومن أقصر طريق، ووجهوا طاقاتهم وأوقاتهم وجهودهم الصائفة عند غيرهم إلى عمل ما يفعهم وينفع لناس، فمضى يفتق المسلمون، ويدركون أن في إيمانهم حقيقة مفقودة هي السلوك^{١١٤}

(١) حاشه انملوي ١٢٢/١

فتن كقطع الليل

حاء في صحيح عن النبي ﷺ «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَإِنَّ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُضْحِكُ الرَّحْلُ مُؤْمِنًا وَيُنْهِي كَافِرًا أَوْ يُنْهِي مُؤْمِنًا وَيُضْحِكُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (١)، وقد ﷺ «يَتَأَمُّ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْبِ ثُمَّ يَتَأَمُّ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجَلِّ كَجَمْرِ دُخْرَجَتِهِ عَلَى رِخْلِكَ فَتَقِظُ فَتَرَاهُ مُشْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ فَيُضْحِكُ النَّاسُ بِتَبَائِمُونِ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ يَقَالُ إِنَّ فِي بَيْتِي فُلَانٌ رَجُلًا أَمِينًا، وَيَقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَغْفَلَهُ وَمَا ظَهَرَ وَمَا خَلَّاهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ» (٢)

الفس جمع فتنة، وهي ما يبتلى به الإنسان ويختبر به في دينه، وقد شبهها النبي ﷺ لكثرتها وندحها وتعاقبها بقطع الليل المظلم، وأنها تموج كموج البحر، وأنها تُعرض عني لقلوب كالحصير عودًا عودًا، فهي ملحة متكررة متعاقبة، تسد الأفق كالظلام لدمس وتعمر الناس كما يعمهم الحر لا يجو قلب من العرض عبيد، والساحي من طورقها قليل، من الناس من تأخذة أحذة واحدة، ومنهم من تنكت في فمه نكتة صغيرة، ثم لا تزال تكبر وتفسد، وتعفن حتى يصير القلب أسود مرثداً، لا يعرف معروف، ولا يبكر مكراً، ومن عصمه الله تعالى منها أنكره، فحرج عني قلب أبيض مثل الصفا، كما أحبر النبي ﷺ وفيما يلي نمدح من هذه الفس المنحة المكررة في أيامنا التي لا يُتغلب عليها إلا سلاح الإيمان

فتنة الاعتقاد

فتنة العقيدة هي أشد الفتن، وإن كان في غيرها ما يؤدي إليها، وهي أنواع، وعادك ما تكون باتباع فرق وطوائف وأحزاب تنكت سواء السبيل، وهي كثيرة تراند أهميتها على السبعين، كما أحبر النبي ﷺ، الناجي منها واحدة، وهم من كان عدو مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه، وسلف الأمة، إذ لا يشك أحد في أنهم من الطائفة الناجية، المرحومة، لمرضى عنها من دينا، ومن كان على طريقهم كان ناجياً مشهم ومن عاد سيدهم من السبل، مما تسمى باسم احر اقترت منهم أو تناعد، فتدعه هو من افسنة

(١) مسلم حديث رقم ١١٨

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ١٤٩٧

في العقيدة، وقرنه من رحمة ربه يكون بقدر قرنه مما كان عليه سلف الأمة، وبعده عنها بقدر بعده عنهم، فمن شاء أن يسدد ويقارب فليسدّد، ومن شاء أن يباعد فليبعد، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام ١٥٣] والناس عن عقيدتهم لا يترحّون، وهم بها فرحون، مهما كانت باطلة أو ناقصة، كما أخبر القرآن ﴿كُلُّ جَرِبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم ٣٢]

مهم، العنصاري الذي يأخذ من الدين ويترك، ويرى في تحكيم شرع الله وحكمه تحقّق ورجوعاً إلى الورد، ومنهم المفرط المحرف للكلم عن مواضعه، المؤول لوضح دلالات لقوان، الممكر لبيان السنة وتشريعها للأحكام، ومنهم المشدد المكفر لعامة المسلمين، أو المفسق لهم والمدع، كما كان حال الحوارج، ومن يهيج بهجهم، وقربهم، ومنهم المنشيع المعصر للصحابة، الذين ركبهم القرآن، المدعي حبّ آل البيت، أو المتعلق بالتفسيرات الباطنة للشرعة، المعرض عن ظواهرها التي بيها لبي ﷺ بأفعاله وأقواله وتقريراته، ومنهم من يجعل للدين باطنًا وظاهرًا ويجعل لنفسه الحق في تقسيم أمر الدين إلى حقيقة وشرعة

وبالحكمة فكل الفرق والاتجاهات الفكرية والعقائدية في العصر الحاضر هي فروع صرست بنصّة ممتدة ومنعت من أصول أسلافها القديمة (سأنة، أو حارحية، أو معرلة، أو جهمية، أو شيعة رافضة، أو باطية، أو إنصاية إلى غير ذلك، وإن سمّ تسمّ بنتك لأسماء) وسبيل الله تعالى واحدة، وما عداها فهو من لسيل الي أحمر القرآن أنها تفرق عن سبيل الله، فمن عد الله من مسعود ﷺ أنه قال «قَالَ خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا، قَالَ ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ «هَذِهِ السُّبُلُ، وَلَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ «وَلَا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوا وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام ١٥٣]

الافتتان بالأضرحة

ومن فئة لعقيدة المنتشرة في بلاد المسلمين شرقها وغربها، الفئة بالأضرحة وكراماتها، ولاكل ناسمها والتعيش عليها، وجعل أعياد سوية لها تشد إليها الرحال، وتدبح عدها القرايين، وتلتصق عدها الحوانج، مع الزعم أن من حضرها عفرت دونه، وأعطى سؤله، وقصيت حاجته، وشفى مريضه، وفُرجت كرتبه، وحُلت

ضائفته، إلى آخر مما لا يقدر عليه إلا الرب تبارك وتعالى، ولم يعط قط لمحموق، بل ردوا، على ذلك عجباً، فجعلوا لها تخصصات كتخصص العيادات الطبية، الفبر العلفاني لمرض الرأس والصداع، و(الشقيقة)، وآخر لمرض العين، وآخر (لبريشة) وآخر تذهب إليه إن كسب تريد العمرة أو الحج، إلى غير ذلك من الحرافات والكذب الذي لا بصدقه شرع ولا عقل قال تعالى في حق رسوله ﷺ ﴿قُلْ لَا أَمِيكَ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا لَا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَمَا مَسِّي الشَّيْءُ﴾ [الأعراف ١٨٨]، وما لا يملكه الرسول ﷺ لنفسه لا يملكه لغيره، فقد قال ﷺ لأهل بيته «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا يَسْمَاءُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمِيكَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»^(١)، وإذا كان هذا في حق رسول الله ﷺ في حياته فكيف بمن دونه من الأموات؟! هذا من جهة الشرع، أما من جهة العقل، فبه إذا كان هذا أو ذاك من الأموات قادراً على شفاء مريض، فلم لم يشف نفسه من المرض، وهو حي، فدفع عن نفسه الموت؟! مريض، فلم لم يشف نفسه من المرض، وهو حي، فدفع عن نفسه الموت؟!

فتنة اللسان

من فتنة القول أن الناس لا يؤاخذون أنفسهم بما تطلق ألسنتهم ولا يحاسبونها، وقد تكون الكلمة كبيرة من موقفات الذنوب، أو تستلزم الشرك، يكررها الناس وبالأقوى في حياتهم، ونعيش معهم، «يُضَيِّحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُنْسِي كَافِرًا أَوْ يُنْسِي مُؤْمِنًا وَيُضَيِّحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(٢)، كما أحرر السي ﷺ، وفي قوله يبيع دینه بعرص من الدنيا إشارة إلى أن من هذه الفتى ما يؤدي إليه الطمع والتمس لمن عنده الدنيا، فيرصيه بكلمة تأخذ منه دینه، مقابل عرص من الدنيا

يجلس الرجل عند من له إليه حاجة، فيجده يتكلم بما لا يجوز، يبيع الحرام، ويمدح الباطل، أو يخصص في آيات الله بغير حق، أو يطلع في الشرع باحتراعات من عنده، فيجمله عليها لأهل حاجته عنده، فيبيع عرصاً من الدنيا بدينه، قال تعالى ﴿وَلَوْ رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي بَيْنِنَا فَأَنْعَضَ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ [الأنعام ٦٨]، ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا عَلَى خَمَلٍ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا جِئْتُمْ بَابَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهِ وَتُسَبَّحُ

(١) مسلم حديث رقم ٢٠٥

(٢) مسلم حديث رقم ١١٨

بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مِنْهَا حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَيَاثِ عَرِيَّةٍ إِنَّكُمْ إِذَا يَشْتَهُكُمْ [الساء ١١٠]،
 وَقَالَ ﷺ «إِنَّ النَّبِيَّ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَوْ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ الْمَشْرِقِ
 وَالْمَغْرِبِ» (١)، قَالَ تَعَالَى «وَتَحْسَبُهُمْ حَبَابًا وَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ» [النور ١٥]،
 «وَأَهْلُ يَكُتُبُ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَآخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ
 السَّيِّئِينَ» (٢)، فهد بعض من فتنة القول

فتنة الانقياد للشهوات

أما فتنة الانقياد إلى الشهوات ومد العيش إلى زهرة الحياة، فكما فتح على الناس
 من الدنيا وزخرفها، فتح عليهم منها باب جديد، قَالَ تَعَالَى «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى
 مَا مَتَّعَتْ بِهِ دُونَهَا لَكُمْ يَتَّبِعُهَا أَهْلًا وَهُوَ عَزِيزٌ مُبِينٌ» [طه ١٣١]، فتنة جمع المال، وكسبه
 وتصريفه، فتنة لساء وما أكثرها، إغراء بتقليد ما ينفع وما يضر، إغراء في الناس
 والريئة، ولتروح، والاحتلاط، والخروج لحاجة ولغير حاجة، والمرأة راحة،
 وأحب وأم، فما يقع للأاعد منهم يقع للغيران، وما يقع للغيران يقع للأخت
 وللمروحة، فبما أن بطيخ الرجل روحه وأهله في رعاتهم، وهي لعب ولهو ورسة
 وتفاخر وتكاثر، وإما أن يكون عريثاً مسوداً شاداً معرولاً، وما عساه أن يقوم اليبر،
 وهذا من الفسة في الأهل «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ بِلَهُمْ وَأُولَئِكَ فَتَنَ وَتَنَ اللَّهُ عِبْدَهُ أُخْرُ
 عَظِيمٌ» [التعين ١٥]

اليوب ألف سماع العناء، وتصنيع الساعات الطويلة أمام الشاشات الصغيرة،
 والمسلسلات لى لا يرى فيها مهما اختلفت أسماؤها إلا مصمون واحد، تشتت فيه
 على تدبيل أهدف وتخصصاتها هو استهلاك الوقت والافتتان بالديب، وماديات
 الحياة وشهواتها، وإشراؤها في القلب، حتى تملك على المرأة نفسه، فيصبح ردم
 عليها، ولا يفكر في غيرها، ولا في الحصول إلا عليها، ليبدل بعد ذلك العالي
 والنعيس في افساء تلك الماديات، والحصول على تلك الشهوات، والتحنن بأحلاق
 أهله، ولشبه بهم في لباسهم، وفي كلامهم، وفي سلوكهم، وفي اهتماماتهم
 السيئة، فيبدل أثنى ما عنده للحصول على أحط ما عندهم

(١) مسلم حديث رقم ٢٩٨٨

(٢) سنن سريدي حديث رقم ٢١١٦

يبدد العرص والشرف، ويذل الدين والعروة، كل ذلك لتوصل إلى بعض ما أشرته نفسه من نفس، التي يمسى ويصح عليها، والحصبة كلها آثار سيئة، أهونها ما تورثه من قسوة القلب وبلاهة الحس عند المسلم، والتعلق بسلبيات الحضارة الغربية، بتقليد أهلها في كل ما يفسد الأخلاق ويعلم الجريمة ويرفع الحياء الأم والسات يلسن القصير والعاري، الذي يكشف الصدور والأكفاف، والأساء داخل البيت مع الأحوات غري الأفعاذ، في لباس قصير محدد، ترر منه العورة المعطاة، بل يحرقون بذلك اللباس إلى الطرقات مع القعة على الرأس، تطبيقاً لما ألفوا رؤوه من حلال الشائت على واقع حياتهم، ومن لم يصل إلى هذا المستوى في اللباس العاري، فهو لا يزال متخلفاً!!

الكيس لا يعطى الفرصة لهذه الشائت الصغيرة في السيوب لسرق وقته ووقت أسرته وأطفاله، وتفسد أخلاقهم وسلوكهم، بل يراقبها بحذر، فلا يأخذ منها إلا ما كان محققاً لنفع، وهو قليل قليل

لأن حر من نفس، حفلات الساء في الأفراح وأسواق المواليد في الصالات، وفي المادق بالمقوى العائنية بآلاف الجبهات - يحصرها الساء كاسيات عذرات، يخدمهم ولدان وشباب من مختلف الجنسيات، والمتديبات يشترطن عند إقامة هذه الحفلات أن يقوم بالخدمة فتيات، ويسين الإسراف والتساهى والسجس والنصص (بالكرات) الحضية السرية، والظاهرة العلنية، الذي لا تأمه المرأة في مثل هذه الأماكن!!

رب البيت الذي جعله الله تعالى راعياً في أهل بيته ومسئولاً عن رعيته، إن سس له قيدهم، وتقوا الله تعالى وأطاعوه، وميروا بين ما يفعهم وما يصرهم، فيحمد الله، وهذا هو النادر المستثنى من القاعدة ومن كان على القاعدة والأصل الذي عيه عامة الناس، فإنه إن أراد السلامة ونصح لأهل بيته كما أمره به، ففرص عيهم بـ الإسلام وشرائعه، ومع عنهم عوائل الشيطان ومصلاته، في ماكنهم ومسيهم، ومدخلهم ومخرجهم، وتعليمهم، وحلهم وترحالهم، وترويحهم عن أنفسهم وقضاء أوقاتهم عاش عرة بينهم، واحتاج في مجاهدتهم عن الحق إلى محادثة لعدو ﴿يَنَائِيهَا الذِّبْكُ عَامُوا إِلَيْكَ مِنْ أَرْوَيْكُمْ وَرُدَّكُمْ غَدَاً لَكُمْ

فَأَعَدُّهُمْ ﴿[التعاب ١٤]﴾، وإن تركهم على ما يهون منك وهتكوا، فإن الله تعالى مسئله عن رعيته

ومعنى كونه مسئولا أن الله سيوقفه للحساب ويسأله عن أهل بيته، هل بذل لهم من الرعاية ولوقت والنصح والتربية منذ أن ولأه الله تعالى عبيدهم ما نعمهم الفضل، وشرع الدين وسن المسلمين، أم تهاون وفرط، وترك التحل عني العاد، وقضى معظم وقته خارج البيت، في الزيارات والحكايات، ومؤاساة الأصحاب، ولهو واللعب، حتى استفحل الداء، وكثر الأساء على سرقة الجيران، وتعاطي المحدثات، وترك الدراسة، ومصاحبة أهل السوء، واتسع الحرق عني الرقع، ووحد نفسه عاجزا أمام طوفان جارف، وانحراف واضح، وفتن ملاحقة أضده كما أصلب غيره

تربية أهل لبيب ورعايتهم، وتفقدتهم المتواصل الدائم عادة، يؤخر عبيده ولي أمرهم، وأي عادة بطاع الله تعالى بها، وتكون سببا في دخول العجة، وتدل بها أعلى الدرجات، لأنها من العمل الصالح الذي لا ينقطع إن أحسها وأعطاه حقه، وهي مقدمة على السنن والفصائل، ولو كانت عبادات محصاة، كالأذكار والمسابك المندوبة؛ لأنها حق واجب عليه، ولا يفرط في الواجب، ليأتي بالنسب والمندوبات إلا الباطل العاطل، ومن بعد عن الفلاح جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَّرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَأَسَهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِنَّ كُنَّ لَهُ جَنَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، وقال ﷺ «... فَإِنَّ لِحَبْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِمَيْبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِرُوحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِرُوحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»^(٢)، وفي حديث سمعنا «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَاعْطِ لِكُلِّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ»^(٣)

غربة الحق

معنى ما جاء عن النبي ﷺ في الفتر أن الساعة لا تقوم حتى يأتي عني الناس

(١) سنن ابن ماجه حديث رقم ٢٦٦٩

(٢) انصاري حديث رقم ١٩٧٥

(٣) انصاري حديث رقم ١٩٦٨

رمان لا يعرفون معروفًا ولا يكرهون مكروهًا^(١)، وأنه ترجع لثديين عرسته كما بدأ، ويصح القايض على دينه كالقايض على الجمر. يستهجن الناس عمله، ويكرهون مسكه كل من حوله، حتى أهله وحيرانه ودويه، فإن صعوبة أن يحمل الإنسان على الحق أهل بيته وحيرانه ودويه، أثبت من جهة أنهم لا يكرهون ما أنكره، ولا يستحسنون ما استحسنه. انقلب الموازين واحتلت المعايير، صار المكر معروفًا، وأُعرِب مألوفًا، ولحيء والفصيلة عجزًا وحمودًا، والاحلال تحررًا ورقيًا، والصدق والأمانة عفة وبلاهة، والكذب والحلف ذكاء وقطة. يقولون عن أنفسهم أليسوا هم مثل الناس؟! فلم التقيد والانصاف، والتحفظ والحرم وحياة الجد؟ على حين أن حيوة الحيران، ولأقرب والأصحاب لهم ولعب، والاحلال والاطلاق بلا قيود، ما قدروا عليه بإمكاناتهم قدروا، وما لم يقدروا عليه وصلوا إليه بإمكاناتهم الألفة الذكر، شتم الذين، وندب لعرص، واستعمال مهارات العصر، فما المانع أن نكون مثهم؟^(٢)

التقليد الأعمى (زِي الناس)!!

كلمة شاع على الأفواه، ليس مثلها في اقتحام الشر وتبريره لفظ، سلاح قد يبرره المحبطون أخطاءهم، هذا قيل لأحدهم كيف تفعل هذا؟ مما لا يشك هو نفسه في فساده وإفساده، قال (زِي الناس) ليس أضل ممن عمى الله قلبه، وأضل معيه، فأعرض عن قول ربه، وهدي نبيه ﷺ، واحتج على إغراضه عن ربه بعمل الناس الساطل، وضلالهم الفاسد، قال تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنْ لَّا تَمُرُّ بِأَتْيَافِهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الحاقة ١٨]، وقال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَجِيءٌ﴾ [القدر ٣٨]، وقال سبحانه ﴿مَنْ عَمِلْ خَيْرًا فَلْيَنْتَظِرْ وَمَنْ سَاءَ فَتَنُهَا﴾ [صافات ٤٦]، وقال ﷺ ﴿لَا تَكُونُوا إِمَّةً، تَقُولُونَ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسًا، وَإِنْ ظَنَّمُوا ظَنَّمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحِبُّوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تُظَاهِرُوا﴾^(٣)

(١) مسمى حديث رواه أحمد في مسنده حديث رقم ١٩٢٥

(٢) من الترمذي حديث رقم ٢٠٠٧

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

من شعب الإيمان

فرائض وسنن مضيعة:

عمدة الناس يعرف من الإيمان كلمة التوحيد، والميم بعض فرائض كصلاة ولصيام والحج، ويجعلون ذلك هو الإيمان والدين الكامل! كم في الدين من فرائض غير هذه لأركان مضيعة، يفعل عنها المسلمون! وكم فيه من سنن وآداب هي من لعمل الصالح، يزهدها فيها الزاهدون!

لا يجوز الإقدام على عمل حتى يعلم حكم الله فيه

من لفرائض المصحة، التي تنبئ عليها صحة كثير من الأعمال أو فسادها في حياة الناس، مع العفة عنها، أنه لا يجوز الإقدام على أمر حتى يعلم حكم الله فيه الشئ مع في الناس اليوم أنهم يقدمون على الأمر الذي لا يعرفون حكمه في شرع، ما دم معصوم الكسب، راح الصفقة، ما دامت ترتاح إنه العس ويشتهه الطمع، أو نحوه النساء، ويرعبه الأهل، ويوافق الأعراف والعادات، ولا يحظر العمل بهذه القاعدة على البال

الإقدام على العمل قبل معرفته حكمه يترتب عليه معاسد لا نحصى، يترتب عليه أن الإنسان قد يمضي أعواماً وأعواماً من عمره تحل الحرام، أو يحرم الحلال، أو يدع ما ليس بدعة، ويكر ما هو سهو، قد يعقد العقود الفاسدة، ويأكل أموال الناس بالاثم والباطل، أو يكر ما لا يجوز إنكاره، أو يفتق ماله وجهده في معصية، بطنها قرينة وجهده، وطاعة، يعتقد أنه يحسن بذلك صنفاً، وهو من الأخسرين أعمالاً، الذين هل سمعهم في الحجة الدنيا، وقد يعرض نفسه للمحبة مما يحبه الله، على حين أن

المحنة أصابته من حيله بالسنة تمضي السون وهو على ذلك يصرب في عبادات وأخطاء، عقائد باطلة، أو معاملات فاسدة، أو عبادات محنة، حتى ألف ما هو عليه، فإذا حاولت منه تصحيحاً لبعض ما ألفه، ورافق سنني عمره هذا الأمد الطويل، سمع عجباً، كأنك تأتيه بدين حديد ولسان حالي يقول ما سمع بهذا في المحنة الأحره، وهذا تكلم الخطورة، فالبدعة عنده أصبحت ديناً، وعظم الناس عما بأفوه دونه الصعاب والشدائد، وبحب العجال بالأظافير أهون من تحوس صاحب بدعة عن معتقده كما يقولون

النصح في الدين من الإيمان

النصح في الدين من الأمور التي كان رسول الله ﷺ يأخذ عيها البيعة، كما يأخذها على عقد الإيمان، ففي الصحيح من حديث جرير بن عبد الله السجني، قال: «يبيع رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(١)، والنصح ضد العش، ومعناه توحى ما ينفع الغير، ويصلح به أمره في دينه ودينه، من قول أو عمل، في الأمور الناطقة، والظاهرة، والباطنة كحب الخير والمودة للمؤمنين، وبقي الحسد والبغض والكراهية والتكر عليهم، والظاهرة، بتحذيرهم مما يصرفهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم، وكف الأذى عنهم باليد واللسان

هذا هو معنى لنصح لعاد الله الواحد على عامة الناس، الذي كان حرماً من بيعة الإيمان، ولا إحالك واحداً في قانون الشر قاعدة في التعامل أشمل للخير، ولا أسعد للغير، من هذا المعنى الذي دلت عليه كلمة النصيحة، فهي تقي بما يجب للمسلم على المسلم وما يرغب فيه من اداب وسلوك، وتعد كل تقصير في حق الغير، من قريب ذي رحم، أو حار أو أخ في الإسلام عتياً، ونقصاً لجزء من البيعة على الإيمان والنصح المخاطب به كل مسلم هو النصح لله ورسوله ولكونه ولدينه ولعمامة لمسلمين

النصح لله

النصح لله، يكون بتوجيهه، وتربيته، والاستسلام إليه، والالتقاء له، والإيمان

(١) البخاري حديث رقم ٥٧

والحضور لأمره، ولتحاكم إليه، وإحلاصه وحده بالعامة دون سواء، وعادته بما شرع من الدين، لا بما تحبه النفوس وتهواه، ومحنته وتقديمتها على النفس والأهل والمال، وتطبيق ذلك كله قولاً وعملاً واعتقاداً، بحيث إذا حكم الله بحكم وقف المسلم عنده، ومثله وطبقه على نفسه، وألزم به أهله وبيته، ولا يعداه إلى غيره، فالصح له ثمرته الإيمان والعمل الصالح اللذان هما الطريق إلى رصوان الله والسعادة في الأولى والأخرة

النصح لرسول الله ﷺ

والنصح لرسوله ﷺ يكون بالإيمان بنوته، وتصديقه في كل ما جاء به عن ربه، والشهادة له بالرسالة، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه أكرم الحق على الله، ومسيد الأولين والآخرين من عباد الله، في الدنيا والأخرة، والتمرام طاعته فيما أمر به ونهي عنه، وموالاته من والآء ومعاداة من عاداه، وتوقيره وتعزيته ومحنته وتقديمتها على النفس والمال والأهل، ومحبة آل بيته، وتعظيم سنته وإحيائها بعد موته بالتقفة فيها، والذب عنها، والعمل بها، وشرها، والدعوة إليها، والتحنن بأحلافه الكريمة، واعتقاد أن كل حسنة وحير وفلاح يفعلها أحد من هذه الأمة، هو سببه ومصدره والداعي إليه، فله من الخير مثله من غير أن ينقص من أجور العامين من أمته شيء والنصح لأئمة المسلمين بطاعتهم في الحق، ومعاونتهم عليه، وتذكيرهم به

النصح لكتاب الله

والنصح لكتاب الله، يكون بالإيمان به، وتحسين تلاوته، وتدبر داته، وتوقيره وتعظيمه، ولتحاكم إليه عند الشارح، وحمل بصوصه على الدلالة الواضحة الصحيحة، التي تحمل عليها ألقاظ الشارع دون تمحل وتكلف، أو تأويل فاسد وعند اختلاف لدلالة وقابلية الاحتجاج، يقدم المهم الذي عليه حير القرون، الدين شهد لهم رسول الله ﷺ بالفصل والخير

وأهل العلم في هذا أعظم شأنًا من غيرهم، فإنهم المعيون بهذا الأمر، كما قال تعالى ﴿سَيُنْزِلُ اللَّهُ السَّكِينَةَ وَلَا تَكُونُوا﴾ [آل عمران ١٨٧]، وأشد من كتمان العلم، تحريف النوحى وتأويله على غير وجهه، فمن حرف كتمانًا عن مواضعه، أو أوله على غير وجهه لدين، أو هوى في نفسه، كان ممن لا حلاق لهم في الآخرة، ولا ينكسهم

الله، ولا ينظر إليهم، ولا يركبهم ولهم عذاب أليم

النصيحة الملقة على كاهل العلماء

من الإيمان أن يصح أهل العلم لدين الله، ويرهوه عن الأقوال الداطنة المسافضة لما بعث الله به رسوله من النيات والهدى، وأن يفتوا الناس بالصحيح من الأقوال، ويحسبهم على الحق، ولا يوافقهم على جهالاتهم وأخطائهم وأهوائهم، فيكسبهم موافقتهم إياهم على ما ظلمهم بحصوره معهم، وإقرارهم عليه، أو الدعوة إليه مشروعية في أعين الناس، يصلون بها كثيرا منهم، ويدلت بحسبوا أثقلهم وأثقلًا مع أثقالهم. قال تعالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِئَةً يَوْمَ يُنْفَخُ الرِّيقُ وَيَوْمَ الْأُخْرَى يُضَوُّونَهُمْ بِعَرِيرٍ غَيْرِ إِلَّا سَكَّةَ مَا يَرَوْنَ﴾ [التحل ٢٥]

ومن من في الإسلام سة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيمة، وكل من هو مسوب إلى أهل العلم ويقتدي به الناس مع أن يصون نفسه عن حضور الشبهات، يلته لمخالفات والمحرمات، ولا يتأول له من المحارح ما يتأول لغيره من العامة؛ لأنه يمثل الشرع الشريف، وهو قدوة المسلمين، فإنه أحن من يسره ويبأي نفسه عن بدله في كل موطن، لأن الله ﷻ احتاره واصطفاه لحمل شريعته، وتبليغ دينه، فيسحر لصواب والأحوط في أقواله وأفعاله، فإنها عند الناس القدوة والشرع

لا يسعى لمن علمهم الله علمًا أن يجاملوا العامة في أعمالهم الخاطئة، ومعتقداتهم الفاسدة فيقروهم عليها، ولا أن يبرروا للمجتمعات، متمدة كدت أو مخرقة، حروحها عن أحكام الشريعة، تحت ضغط تعبيرات العصر، ومتطلبات المدنية، أو دفعاً لهمة لتحلف، التي لا يفلك أعداء الإسلام عن رمي المسلمين بها، ليسخنهم على الاقتراب من مفاهيمهم المصحلة، وشعاراتهم غير الدينية، تحت مدأ اليسير ورفع لحرج، أو التأويل للنصوص بما يلائم العصر، أو اسدًا إلى إراء في الفقه مأخرة، حلطب العقائد والتعدت بكثير من الخرافات، في كتب تحتاج هي داتها إلى تمحيص وتحقيب، لعرانة ما حاء فيها، ومخالفته لما تصدرب عليه النصوص، وما فهمه منها الأولون، وما دبووه في الكتب المتقدمة، حصوص أن كثيرًا من هذه الأراء المناخرة صدرت من أصحابها في عصور اتسمت بالركود العلمي، وبشطت فيها الخرافات في المعتقدات، وانتعد الناس فيها عن صانع التشريع، وما

كان عليه الأئمة المتقدمون الأعلام، فلا يجوز التعلق بما جاء فيها، والإعراض عما سواه من لبيب لواصلحة في هدي حير العباد، وهدي حقائق وأصباحه، وأئمة الدين الذين هم بقندى، والنقل عنهم صحيح بالسند المتصل فالأخذ بمثل هذه الآراء والأقوال العرية لمناصرة في مقابل ما ذكر من النصوص النواصلة المسددة خصوصاً في مسائل العقائد من أعظم الخطر في الدين

ولعقل من عمة الناس من التجار والعمال والنساج لا يفعل ذلك في مسألة من أمور الدين، ولحطب فيها هين، إذ لو عرض له أمران أحدهما مأمون السلامة، والآخر يحتمل لسلامة والخطر، فإنه لا يرضى لنفسه إلا بصفة مأمونة، فكيف بأهل العلم الذين نصرهم الله تعالى بدينه، وأخذ عليهم الميثاق ﴿لَيَبْقَىٰ وَفِيَّ وَلَا تَكْفُرُ﴾ [آل عمران ١٨٧]، كيف يتركون الواضح المنقول بالسند الصحيح عن المعصوم، وعن حير القرون، إلى أقاويل متآخرة، مخالفة لهم؟ ليس فيها لمضي بها رواية ولا إسناد^(١)، ولا تدري ظروف أصحابها عند صدورها عنهم، ولا ما إذا كانوا قد تركوها أو أقاموا عليها. ثم هي بعد ذلك قول من لم تثبت له عصمة، يؤخذ من قوله ويترك

ولواحب على من أعطاه الله تعالى علماً أن يذلل النصح لمسلمين، لا يذكر على ما علق بمعتقداتهم وعباداتهم من مخالفات، وتسيبهم إلى ما نحن معدلاتهم وعقودهم من فساد، لا يقرأهم عليها، والبحث لهم عن السررات والمعادير، فهو داعية إلى الله ورسوله، وأولى الناس بالنصح لعباد الله، ورسالته إحقاق الحق، ودعوة الناس إليه، وتصحيح عقائدهم وأعمالهم ابتغاء رضوان الله تعالى، وليس مؤولاً يؤول النصوص، ويبرر الأخطاء، ويبارك ما تهواه النفوس من العوائد والتقاليد، فإن رضا الناس غاية لا تدرك كما يقول الشافعي رحمه الله «فعبث بالامر الذي يصحح دلمه، ودع ما سواه ولا تعانه» ومن اتلى بصوت وأول ما يبدأ به نفسه فيحذرهما، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرَٰثِرَهُمْ إِنْ كَانُوا مُؤْمِرِينَ﴾ [التوبة ٦٤]، كتب عائشة إلى معاوية رضي الله عنه «سلام عليك، أما بعد: فلإني سمعتُ

(١) من لا تدوين العلم وشهرة به الكتب إلى أصحابها أغت عن الرواية والإسناد، يقال هذا صحيح.

وذكر ذلك لا يتم إلا بعد التحعين ومقابلة المطوع منها على مخطوط محمد

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ التَّمَسَّ رِضَاَ اللَّهِ يَسْخَطِ النَّاسُ كِفَاءَ اللَّهِ مُؤَنَّةَ النَّاسِ، وَمَنْ
التَّمَسَّ رِضَاَ النَّاسِ يَسْخَطِ اللَّهُ وَكَفْلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ^(١)

واحب أهل العلم أن يحملوا العامة على الحق، ويسكروا عندهم جهالاتهم، ويبدوا
جهدهم في تعليمهم لتصحيح أعمالهم، لا أن يصرعوا وسعهم في الاعتذار لهم،
والمحتل لتصحيح أخطائهم وعمل من يفعل ذلك عمل العاشر غير الصالح، المفرط
فيما أوثمن عليه، كالطبيب الذي يطمئن المريض ويوهمه أنه صحيح لا يحسح إلى
دواء والداء في أحشائه يسري، حتى يقضى عليه^(٢)

تحري الفتوى بصحيح الأقوال

من الأمانة لعلم ألا يأخذ العالم بالتسليم كل ما يجده في كتب المتأخرين، فإن فيه
الحق والدطل، ولعث والسمير، وليعرض ما وجده في هذه الكتب من كل ما هو من
الدين، ويتقرب به إلى رب العالمين، يعرضه على ما فهمه الأولون والأئمة الذين
يقننى بهم من سن الإسلام وهديه، يأخذ به، ويترك ما تركوه، فإنهم كانوا أكثر
الناس عتياً وأقلهم تكلفاً، وأعددهم عن الخرافات والإحداث في الدين، وألزم بقوى
الله تعالى، وهدي رسوله ﷺ من غيرهم، فأصول العلوم الشرعية عن عهدهم قد
دوبت وأفسدت، وما أنى به من بعدهم فهو تسيط وتوسيع لما قعدوه وبيد عنى ما هم
أسوء، وبيان لما أحملوه، وما حالقهم أحد في شيء يعول على مخالفته

وما حد من الموارد لا يسمع من النظر فيه، لكن ينظر فيه عنى طريقة المهتدين
المهتدين، طريقة أنى بكر وعمر ؑ، فيما حد عليهما، كان أبو بكر ؓ إذا حد عليه
أمر ينظر، فإن وجد فيه لرسول الله ﷺ حكماً حكماً به، فإن لم يجد جمع ما كان معه
من الصحة واستشارهم فاحتهدوا وعمر كان يعرض السارلة عنى ما حكم به
رسول الله ﷺ، فإن لم يجد له فيها حكماً، ينظر هل حكم فيها أبو بكر شيء، فإن
حكم بها فلا يتعدى حكمه، فإن لم يجد جمع من معه من الصحة واحتهدوا هذه
مسيرة من أمرنا رسول الله ﷺ بالافتناء بهم، فينعى لمن تأخر عنهم أن سبكت

(١) الترمذي حديث رقم ٢٤١٤، وقد اختلف الترمذي في وجهه ووجهه، وصحح من حاد تحديث مروغداً، ينظر

تحفة الأحويدي شرح حديث رقم ٢٤١٤

(٢) انظر المنو في الدين مؤلف من ٥

مستكنهم، فيطر فيما فهمه أهل القرون الأولى في كتاب الله ومسة رسوله ﷺ، مما له تعنى بالدرلة باستساض أو تخريج عليه، فلا يتعداه، خصوصاً إذا اتفقوا، كما في مسائل الاعتقاد، والمجاة لا تكون في اتساع غير سيدهم، فيهم الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالمصل، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَٰهُ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلَبُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥]

النصيحة المطلوبة من عامة المسلمين

والصالح لعامة المسلمين المطلوب من كل مسلم أن لا يظلمهم ولا يسمهم، ولا يعصهم ولا يحسدهم، ولا يعشهم، ولا يخونهم، أو يتخونهم، ولا يعصهم، ولا يعاديهم، ولا يشهد عليهم برور أو كذب، ولا يدعى عليهم ساطر، ويوصل إليهم حقوقهم، ولا يحسدوا، ويعين محتاجهم، ويرفق بصعيتهم، ويصبر مطومهم، ويعود مريضهم، ويعفو عن مسيتهم، ولا يقطع لهم رحماً، ولا يؤدي جراً، ويدعو لهم بظهر الغيب، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويبدأهم بالسلام، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عن ظلمه هذا بعض النصيح للمسلمين الذي بقاس به إيمان المؤمنين، وهو من حصال الإيمان وشعنه، انظر كم فيه من فرائض مصيعة، ومن مهجورة، وكان الكلام عليها صار ضرباً من الخيال، لعداه عن واقع الناس الذين جعلوا لفرائض لا تتعدى أركان الإسلام الخمسة، إلا من رحم ربك

الحب في الله والبغض في الله

الحب في الله هو محبة أحد لصقة فيه تقرب إلى الله تعالى، كاتصافه بالإيمان والتقوى، أو الصديق والعمل الصالح، أو لعلمه الذي يرجئ به هداية الناس ومعهم في الآخرة. والحب على هذا الوجه من الإيمان، وهو راجع إلى محبة الله تعالى ورسوله، فمن أحب أحداً لهذه الصفات، فيما أحبه لأجل الله، وذلك من طاعة الله ﷻ

وكل مسلم مأمور بمحبة الله ورسوله ﷺ، ومحبة المؤمنين ممن كان عني صفة من صفات الإيمان ولعمل الصالح، سواء كان حياً أو ميتاً، فمحبة الأموات من الأبياء والصحابة والتابعين والعلماء والعاد الصالحين، واجبة كمحبة الأحياء من أهل الإيمان ولطاعة ومن أحب المرء لا يحبه إلا لله وجد حلاوة الإيمان، وكان ممن

بطيهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ومن أحب مسيماً لإيمانه وطاعته في الله لا لشيء آخر، قال له الملك: إني رسول الله إليك بأن الله أحبك كما أحسنت فيه، كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ^(١)

وكما يحب الحب في الله يجب العص في الله، وأترك في الله، فمن أحسنه لطاعته واستقامته ونفعه لعباد الله بما يعود عليهم في صلاح دينهم، عديت أن تعص غيره في الله لمعصيته وظلمه وتفريطه ويعطى كل مسلم من المحبة والعص بقدر ما فيه من خير أو شر، فالمسلم لو لم يكن فيه إلا الإيمان فإنه يحب لإيمانه ويصبر لإيمانه، ولا يجوز حدلانه وموالاته الكافر عليه، فمن فعل ذلك يوله الله تعالى ما تولى ﴿وَمَنْ يُوَلِّمْ بَيْنَكُمْ يَمْنًا بَيْنَهُ﴾ [المائدة: ٥١]، وهو وعيد شديد أكده الله تعالى في باب كثيرة من القرآن، تفى فيها الإيمان عن ناصر كافراً على مسلم، أو أيده عليه وتولاه ولأيد المعوي أو المادي أو الانصام إلى حقه وحره بما يقوي شوكة ويسطه يوده وشره قال تعالى ﴿تَرَكْنَا كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسَرَّ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَفَلَمْ تَكُن مِّنْ مَّحْضٍ عَلَيْهِمْ وَالْأَعْدَابُ لَهُمْ حَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠]، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المحاذلة: ٢٢]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]

ويعص المسلم لعصيان وظلمه بقدر ما فيه من ظلم وعصيان والعص يكون بالقلب، ويكون بالفعل والهجر والأصل في الهجر والعص للمعصية حدث الثلاثة الذين تحموا عن عروة توك، فإن النبي ﷺ أمر بهجرهم وترك كلامهم ونبذهم حتى صاقت عليهم لأرض بما رحبت، قال تعالى ﴿وَعَلَّ الْكُفْرَ الْبَرِّ حَيْثُ كَانَ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْهَارُ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، ولكن الهجر مشروع بقدر ما يوقع منه من تقبيل المعصية أو رواها، فإن كان يؤدي إلى بقائها أو قوة المسك بها، فلا يكون مشروعاً وتركه أولى، فقد هجر النبي ﷺ أقواماً وتألف الحرين وكما تعظم محبة المسلم يعظم الطاعة، يعظم بعصه المعصية، فليس بعص كعص

(١) صحيح مسلم حديث رقم ٢٥٦٧

هجران أهل البدع

من الدين والإيمان هجران المستدع الداعي إلى بدعته، وهجران الفاسق والعاصي المحاهر بنفسه، قال تعالى ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَنَسِكُمُ الدَّرَكُ﴾ [هود ١١٣]، قال القرطبي إبه دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فرب صاحبهم كفر أو معصية، إذ الصحة لا تكون إلا عن مودة^(١) وقال تعالى عن المنافقين ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء ١٤٠]، قال الصحاك دخل في هذه الآية كل محدث في الدين مستدع إلى يوم القيمة، وقد أمرت الآية صاحبهم والقعود معهم ومجالستهم، لأن من لم يجلسهم يكون قد رصي معهم، والوصف بالصلال صلال، فكل من جلس مجلسهم ولم يكر عبثهم يكون شريكاً لهم في لور^(٢)، وقال تعالى ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ يُخَوِّصُونَ فِيْنَا أَنَبَاً فَأَنزِلْهُمْ عَنْهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ [الأنعام ٦٨]، قال ابن العربي وهذا دليل على أن مجالسة أهل الكثر لا تحل، وقال ابن حوير ممداد مع أصحابا مجالسة الكفر وأهل البدع، وألا تعتقد مودتهم، ولا يسمع كلامهم، ولا مناظرتهم

وقد قال بعض أهل البدع لأبي عمران النخعي: اسمع مني كلمة واحدة، فأعرض عنه، وقد ولا نصف كلمة ومثله مروى عن أيوب السحياسي، وقال الفصيل بن عياض «من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأحرج نور الإسلام من قلبه، ومن روح كريمة من مستدع فقد قطع رحمها»، أي لأن المستدع يطلب هجره^(٣)

وكذا يقولون لا تجالسوهم وإن دنا عن النسبة، لأنهم لا يفعلون ذلك إلا لترويح بطلهم، ولو اعتقدوا محبة السنة حقاً ما أقاموا على البدعة قال مالك ولا يُسَمَّ عبثهم، وهجرهم إما هو لإلجانهم بالهجر إلى اعتقاد الحق وليأدب بدلت عبثهم، وقد ترك النبي ﷺ الصلاة على المدين والعات، وحائهم أحسن من حال المستدع الدعية، ونهى الناس أن يكلموا الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد لمجرد أنه خاف عليهم لمدى

(١) النجاشي لأحكام القرآن ٩٣/٩

(٢) انظر النجاشي لأحكام القرآن ٦ - ٢٩٧

(٣) النجاشي لأحكام القرآن ١٦/٧

ولا عية في المستدع الداعية، والمجاهر بالمعصية، نذكر حالهما بالعسق لمن يسأل عنهما، فإن كان المستدع غير مجاهر بدعته، فإنه يصح ويكلم على أن سوب، ولا يحسب ولا يشهر به، فإن الستر على المسلم مطلوب، وهو من الإيمان، ومن سر عن مسلم سره الله يوم القيامة كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ فيسعي هجر لمستدع الداعي إلى بدعته، وعلى أهل الفصل أن يهجره حيناً وميضاً، ولا بشيعوا حديثه رجحاً لأمثاله^(١) وكان السلف يهون عن النظر في كتب أهل البدع والاسماع إلى كلامهم والمقام معهم، لما يورثه من الطئمة وفساد القلب، قال ابن القاسم سمعت مالكا يقول: لا يحل لأحد أن يقيم سند يست فيه السلف^(٢)

ولهجر المبتدع شرطان

- ١ أن تكون لية في هجره طاعة لله تعالى ، كراهية لبدعة ذاتها ، لأنها معصية وطئمة ، لا لأمر آخر من أمور الدنيا
- ٢ أن يكون في الهجر مصلحة، إما لأن هجره يجره ويرجر أمثله، أو يقوي به إيمان من هم على الحق إذا رأوا صاحب البدعة مهجوراً، فإن لم يكن في الهجر مصلحة بقوي به الحق، بأن كان لا تأثير له أصلاً، أو كان الهجران يؤدي إلى مكر أشد لم يكن مطلوباً. فصاحب الحق مع صاحب البدعة كالتطبيب مع المريض، يحذر له أسب لأدوية بالمقدار الذي ينفعه، حين يظن أنه ينفعه ويحقق مصلحة الدين، فإن كان الدواء يبيع على المريض أوحاشاً أخرى كامة في دمه، ولا مصلحة معه، ففي إعطائه إياه هلاكه^(٣)

قال ابن عبد البر: «في حديث كعب في قصة الثلاثة الذين حصبوا دليل على أنه حائر أن يهجر المرء أحاه إذا بدت منه بدعة، أو فاحشة يرجو أن يكون هجره تأديباً له ورجحاً عنه^(٤)». وفي زاد المعاد^(٥) وفيه أي حديث الثلاثة الذين تحصبوا عن

(١) انظر الآداب الشرعية ٢٢٩/١، وموسوعة الفقه الكويتية، مادة (بدعة)قرة ٢٧

(٢) أحكام القرآن لاس العربي ٤٨٤/١

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٢٨/٢١٢

(٤) التمهيد ٦/١١٨

(٥) ٢٤/٣

عروة تنوك دليل على هجران الإمام والعالم والمطاع لمن فعل ما سوجب العيب، ويكون هجرته دواء له، بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يريد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه، لا إتلافه.

ولهجر لعص الناس أفع، والتأليف لعصهم أفع، وقد كان النبي ﷺ يألف قوماً، ويهجر آخرين^(١)

إمطة الأذى عن الطريق

قال ﷺ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»^(٢) وفي الموطأ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «يَتِمَّا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ عُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغُفِرَ لَهُ»^(٣)، وفي لفظ آخر: «حوسب رجل فلم يوجد له من الخير إلا عُصْنُ شَوْكٍ نَحَاةً عَنِ الطَّرِيقِ فَغُفِرَ لَهُ»^(٤)، وفي لفظ عبد مسلم، فقال «وَاللَّهِ لَا تُخَيَّرُ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ»^(٥)

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا، تَقَلَّبَ فِي الْحَنَةِ فِي شَحَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»^(٦) وعن أبي هريرة، قال «قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَذْرِي لَعَنَى أَنْ تَمْضِيَ وَأَبْقَى بِعَذِّكَ، فَرَوَّذَنِي شَيْئًا يَنْصُنِّي اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «افْعَلْ كَذَا، افْعَلْ كَذَا، أَبُو بَكْرٍ نَسِيَهُ، وَأَمِيرُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»^(٧)، وفي رواية قال قلت «يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَعِمَ بِهِ قَالَ اغْرِزِ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ»^(٨)

وعنى هذا فهم أصحاب رسول الله ﷺ الإيمان وحصانه، إمطة الأذى عن الطريق

(١) نظر مجموع الحديث ٢٨/٢٠٦

(٢) مسلم حديث رقم ٣٥

(٣) صحيح حديث رقم ٦٥٤

(٤) مسند ٢٢/١٣

(٥) مسلم حديث رقم ١٩١٤

(٦) مسلم حديث رقم ١٩١٤

(٧) مسلم حديث رقم ٢٦١٨

(٨) مسلم حديث رقم ٢٦١٨

عندهم من الإيمان، لأن دفع الضرر عن المسلمين وإزالة الحير لهم هو مقتضى الدين والصيحة والمحنة للمؤمنين، وهذه الخصلة من الإيمان التي شكر الله داعيتها ووعد الجنة هي على صعرها تشرح صدر المؤمنين، لأنها تدل على حضارة هذا الدين مد أن أكمنه الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ، وما تحمله رسالته الحائدة لمشربة من ظلم الحيرة لوقية، بالمفهوم المعصري المرقى، التي شملت فيما شملت المحافظة على نظافة الإنسان، ونظافة البيئة، وإزالة الأذى عن الطريق، بحسبها، وتمهيدها، وإصلاح المسد منها، وإقامة المعوج، وإصاعة المظلم، وتوسيع الضيق وإزالة كل عائق يفسد بهاءها وحمالها، وطيب هوانها وتقائها، فإن ذلك وغيره مما يوفر الأمن والراحة البدنية والنفسية للسالكين فجاحها، راكبين أو ماشيين، كنه داخل في إمطة الأذى عن الطريق، الذي هو من شعب الإيمان، يؤجر عليه العبد وشب وتعمر به ذنوبه، ويقلب به في نعيم الجنة

وكان المسلم حين يحافظ على هذه الشعبة من الإيمان، بهذا المفهوم الشامل الكامل يسير في شوارع أرقى مدن العالم حضارة ونظافة وجمالاً، حيث يستحي المار أن يصفق تحت قدميه، لما يخشى من تلويث الطريق، ولما يخشى من الاشمزاز من فعنه والإنكار عليه

أين هذا الإيمان الذي يؤكد عليه حديث إمطة الأذى عن الطريق مما عليه تصرفات المسلمين في أكثر بلاد المسلمين؟ إهم لا يحسون بمسئولية تقصير في هذا الجانب الإيماني في حياتهم اليومية، يحرج الجار كاسية بيته بما تفضمه من عقوبات وروائح كريهة فيبقى وسط لطريق ولا يبالى، هذا إن كان مع جاره على مودة وودق، وإلا فلا يحاور بها باب حاره على عقلة منه، يبدخل فيمن لا يأمن جاره بوائقه، ويكون ممن حرم الله تعالى عليه الجنة كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ^(١)، بدل أن تدحله إمطة الأذى عن الطريق الجنة

وشأ عن هذا لتهاون حائل من الأوساخ والمخلفات والنفايات في طرقات المسلمين، وضطروا لحرقها بالنار داخل المدن ووسط السكان، وبدئت تصل سمومها ودخانها وروائحها الكريهة كل بيت، فتلوّثت البيئة، ودفع الجميع الثمن

(١) البخاري حديث رقم ٦٠١٦

بعضها، يظهر أمراض بينهم استعصت على العلاج

فبيته من به شيء من التهاون في هذه الشعة من الإيمان إلى أن الله لا يعرب عنه متقد دقة، ولا يحمي عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وكل شيء عنده في كتاب، يصع لموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً، وأن من أدى المسلمين في طرقهم، وشأ عن أداء صدد مباشر أو بعيد، مما لا يحمي عن عدم الله هو مستو عن صاع، ومقتص من لمن ظلمه، فانظر يا من تؤدي المسلمين في طرقهم كم من حصماء لث بين يدي الله تعالى ١

الإتفاق في السفه والبخل في الواجبات

تفقر الأسرة أموالاً كثيرة هي إلى السفه أقرب منها إلى الرشاد، ليست من ضروريات الحياة ولا من لوازمها، منها ما الإنفاق فيه من التكبر وصرح الحرام كالخمر والمحدثات والربى والساء والإنفاق على معاص أخرى، كأشرطة العدا والحلاعة والعري، ومشاهدة الدعارة والصورة العارية التي صارت بفعل النقوبات الفضائية وموقع الحاسوب في تناول كل من يريد

ومنها ما هو منع وتسلية بعضها مباح، وأعله محرم أو مشوه، لا تكاد تجد يده في الأحياء ذاب لدحل المحدود غير مشترك في الشئ الفصائي، أو لم يصب صاحب ينقذ به محطد أحر الليل، أو لا ينفق على السجائر كل يوم ديناراً عنى الأقل، في الوقت الذي يترك لماء الأسود وغير الأسود يجري من بيته إلى الطرقات، ويرمي حرق المحايض ويراز صغاره خارج بيته على خطوات، ولا يستقطع من نفقاته لطائفة من يؤخره على نقل ما يكف أداء عن المسلمين أي سعه وتفریط في حقوق المسلمين أيس من هذا؟؟ المؤمن الذي يستحق وصف الإيمان يستقطع من قوته الضروري، من حبر يومه، مكتتب نصف ما يستد حاجته من الطعام لمن يقوم له بهذا الواجب المتعين، لا أن ينفق ماله على السفاهة، ويرمي بعقه على عباد الله، وإنما الله المشككي

الصبر من الإيمان

ليس كالصبر عون على إتقان العمل، وأداء الحقوق، وتقديم الواجبات على أحسن وجه وأكملها، لذا كانت أكثر حصائل الإيمان وشعبه داحية تحب الصبر، حتى ورد أنه نصف الإيمان

الصبر على العمل ابتداء ودواما

ما من عمل من الأعمال الصالحة بأنواعها، في العادة والمعاملة، إلا ويصح إلى الصبر في مراحلها الثلاثة، قبل البدء، وفي الأثناء، وبعد الانتهاء. ففي البدء يكون الصبر بتصحيح الية، والإخلاص، وتصفيته من شوائب الرياء، وهوى النفس، وحب الثناء والمدح، وإطلاع الناس، ولا أشق على النفس من معاناة ذلك، ولعل هذا من أسرار تقديم الصبر على العمل في قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [هود ٩٩]، وقد تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البقرة ٢١٧]

والصبر في الأثناء هو الصبر على العمل بعد الدخول فيه، وذلك بتقنه وإكماله وأدائه على أحسن وجهه، وأفضل صورته، ومراعاة كامل أذانه وفصائه، ولعل هذا من أسرار وصف المستحقين لأجور عملهم بالصبر في قوله تعالى ﴿لَعَمْرِي﴾ [الأنبياء ٥٨، ٥٩]، أي على إتيان العمل وإتمامه، فكثيرا ما يصيب العامل فتور وتطيف وقصور، وأحيانا تقريط وإهمال، لقلة الصبر في العمل، والتعريط والإهمال، عادة ما يكون عند ضعف الإيمان، مع غياب التقوى والردع في الإحلال بالأعمال التي يتقاضى الناس عليها الأجور، ولا تعود عليهم حسرتها بطريق مباشر إذا أهملوها، كعمال الحكومات، والمصانع، والمؤسسات، في البلاد لبي ضعف فيها إيمان المؤمنين وصر العاملين أو غاب

وأما القصور ولقصور، مع المحافظة على هيئة العمل وصورته، فيظهر حين فيما كان من العمل عادة لله حالته، لا يتظر العامل فيها مودة صديق، ولا مكافأة ذي حمة وسطة، فقد يصلي المصلي، ويصوم الصائم كيما اتقى، فلا يحسن ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها، ولا يترك في صومه الدنو والرفث، فلا يصبر على ذلك كله، فإذا ما دعاه صديقه أو ولي نعمته من العباد لأن يقوم له بعمل، صبر عليه، وبدد وسعه في أن يكون العمل على أتم وجه وأحسنه وأتقنه، وتمنّقه سكنت الأعداء به، ليرصيه ويحصل على ثنائه، مع تهاونه في أداء ما وجب له عليه، والله بذلك أحق، والصبر على أداء ما يستحقه أوجب، مع ما فيه من الجراء الحسن، ووفاء آخر الصابرين بغير حساب

والصبر على العمل بعد الفراغ منه يكون بعدم ذكره وعدم التحدث به، وترك العمل

والشهرة والإعجاب بالنفس، وتحليصه من السمعة والرياء، وكل ما يبطئه ويحطئه،
 قال تعالى ﴿وَلَا تُطِئُوا أَعْيُنَكُمْ﴾ [محمد ٢٣]، وقال تعالى ﴿لَا تُطِئُوا صَدَقَتِكُمْ
 بِالْمَنِّ وَالْأَدَى﴾ [النقرة ٢٦٤]

الصبر على المصيبة

من الإيمان لصبر على المصيبة، والصبر على المصيبة معناه التحمل والتحمل،
 وصبر النفس، ولسيطرة عليها، وعدم إظهار الجرع والهلوع، وذلك بتعيب باعث
 الدين في النفس، على باعث الشهوة والرعة العاجلة وقد ذكر الله تعالى الصبر
 في أكثر من سبعين موضعا في القرآن، ومدح الصابرين مدحا لم يجعله لغيرهم، فجمع
 لهم ثلاث حصال شاء الله تعالى عليهم، ورحمته، ووصفهم بالمهتدين، قال
 تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [النقرة ١٠٧]
 وما من قوة إلا وأحرها بتحديد ومقدار، إلا الصبر فقال ﷺ عنه ﴿يَسَّ يَوْكُ الصَّبْرُونَ
 أَتَرَفُم بِمَرِّ حَسْبٍ﴾ [الزمر ١٠]، ولا يتم الصبر إلا بمطابقة القلب للنس والأعمال،
 فلا يقع التجميل باللسان، والعمل مخالف، أو القلب جارح بما فيه، متطوع لشهوة
 المحرمة، وطاعة لشيطان، فإذا قال المصاب بلسانه إنا لله وإنا إليه راجعون، عليه
 أن يكون في قلبه تسليم لله بقضائه حقا، وعمله على مقتضى الصبر صدق، فلا يصدر
 منه لفظ عترض ولا لوم ولا استعجاب بماقص ذلك، فلا يقول مع الأسر حاح سم
 يا رب؟ ولا كيف حصل هذا لي؟ أو لم لا يحصل لغيري؟ أو لم أتوقع حصول ما
 حصل لي، ولا يصدر منه عمل مخالف، كلطم الخدود، وشن الحبوب، أو الإحلال
 بواجب فإن ذلك يتضمن الاعتراض على القدر المسمى للصبر

والصبر على لمصائب لا يقيد صاحبه إلا إذا تعجل به عند الصدمة الأولى، أول
 بروب لمصيبة، فمن صبر عندها رزق الهداية والرحمة، وشاء الله تبارك وتعالى
 عليه، قال ﷺ ﴿إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى﴾^(١) وصبر العاقل في أول لحظة،
 وصبر الأحمق بعد ثلاث، ولا مزية للصبر بعد ثلاث فكل الناس بعده يصبر ويحرج
 عن مقام الصابرين من أظهر الكدة والحرص غير المتعاد في مسر، أو فراش،
 أو مطعم، أو أهل عملا أو نكاحا، أو غير ذلك من كل ما هو داخل تحت احتيظه،

(١) البخاري حديث رقم ١٢٨٣

من أجل المصيبة، لأن المفقود عارية من الله ردت إليه، فلا يستدعي إظهار الحزن والكآبة

والقدوة في ذلك ما صنعته الصحابة الجلييلة أم سليم روح أبي طلحة رضي الله عنه، حيث أحضت عن أبي طلحة موت ابنه وتهيأت له كعادتها في فراشه، وأحسرتة في الصباح بالمصائب، ولشأنها العظيم في ذلك بارك الله لهما في نيتهم، ففرقهما الله من حينها ذلك سعة من الولد، كلهم قرءوا القرآن وحملوا العلم والنصر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره، ولا يخرج عن حد الصبر توجع القلب ودمع العين^(١)

الصبر ثلاثة أنواع

صبر على لمصائب بالتجلد وعدم الجزع والتسخط على القضاء، وصبر على الطاعات بالمدومة عليها والإتيان بها على أكمل وجه، إساءة ودوام واستياء كما تقدم، وصبر عن المعاصي والحرام يكف النفس عنه، وكلها من الإيمان

الابتلاء بالنعم أشد من الابتلاء بالنقم

من الإيمان صبر ذي النعمة على العافية بأداء ما يجب عليه فيها، وهو أشد من الصبر على البلاء، فإن الاطمئنان إلى النعم والخلذات مع صحة البدن ووفرة المال والجاه، وتوسع الرزق، وكثرة الأتباع سبيل إلى الظلم والبطر والطغيان، قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ لِلنَّاسِ لِظُفْرٍ ۖ ثُمَّ رَوَّاهُ أَتَمَّ﴾ [العلق ٦، ٧]، وحذر الله تعالى أهل السعة أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، قال تعالى ﴿تَأْتِيهَا الْيُسُوفُ فَلَا تُغْنِي عَنْهُمْ كَثْرَتُهُمْ وَلَا أَمْوَالُهُمْ وَلَا بَنُوهُمْ وَلَا بَنَاتُهُمْ لَاحْشَرُونَ﴾ [الماقون ٩]، ويقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أسيد مع رسول الله ﷺ «بالضراء فصبونا، ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر»^(٢)

والاسلاء بالنعم يأتي من جهة الاطمئنان إلى الدنيا والركون إليها، والاسرسل في الفرح بها، ولحرص عليها، وقد حذر الله تعالى من ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

(١) انظر إحياء علوم الدين ٢/٤

(٢) سنن الترمذي حديث رقم ٢٤٦٤، وقال حديث حسن

لِقَدَّ مَا وَرَّعُوا بِطُحْيُونِ الدُّنْيَا وَالطَّمَانُونِ بِهَا وَاللَّيْلِ هُمْ عَنِ مَا بَيْنَنَا عَمِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ لَسَارٍ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس ٨، ٧]

ويأتي أبص من حجة سيان أن ما أعطيه الإنسان منها من متاع وولد ونعم هو
عارية، قد يُسله ويقنه في أي لحظة شاء الله تعالى ذلك، ومع نسيان هذه الحقيقة
يهرع الإنسان أشد الجوع إذا مسه الضر، ويتصور وقوع المصيبة كأنه اعتداء عليه،
لا قدر يجب التسليم له، يعقل المتسخط عن أن أصل النعمة هبة أعطيت له بعد أن
كان لا شيء عنده، كما يعقل عن الحقوق الواجبة عليه إراءها، كاشكر والذكر
والرركة والصدقة، والمجدة، والمعروف، وإعانة الملهوف بالمال واليد والنسب،
وهذا هو السر في أن الاستلاء بالنعم أشد من الاستلاء بالنقم، لما تسعم من حقوق
وتعبد، ولأن الضر على الجوع عند فقد الطعام أحف من الضر عليه عند حصوره،
ومن العصمة ألا تجدد.

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

حماية التوحيد

سد ذرائع الانحراف في العقيدة:

أقدم للإسلام أول ما أقام في نفوس المسلمين التوحيد، وأركان الإيمان، فلما استقر ذلك واكتمل شرع من الأحكام ما يحمي التوحيد والإيمان، ويحققه على أكمل وجه، وذلك بسد أبواب نواقضه ومفاسده التي تؤدي إلى الشرك وعدده غير الله وبذلك أكمل الله تعالى الدين، وأتم على عباده العمة، فلم تترك الشريعة باباً من الفصول يرسخ للتوحيد، وتقوي الإيمان إلا فصحه، ودعّب إليه ورعب فيه، ولم تترك باباً من محرمات والمعاصي يحل بالتوحيد وينقص عرى الإيمان، أو يذهب به إلا سدته، وحذرت منه أعظم تحذير، بأنهي النصريح، أو بصرب الأمثلة وأحد العبرة من الأسماء، فمن حرقوا عن طريق الحق، وما آل إليه حالهم من الكفر والعصيان، وما برل بهم من العذاب، في سدعات ظنوها في نادى أمرهم عذاب وطاعة تقرب إلى الله تعالى.

وفيما يلي التيه على أهم التطبيقات العملية السلوكية، التي شرعت لحماية الإيمان والتوحيد في عميلة المسلم

إخلاص العمل لله ومراتبه:

إخلاص العمل لله معناه: ألا يقصد به غيره. وقصد غيره بالعمل معناه الرياء، والرياء لا يقبل الله تعالى معه عمل، فإن الله ﷻ يقول للمرائين «اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءَوْنَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَعْبُدُونَ عَنْدهُمْ جَزَاءً»^(١) فمن كان عمله لله وإدار

(١) مستد أحمد حديث رقم ٢٣١١٩

الأجرة، كان سعيه مشكوراً، وأجره موفوراً، وعمله مقبولاً، ومن كان عمله لحظ نفسه وريته الدنيـة وإرضاء العباد، عجل الله تعالى له من الدنيا ما كسبه له منها، وليس له في الأجرة من نصيب قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدْ لِحَبِوةٍ لَدُنِّيَ وَرَيْبَهاَ يَوْفَ إِلَهِهِمْ أَعْتَمَهُمْ بِهاَ وَهُوَ بِهاَ لَا يَحْصُونَ﴾ (١٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَهْزٌ وَحَسَظَ ما صَنَعُوا فِيهاَ وَبَطُلَ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود ١٥، ١٦]، وقال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ آفَاةً سَافَاةً لَمْ يَهاَ ما نَشَأْ لَيسَ يُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْناَ لَهاَ جَهَنَّمَ يَصْفاهاَ مَدْمُوماً مَدْحُوراً﴾ (١٧) وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسعىَ ما سَعىهاَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَما سَعىهِمْ مَشْكوراً﴾ [الاسراء ١٨، ١٩]، وقد تعالى ﴿مَنْ كَما يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْناَ لَهاَ فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَما يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهاَ مِنهاَ وَمَا لَهاَ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى ٢٠]، وليس على النفس شيء أشد من الإحلاص؛ لأنه ليس لها منه نصيب، وكان بعضهم يقول كم أحتهد في إسقاط الرياء عن نفسي، وكأنه سب فيه على لون آخر (١)

وكان من دعاء مطرّف بن عبد الله. اللهم إني أستعفرك مما تبت إليك منه، ثم عدت فيه، وأستعفرك مما جعلته لك عن نفسي، ثم لم أوف به لك، وأستعفرك مما رعمت أني أردت به وحبك، فخالط قلبي منه ما قد علمت (٢)

وأكمل العمل ما قصد به وجه الله ابتداءً ودواماً، ولم يحصل منه لنفس حظ في الدنيا أصلاً، من شهرة، أو مال، أو ذكر حسن، لا ابتداءً ولا انتهاء، وهي المرتبة الأولى في الإحلاص، مرتبة من أنفق حتى لا تعلم شماته ما تنفق بميمه، فبع من الإحلاص عذبه، ولم يرح من غير الله شيئاً

ويحقق هذه المرتبة من كان عمله له حائلاً، ثم اتقى الله به البدء الحسن في قلوب الناس، ففرح بفصل الله ورحمته واستشعر، دون أن يعبر ذلك عنه وإحلاصه لله، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه قال قيل لرسول الله ﷺ «أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْحَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» (٣)، وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال. يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يَعْمَلُ

(١) جامع ملوك و حكمه من ٢٤

(٢) جامع ملوك و حكمه من ٢٤

(٣) مسند حديث رقم ٢٦٤٢

الْعَمَلُ قَبِيرُهُ فَإِذَا أَطْلَعَ عَلَيْهِ أَضَجَبَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُ أَجْرَانِ، أَجْرُ السِّرِّ وَأَخْرُ الْعَلَانِيَةِ^(١)

المرتبة الثانية أن يكون أصل العمل لله، ثم تطرأ على صاحبه بية الردء والإعجاب بالنفس، فإن كان مجرد حاطر ودفعه عن نفسه، فلا يضره، ولا يفسد العمل، تصدق، وإن استرسل معه فيحتاج إلى تجديد بية إن كان العمل لا ترتبط صحة أوله بأخيره، كالقرعة والذكر، وإشفاق الحال وتعليم العلم، فإن لم يجدد بيه لله كان العمل الطارئ باطلاً

أما العمل الذي ترتبط صحة أخره بأوله، كالصلاة والحج، فقيل: طرق الرياء أثناءه يفسده، لدخول الرياء عليه، وقيل: لا يفسده، عملاً بأصل البية الصحيحة، ويدل على عدم الفساد ما رواه أبو داود في المراسيل عن عطاء الحراسبي أن رجلاً قال يا رسول الله، إن بنى سلعة كلهم يقاتل، فمنهم من يقاتل لندبنا، ومنهم من يقاتل بحدّة، ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله، فأبهم الشهيد، قال: كنههم، إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا^(٢)

المرتبة الثالثة أن يكون الناعث على العمل وجه الله وحمد الناس، بأن يريد صاحبه الدار الآخرة وعرض الدنيا، فهذا من العمل الناطل، حرج السنائي من حدث أبي أمامة رضي الله عنه قال: «حَاةٌ رَحُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَهُ؟» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا شَيْءَ لَهُ، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا شَيْءَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتَنِيَ بِهِ وَخُفَّهُ^(٣)

التحذير من الغلو

مما حمى به الإسلام التوحيد، أنه حذر من الغلو والإفراط في كل ما يعتقد أن مودته من الإيمان، ومحنته من الدين، كالغلو في الأسياء والأولياء والشيوخ، والعبو في الكرامات وحمل لكل شيء ميراثاً، إذا طعنى وجاوز حده تحول إلى صده، فأوجب

(١) سنن أبي داود حديث رقم ٢٣٨٤

(٢) جامع حلوه وحكمه من ٢٣

(٣) سنن أبي داود حديث رقم ٣١٤٠

محبة الأنبياء والصالحين والتصديق بكراماتهم، وجعل محبتهم من الإيمان، لأن من أحبهم أحب الله تعالى وأحب طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، ولكن محبتهم ليست هي العبودية، فمحبتهم طاعة، والعلو فيهم معصية، والفرق بين المحبة والعبودية يلتبس على الجاهل والعافل، لكن لا يلتبس على العالم، والمؤمن الميقظ

والعلو فيهم مجاورة الحد في مدحهم وإطرائهم، ونسبة أمور إليهم هي من خصائص النبوية، ولم يجعلها الله لأحد من خلقه. والمعالي لا يقف به العبود عند حد، بل يبدأ علوه صغيراً، ثم يتدرج به حتى يجعله يعتقد ما ثم يشرعه الله تعالى، فقد على المصاري في عيسى عليه السلام، واستثنى بهم الأمر إلى أن جعده رباً، قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ نَجُفٍ لَا تَكُنْ لَآ تَمْلِكُوا فِي بَيْتِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ [النساء ١٧١]، وقال ﷺ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُنْمْ وَالْعُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ تَبْلُكُمُ الْعُلُوُّ فِي الدِّينِ»^(١)

التحذير من الغلو في رسول الله ﷺ

مما جاء في كلام وفد بني عامر حين قدموا على رسول الله ﷺ «فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «الْيَدُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -» قُلْنَا وَأَنْضَلْنَا قَضَاً وَأَعْظَمْنَا طَوْلًا، فَقَالَ «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَغْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَنْجِرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»^(٢). نهاهم عن المبالغة في المدح، وقد لهم تكلموا بما يحصركم من القول، ولا تتكفوا، كأنكم وكلاء للشيطان، تنطقون على لسانه وقال ﷺ «لَا تُظَرُونِي كَمَا أَظَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٣)، وفي المسند عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال لمسي ﷺ «يَا مُحَمَّدُ يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، وَلَا يَنْهَوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي قَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ ﷻ»^(٤)

فليس من محبة رسول الله ﷺ وتوقيره المبالغة في إطرائه بما لا يحب، أو طلب

(١) ابن ماجة حديث رقم ٣٠٢٩

(٢) أبو داود حديث رقم ٨٨٠٦

(٣) البخاري حديث رقم ٣٤٤٥

(٤) مسند أحمد حديث رقم ١٢١٤١ مسنده صحيح ورجاه ثقات

شيء منه هو من حصائص النبوية، بل ذلك مما يعصب الله ﷻ ورسوله ﷺ

الغلو في الأولياء وتعارضه مع التوحيد

على لسان في الأولياء، وفي الخوف منهم، حتى اعتقدوا أنهم يحرقون من قودهم، ويحصرون مع أهل (الحصرة) في الأصرحة، وأن لهم تصرف ومقامات، يفعلون من سمى إليهم، ويصرون من يعترض عليهم، حتى صاروا يحشونهم ولا يحشون الله تعالى، ويهوبهم ولا يرهون الله تعالى، ويقدمون لهم الدور، ويطسبون منهم الحاجات، ويعتقدون فيهم النفع والنصر ويحشونهم بحبب الواحد منهم بالله كادبا، ولا يخشون سطوته وانتقامه، ولا يحببوا لولي كادبا، خوف من أن يكسر الولي ظهره، أو يحل له داره، أو يفقده ولده، أو يصيبه بداء لا يقوم منه

وقد أذت المصالحات في تعظيم الأولياء إلى أن صارت مكانة الأولياء في قلوب العامة عند برون المكروه أقرب إليهم من الناري ﷻ، فإذا ما مس الواحد منهم صر فرح إلى الولي بالسر والاستعانة، (يا سيدي فلان)، دون شعور ولا تردد، فطر كيف لعب المصلحة في التعظيم فعلها في العقلة عن الحي القيوم

والذين يندرون للولي ويستعيثون به، ويبادونه لتخريج الكروب، وتحبب المصائب ورفع الشدائد، قد قيل لهم إنه لا يُرْحَى غير الله تعالى، فهو وحده الذي سمع ويضمر، وأن السر والدعاء عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله، وافقوا على ذلك، وقالوا: هو له، والولي واسطة لا ينفع ولا يصير، لكنه أقرب منا إلى الله، وله دلالة على مولاه، لذا نتقرب به إلى الله، فإن نعدنا عن الله تعالى ومعاصينا تحجسا عن إجابة الدعاء

لو سمعنا أن هذا هو حالهم حقيقة، وأنهم لا يقصدون مع الله غيره، مع أن أكثرهم لا يسم من اعتقد أن للولي تأثيرا وتصرفا، خصوصا عندما ينادي الولي ويستعيث باسمه عند برون المكروه، فإنه لو لم يعتقد له فعلا لما ناداه، لأن بداء من لا يقدر على دفع الضرر عند برون الضرر عث، لا يصدر من عاقل، تدليل أنك لا تجد أحدا يستعيث باسمه، أو ينادي عند الشدة ظالما، لجرمه بعدم مع الماسق والظالم

أقول: حتى لو سلموا من هذا الاعتقاد على نعد السلامة منه، فإن ما يعنونه يؤدي

إلى مفاسد، وهي أنه مخالف لما ظله المولى ﷺ من عبادته، فإنه سبحانه لم يطلب
 ما أن يتوسط بأحد إذا اتجهنا إليه لسمع دعاءنا، أو يرفع صرنا، بل قال سبحانه
 ﴿وَإِذْ سَأَلْتُ عِيسَى عَنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [مائدة ٦٥] ودعاء
 الأسياء في لقون ربنا، ربنا، بدون واسطة، وقد أمرنا ربنا بالاقداء بهم ﴿فَتَهْدِيهِمْ
 أَفْقَدُ﴾ [الأنعام ٩٠] وبين لما المولى ﷺ أن الاستعانة لا تكون إلا به وحده
 لا بغيره، فعلمنا في فاتحة الكتاب التي يكررها كل يوم في صلاتنا ﴿يَا كَ نَعُوذُ
 وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة ٥]، أي لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، وإلى ذلك
 أبيض أرشدنا ووجهها رسول الله ﷺ «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ
 بِاللَّهِ»^(١)، فما لنا نتكبر عن هدي الله تعالى وهدي رسوله ﷺ إنني تحرصت
 ليس عليها أثارة من علم!

شعب كتب المناقب والكرامات عند المتأخرين، كمجمع الأسرار في مناقب
 محمد بن عيسى، ومختصر الرموز في مناقب عبد السلام، بحرايات وادعاءات
 لا أول لها ولا آخر، نسوها إلى بعض الأولياء، زورا وبهتانا من غير تمحيص
 ولا تحقيق عمي، ولا عرض على الشريعة، وفيها ما هو كفر صريح، بشره عني
 العامة الذين يدعون حب الأولياء، ليرداد التعلق بهذه الكرامات، ومن سمت لها
 سبب أو دعوى وفائدة ذلك عند الذين يعيشون على هذا الأمر، النوصول إلى أموال
 الناس ولهيمة عندهم باسم بركة الولي القلاسي، وكرامات الولي القلاسي، وأدى ذلك
 إلى أن صدرت الالسة تلجح بتمجيدهم وتعظيمهم، وبالعوا في أمرهم، حتى نسوا
 إليهم أن من لم يعتقد فيهم، ويُسَلَّم لهم فيما قالوه من حق وباطل، يسلب منه الإيمان،
 ويموت عني لكفر، أو تُحَلَّى داره، ويرؤون في ذلك حكايات، وقعت لفلان، وفلان
 من الناس، سُلب من أحدهم الإيمان لا اعتراضه على الشيخ بظاهر الشرع، إلى أن جاء
 تائب ويريدون بذلك أنه يجب التسليم بكل ما يسبوه إلى الولي، سواء كان ما يسبوه
 إليه مشروع بحدوث قوله، أو كان منكرا من القول وروءا، فلأنه من التسليم، وإلا جاء
 المدير وهذه لحكايات هي من كيد إبليس وجوده، لأن الاستسلام إليها وبشره
 يؤدي إلى إبطال الشرع، يصنعها المتعبدون على أبواب الأصرحة من الحداث

(١) الترمذي حديث رقم ٢٥١٦ - ٥ - حسن صحيح

والأشاع، الذين صاروا من أثرياء الناس، دون كسب ولا صفة
 يروي الشرعي أن شخصاً أنكر حضور مولد الشيخ أحمد الندوي، فسُب
 الإيمان، فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام، فاستعاث بالشيخ، فقل بشرط أن
 لا تعود، فقال: نعم، فرد إليه إيمانه^(١)

هذا الكلام وشبهه وأشد منه كثيراً، مسوب إلى عبد السلام الأسمر، ومحمد بن
 عيسى، وغيرهما من الأولياء وكل مسلم يعرف قدر الأولياء، ومربئهم عبد ربهم،
 لا يردد قطعاً في أن كل ولي لله تعالى بريء منه، لأنه يستحيل على ولي من أولياء
 الله تعالى محبة لله ورسوله وللمؤمنين، أن تكون كراماته سبب الإيمان عن
 المؤمنين وإحراجهم من الدين، ومحبة أن يموتوا على الكفر، أو محبة إخلاء ديارهم،
 أو إهلاك در ربهم وأموالهم، فإن هذا من الفساد في الأرض، الذي لا يصح لأولياء
 الرحمن، ولا يصلح إلا لأولياء الشيطان، وقطاع الطرق

ومن سب إلى أولياء الله تعالى هذه الكرامات، فقد ظلمهم وأعدى عليهم،
 ونقص قدرهم، واتهمهم بالتعاون مع الشيطان، في إحراج الناس من النور إلى
 الظلمات، ومن إيمان إلى الكفر ﴿اللَّهُ وَبِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَيُؤَيِّدُ كَفَرًا أَوْلِيَاءَهُمْ الْقُلُوبُتُ خُفْيُوهُمْ مِّنَ النَّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة ٢٥٧]

ومن سب إلى أولياء الله هذا الظلم لا يكون من أوليائهم، ولا من محبيهم،
 ولا من مريديهم، ولا من أشاعهم، وإن رعم ذلك، بل حليق به أن يكون من أعدائهم
 ومعصيهم؛ لأنه نسب لهم فعل ما لا يجوز شرعاً، وما هو كبيرة من المعاصي، إن سم
 يكن كفراً وقد ذكر العلماء في باب الردة إن من قال لغيره إمانه الله كفراً، وكان
 قاصداً لذلك، فإنه يكفر، لأن الرضا بالكفر كفر، وإن قصد مجرد التعيط، فهي كفره
 خلاف^(٢)

فكون سبة مثل هذه الكرامات إلى الأولياء من الشرور، والباطل الذي لا يرصده
 الله تعالى لأوليائه، ومن نسب لهم ذلك فقد عاداهم، وقد توعد الله تعالى في
 الحديث لقنسي أن من عادى لي ولياً فقد نازره بالحرب

(١) طبقات كبرى ص ١٦٢

(٢) انظر المحرشي مع حاشية العلوي ٦٥/٨

فمثلا في مختصر الترمذي المشار إليه انما من القصائد والكلمات المسبوبة إلى عبد السلام الأسمر أو غيره من الأولياء، لو كانوا أحياء، وهم على ما يُظنّ بهم من الولاية ولعلم ما رصوا بسنتها إليهم، ولأوجعوا قائلها ومروح نشرها وتوزيعها نكالا وتأديبا، بل لأقامو عليه حد الردقة، لما في بعضها من نشر العدو المعرط في تقديس الذات، ومشاركة الله تعالى فيما علم يقينا اختصاصه به من العلم والقدرة مما يوجب اعتقده لغير الله تعالى الردّة واستتابة قائله، كالصعود إلى السماء، وإلى الرب تعالى كما يأتي في الكلام المنسوب إليه

قال حليل المالكي في باب الردّة، وهو يعدّد ما يكون به المسلم كافرا «كإلقاء مصحف في قدر أو ادّعى أنه يصعد إلى السماء، أو يعانق الحور»، وفي الشفاء لنفاصي عياض «وكذلك من ادّعى مجالسة الله والعروج إليه، ومكالمته، يعني أنه كافر بإجماع المسلمين»^(١)

فهل يصدق عاقل أن وليّا من أولياء الله تعالى يقول للناس في قصائده التي يطلب منهم أن يردّوها ويتعدّوها بها، يقول لهم فيها إنه صعد إلى العرش وسدرة المستهي، وأنه صعد إلى الرب تعالى^(٢)، وأن رب العرة تجبى له، وأنه يعلم ما في السماء وما تحت الأرض، وما في الملوح، وما كان وما سيكون، وما هو مشيت في الموح ومسوح^(٣)، وأنه يعلم ما في الكون والملكوت، وأنه يُبْري ويصر، وأحيي الله الموتى على يده^(٤)، وأن الشرق والعرب والعرب والعجم في قبضته^(٥)، وأنه يحصر لأتباعه عند لرع، فيقودون بحسن الحاتمة

وأن له في لجنة النار أمرا وبهاء، وأن له علوما لا يقاد لها^(٦)

كل واحدة من هذه الدواهي توجب الردّة والكفر لمن نسبها إلى غير الله تعالى،

فكيف إذا اجتمع

(١) مواهب النحل ٦ ٢٨٠

(٢) مختصر كتاب روضة الأبرار لمحبوب ١٠٣ والأصل (روضة الأبرار) لترمذي عن مطبوع

(٣) انمصدر السدس

(٤) انمصدر السدس

(٥) انمصدر السدس

(٦) مختصر الترمذي ص ٩٩

أليس هذا من الدسائس في الدين على الأولياء والصالحين؟ ألا ينبغي الله ﷻ من يردّد مثل هذه لقصائد والحكايات، ويقتنى الكتب التي اشتملت عليها، ويشربها ويبيعها ويظن أنه يتعبد بها، وهو يجعل لله ندا؟

ألا ينبغي له من يجلس إلى هذه الحكايات والقصائد، أو يسمع من يردّد، ولا يكر عليه ويحذر؟ إن التأليف المشتملة على مثل هذا الكلام، حتى لو صحت نسبتها إلى أصحابها، لا يجوز شرعا تداولها، ولا قراءتها ولا بيعها، ولا يقتدى بأهلها فيها باتفاق الأمة، لما تؤدي إليه من الفساد في الدين

وبعض هذه الكتب اشتملت مع ما فيها من الباطل على كلام من الحق، كالأمر بدفع النكر والسنة، والافتداء بهدي النبي ﷺ، والتوصية بالأدكار المشروعة، والأوراد القلبية

وهي بذلك تكون أخطر على الناس من الكتب التي تجرد لباطل وتمحّصت لفساد، لأن هذا يعظم الاعتزاز بها، والركون إليها، لما اشتملت عليه من الحق، وذلك لعدم تردّد الناس في مساوئ ما كان باطلا صرفا، ليس فيه وجه حق، ولريف المحض سرعان ما يصحّح، بخلاف المختلط بالحق، فإن له ثباتا لما يصحّح من تبسّس حتى ينفي عنه أهل الحق انتحال المظللين، وجهل العالين

تخويف الناس بالكرامات وإفساد العقائد

الناس بحاجة إلى تعلّم التوحيد تطبيقا وعملا، لا تعلّمه مجرد دروس نظرية محسب، تجذ الواحد حتى من المدارس في التخصصات الأدبية يدرس مادة (التوحيد) في كنهه المشتملة على ما يجب الإيمان به، وما يجب لله تعالى من التوحيد، وإعراجه بالتأثير والقدرة المطلقة، والإرادة المطلقة، والعدم الذي لا يشركه فيه أحد وليس له حد، يدرس كل ذلك وغيره من صفات التباري وكمالاته

ولكنه في الجانب العملي التطبيقي في حياته يساق مع معتقدات العامة، بحواف الأموات ولأصراحة، ويسبب إليهم من الأفعال والأقوال والعييب والتأثيرات مما يسميه كرامات ما يتنافى مع ما تعلمه في معاهد العلم، ومع ما يساق مع إيمانه، فيتطير ويشاءم، ويحاف الصر والنقع من غير الله تعالى، ويحسب ألف حسب لكنة من مدح لمبركة في عقله حلل، تزيّا يرى المجاديب وأهمل نفسه، ولو أراد هذا الأخير أن

يسب منه ماله لسلته ولا يقدر أن يمنع، خوف أن يصيبه منه ضرر، فسوى من تعبد
ومن جهل، وصار المتعلم سلوكه حجة للجاهل يستند عليها ليقيم على جهده،
ولا يسمع من أحد نصحا ولا تعليما

الحلف بغير الله

مما شرع لحماية التوحيد الحلف تعظيماً للمخلوق به، والحلف إما بحلف
بأعظم شيء يعتقد، ولما كان الله ﷻ أعظم شيء عند المؤمن، كان حنقه المشروع
إما هو بالله أو بصفة من صفاته، ولا يجوز له الحلف بغير الله، لأنه لا شيء غير
الله يعظم تعظيمه. ومن حلف بشيء غير ربه فكأنه عظمه تعظيمه، فسب مع الحلف
بغير الله تعالى الخوف من أن يعظم المخلوق تعظيم الحالف، فكيف إذا لم يجرؤ
على أن يحلف بالله كاذباً، ولا يخشى انتقامه؟ ولا يحلف كاذباً بأحد الأموات ممن
يعتقد فيهم لصلاح خوف أن يحل له داره، ويعاجله بالعقوبة، نشر الجهل بمقام الله
العظيم، سبحانه الله!! لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله

ومن فعل ذلك جاهلاً بمقام ربه، غير متعمد لتعظيم غيره عليه، فإنه يؤدب تأديب
سبعا، أما من قصد ذلك فجعل منزلة العبد فوق منزلة الرب فقد حرج عن الإسلام،
ففي الصحيح من حديث عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «أَلَا، إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ
تُحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ»^(١)، وفي رواية «أَلَا
مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٢) وفي حديث عبد الرحمن بن سمره، قال قال
رسول الله ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوْأخِي، وَلَا بِآبَائِكُمْ»^(٣)، وفي حديث أبي هريرة،
قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ»^(٤)، وثلاث اسم صمم كانوا يعدونه في الجاهلية

وبذلك ينعم التحذير مما يجري على ألسنة الناس دون أن يقصدوه من الحلف بما
ظاهره الخروج عن الملة، كيهو يهودي، أو نصراني، أو بريء من الإسلام، أو من

(١) سنن أبي داود حديث رقم ٦١٠٨

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ٣٨٣٦

(٣) مسلم حديث رقم ١٦٤٨

(٤) سنن أبي داود حديث رقم ٤٨٦٠

الفرق، ومن قد دلت وحش لا يرتد إن قصد باليمين مجرد الامتناع عن شيء، ومن يقصد الإحذر عن نفسه، فإن أحذر بذلك عن نفسه في غير يمين، وقال هو يهودي فهو ردة، ولو كان هارلاً أو حاهلاً^(١)، قال رحمته «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا»^(٢) وقوله فهو كما قال، قال المنذري. ليس على إطلاقه في نسبته إلى الكفر، بل المراد أنه كذب ككذب لمعظم لملك الجهة، ولا يكون كافراً إلا إن أصغر ذلك في نفسه، وهو قول ابن عباس وأبي هريرة وعطاء وقتادة، وجمهور الفقهاء، وقوله «من يرجع إلى الإسلام سالماً»، أنه لن ينجو من الإثم ولو برّ فيه، لما في هذا الحذف من الاستحسان ولا مبالاة

أما قسم له تعالى بمخلوقاته، كما في قوله تعالى ﴿وَأَيْلَهُ يَرْجِعُ﴾ [البقرة ١٠٨]، ﴿وَلَهُ يَرْجِعُ﴾ [البقرة ١٠٨]، وقوله تعالى ﴿لَعَنَ اللَّهُ الْفَكَّارَ﴾ [البقرة ١٠٨]، وهو مما لا يقسم عليه، لأن الله تعالى أن يقسم بما يشاء من الأمور التي تدل على قدرته وعظمته، وليس ذلك لعير الله، ومن العلماء من يرى أن في هذه الآيات حدوداً تقديراً ورب الصبح، ورب الليل... الخ

وأما قول النبي ﷺ «أفلق وأبيه إن صدق»، الذي ظاهره الحذف بلفظ الأب، فالحواس عليه أن لفظة (وأبيه) غير محفوظة في الحديث عن صحيحه، كما قال الحافظ من عبد البر، فقد روى الحديث مالك وغيره من الحفاظ بدونها، وسهم من رواه بلفظ «أفلق والله إن صدق»، وهذا أولى من رواية من روى (وأبيه)، لأنها لفظة مسكرة، تردها لأثار الصحاح، وعلى فرض صحة ثبوت هذه اللفظة، فهي مسبوحة لنهي النبي ﷺ عمر عن الحلف بها في الحديث المتقدم^(٣)، ولم يرد بعد النهي بإسحة، وللدلت قد عمر وهو يروي الحديث بعد موت النبي ﷺ «فَمَا حَلَفْتُ بِهَا فَاتَّكِرًا وَلَا أَتَّكِرًا»^(٤)

(١) انظر اشرح الكبير ٢٨/٢

(٢) صحيح أبي داود حديث رقم ٢٧٩٣

(٣) انظر التمهيد ٣٦٧/١٤ و ١٥٨/١٦ والمعين ١٧٨/٨

(٤) انعماري حديث رقم ٢٦٤٧، (ذاكراً) أي من نفسي، (أتَّكِرًا) أي ما أفلا عن غيري بأن أقول فل فلان وأبي

نسبة الاختراع والإبداع لغير الله

الإبداع ولاختراع معناه الإشاء والخلق على غير مثال سابق، فإنه سبحانه وتعالى هو الخالق المبدع قال تعالى ﴿أَمَّن يَدْعُوا لِلَّهِ لَمَّا يُدْعُونَ﴾ [النمل ٦٤]، وقال تعالى ﴿يَبْعَثُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الفرقة ١١٧]، ولا يجوز إطلاق هذا اللفظ بهذا المعنى على غير الخلق سبحانه ، فلا يقال . فلان مدع، ولا فلان مخترع على معنى نسبة الفعل والتأثير له على الحقيقة ففي حديث ريد بن خالد الجهني قال «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ - هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - قَالَ - أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ - مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فُذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ - يَتَوَهَّ كَذَا وَكَذَا فُذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»^(١)

ترجم القرطبي في (المفهم) لهذا الحديث . (باب نسبة الإحراق لغير الله حقيقة كسر)^(٢)، وذلك يعني أن من اعتقد أن خلق الأشياء أو إبداعها من فعل غير الله حقيقة، أو اعتقد أن المطر من فعل الكواكب، كان بذلك كافرا، أم من اعتقد أن الله تعالى هو لخلق والمدع على الحقيقة، وهو الصواب لمطر على الحقيقة، ولكنه تكلم بذلك دون أن يقصد أن لغير الله تأثيرا، كما يشيع الآن على ألسنة كثير من الكذابين في الصحف والمقالات والإذاعات دون وعي ولا إدراك، متأثرين في ذلك بغير المسلمين، أو ممن يتسبون إلى الإسلام اسما فهو محطى من جهنم من جهة محالمة لشريع الذي حذر من إحراء هذا اللفظ على الناس، ومن جهة تشبهه بمقولة أهل الكفر الذين أمرنا بمخالفتهم قال ﷺ «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ»^(٣)، وقال ﷺ «خَالِفُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى»^(٤)

ولا بدخل في المهي الإحراق عما يتوقع حدوثه ساء على الأسباب لبي يبيحها العلم، أو تعرف من التجارب، كأن يستدل باتجاه الرياح أو انحنائها على توقع

(١) البخاري حديث رقم ٨٤٦

(٢) المفهم ٢٥٨/١

(٣) البخاري حديث رقم ٥٨٩٢

(٤) سنن أبي داود حديث رقم ٦٥٢

بروب المطر، أو مرودة الجو، أو حرارته، إلى غير ذلك، وقد روي: «إذا شأت بحرية ثم تشأمت فتلك عين غُذِيقَة»^(١)

تسمية المخلوق بالرب والمولى والسيد

لفظ الرب والمولى والسيد معرّفان بالآلف واللام لا يطنن إلا عني لله تبارك وتعالى، فلا يجوز إطلاقه على المخلوق^(٢)، كأن يقال: فلان الرب ويجوز إطلاقه على المحبوبين مصافاً، في موضع الإحاز والتعريف والوصف، كما في حديث «أن تلد الأمة ربتها»^(٣)، وكما في قوله تعالى: حكاية عن يوسف ﷺ ﴿أَذْكُرِي عَسَدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف ٤٢]، وقوله ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف ٥٠]، لا في موضع الدعاء والبدء، فلا يقال للمخلوق يا ربّي

ويجوز استعمال لفظ الرب مصافاً إلى غير العقلاء كالجماد والحيوان، فيقال رب الدار، ورب الدابة، ومنه قوله ﷺ في حديث اللقطة: «دَعَّهَا، فَإِنْ مَعَهَا جِذَاءُهَا وَسِقَاءُهَا، تَرُدُّ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرِ، حَتَّى يَجِدَهَا رَبُّهَا»^(٤) ولا يجوز أن يحدث الإنسان بذلك عن نفسه، كأن يقول السيد لعسده اسق ربك، أو أطعم ربك، أو يقول المملوك لسيده ربّي، أو ربتي، ولا أن يقول السيد عسدي وأمي، بل يقول المملوك سيدي ومولاي، ويقول السيد فتاي وفتاتي، وعلامي وحارسي، لأن حقيقة لعبودية لا تكون إلا لله تعالى، وحقيقة الربوبية لا يسحقها إلا الله، فلا تحوز المضاهاة، لما فيها من التشبه والتشريك، ولا فرق في ذلك بين بحر والعدس، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعَمَ رَبِّكَ، وَصَيَّ رَبِّكَ، اسقِ رَبِّكَ وَلَيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمْنِي وَلَيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَعَلَامِي»^(٥)

(١) عراه الهشبي إلى الطبراني في الأوسط، وقال تعريده النوادي ص ١٦٥ هشبي في نوادي كلامه ودد وثقه عمرو حد وبه وجاله لا بأس بهم، ودد وثقوا أقول بل نوادي مروء كما في تعريب نظر مجمع رواته ٢/ ٢٢٠ والمعجم ١/ ٢٦٠، وتعريب التهذيب ٦١٧٥

(٢) تفسير القرطبي ١/ ١٨٢

(٣) البخاري حديث رقم ٥٠

(٤) ٢٤٢٨

(٥) البخاري حديث رقم ٢٥٥٢

وفي رواية «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، كُلُّكُمْ عَبْدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ عُلَامِي وَحَارِثِي وَقَتَايَ وَقَتَايَ»^(١)، قال الخطابي سب المع أو الإنسان مرموب متعدد بحلاص التوحيد لله، وترك الإشراك معه، فكره له المصداقة في الاسم، لئلا يدخل في معنى الشرك^(٢)

واحذر القرطبي في المفهم أن المقصود من النهي الوارد في الأحاديث السابقة هو الإرشاد إلى حيدر أحسن الألفاظ في الاستعمال، واجتناب المشترك منها، حتى لا يقع المتكلم في الاحتمال، وهو إرشاد عنده وأدب من غير إيجاب ولا تحريم^(٣)

سب الدهر

الدهر: معناه الليل والنهار وتقلبهما، وتصريفهما، وسب الدهر كان عادة في أهل الجاهلية، وجرى مجراهم كثير من أهل العصر، كان أهل الجاهلية يسبون الأفعال إلى الدهر، فجرى على ألسنتهم من مثل قولهم تنأ للدهر، وقد فعل بي كذا، وفعلت بي الأيام كذا، تنأ للأيام، يا حية الدهر، فيذموه إن حصل لهم ما سوءهم، ويمدحوه إن حصل لهم ما يسرهم، وقد حرم الله ذلك ونهى عنه أشد النهي، ولدي سب الدهر إنما يسبه لاعتقاده أن له فعلا وتأثيرا، فهو في الحقيقة كالذي سب الله ﷻ، لأن الفاعل على الحقيقة هو الله تعالى، ولذلك جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «قَالَ اللَّهُ ﷻ يُؤَذِّنُنِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ يَا حَيَّةُ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا حَيَّةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ أَقْلَبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»^(٤)، وقال ﷺ «لَا تَسُبُوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»^(٥)

وليس لدهر من أسماء الله تعالى، فإن أسماءه توقيفية، وليس منها الدهر، ومعنى فربي أن لدهر أي أنا الذي أفعل ما يسووه إلى الدهر من التأثير، فإن الدهر ليل ونهار، وأن تقلبهما وأصرفهما

(١) مسلم حديث رقم ٢٢٤٩

(٢) فتح الباري ٥/٤٨٨

(٣) المفهم ٥/٥٥٥

(٤) مسلم حديث رقم ٢٤٩١

(٥) مسلم حديث رقم ٢٢٤٦

ومن سبب شيث من الأفعال إلى الدهر واعتقد تأثيره حقيقة كان كاهرا دون شئ، ومن جرى سبب الدهر على إسمائه دون أن يعتقد تأثيرا ولا حطر سببه أنه سبب الله تعالى، فليس بكافر، ولكنه تشبه بكلام أهل الكفر، وفعل ما بهي الله تعالى ورسوله عنه، فالواحب عليه التوبة والاستغفار، وأن يتعلم من أمور دينه ما يصححه معتقده وعمله

التألي على الله

التألي على الله معناه التحكم عليه بفعل شيء أو تركه، وهو لا يجوز، فإن الواجب الأدب مع الله ﷻ في الأقوال والأحوال، وعلى العبد أن يعامل نفسه بكامل العبودية، ويعطى للمولى قدره، وما يجب له من أحكام الربوبية، فلا يتألى على الله شيء، ولا يتحكم عليه بأنه يفعل كذا أو لا يفعل كذا، ظناً وتحرصاً فإنه ﷻ يحكم على عباده ولا يحكمون عليه ويقصى على الخلق ولا يقصون عليه شيء، وممن من الناس ولا يمتكون عليه، ويجبر على عباده ولا يجار عليه، قال تعالى ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِذُنُوبِكُمْ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿قَمَالًا لِّمَا بُرِيدَ﴾ [البروج: ١٦]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «أَنْ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَخْبَطْتُ عَمَلَكَ»^(١)

والمألى على الله على هذا النحو، إن كان مستحلاً لنفسه حتى التحكم على الله، غير معدود باعتد حاطي فهو كافر، ويكون إحباط عمله التوارد في الحديث، لأجل الكفر وأما إذا لم يكن مستحلاً لذلك، وإنما قال ما قال لما عذب عليه من الحواف من معصية الله، فحكم بنقاد الوعيد على العاصي فليس بكافر، ولكنه مرتكب كبيرة، ليأسه وقبوطه من معصية الله، وحمله بمقام الألوهية، فيحمل إحباط عمله على أن هذه الكبيرة التي قروها ذهب بأعماله الصالحة، ورجحت عنها، فكأنه لم ين له عمل صالح يعتد به^(٢)

أما إذا كان الحنف على الله على جهة حس الظن بالله، ممن يعظم الله ويحشده

(١) مسلم حديث رقم ٢٦٢٦

(٢) نظر فيهم كما أشكر من تلخيص كتاب مسلم ٦٠٧/٦

وينفيه، فدلث حائر، وقد وقع ذلك مع علم الله صدقهم وإخلاصهم من عباده المحسرين، وهو معنى قوله ﷺ «رُبَّ أَشْعَثَ، مَذْقُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ»^(١)، وقد قل أسس من النصر لرسول الله ﷺ عندما أراد القوم القصاص من الربيع «وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا تُكْسَرُ نِيَّتُهَا»^(٢)، فأمر الله قسمه، ورصي الطالوت بالدبة بعد أن كانوا يريدون القصاص، وكان الرءاء من مائلك من النصر أحو أسس أحد هؤلاء الدين لو أقسموا على الله لأبرههم، قال يوم حصص تُسر حين اشتد نقال أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقني سبيك، فأمر الله قسمه واستشهد^(٣)

التشريك في المشيئة والقدرة

مما حمى للإسلام به التوحيد أنه لا يجوز أن يُشرك مع الله غيره من المحبوبات في مشيئته أو قدرته، فلا يقال ما شاء الله وشاء فلان، ولو لا الله وفلان، وأن الله وبث، كل هذه اللفاظ ورد المهي عنها، لما فيها من تشريك غير الله معه في المشيئة والقدرة

والصواب أن يقال ما شاء الله ثم ما شاء فلان، ولو لا الله ثم فلان، وأن الله ثم بث، لما في لعطف دثم من تقديم مشيئة الله تعالى وقدرته على قدرة غيره ومشيئته، بخلاف العطف بالواو، فإنه مهي عنه، لأنه يقتضي التشريك، فقد حرج السائي أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال «إِنكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ . فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ»^(٤)

وروى ابن عباس عن النبي ﷺ «إِنَّا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ وَلَكِنْ يَقُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ»^(٥) وفي رواية «أَنْ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ

(١) مسند حديث رقم ٢٦٢٢

(٢) مسند حديث رقم ٢٧٠٣

(٣) انظر الترمذي ٦٩٢/٥، والإصابة ٢٨٢/١ والمعهود ١٠٠/١

(٤) السائي حديث رقم ٣٧٧٣

(٥) مس ابن ماجه حديث رقم ٢١١٧

وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَذْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَخَذَهُ^(١) وإدراك الشريث بنو العطف في قولهم (الولا الله وأنت) مهي عنه، فما سالت من لا يذكر الله أصلا ولا يخطر له على بال؟ فيقول لمن أسدي إليه معروفا: لولاك لما كن كذا، أو ليس لي غيرك! فكم في استعمالات الناس للألفاظ اليومية من جفوة ومجابهة للأدب في حق الباري ﷻ!

التوسل الجائز

التوسل والوسيلة له في اللغة معان، منها الرغبة في الأمر والتقرب بالعمل الصالح، كما في قول الله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَنْتَعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ لَوِيسِيَةً أُنْتُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء ٥٧]، أي يتساقون في القرب من ربهم بالأعمال الصالحة ويرعون في ذلك، ومن معانيه أيضا أن يتقرب المتوسل بحرمة أصرة تجعل المتوسل إليه يعطف على المتوسل

والتوسل لجائر هو التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح ليسجيب دعاء الداعي وهو حائر بالاتفاق، وله وجوه، منها تقديم الصدقة بين يدي الدعاء، ومنها الدعاء في السجود، لقول النبي ﷺ «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(٢)

ومنها التوسل إلى الله ﷻ بعمل سائق أحلص العبد فيه لربه، كما في حديث الثلاثة الذين أطيقت عليهم الصخرة في العار، فتوسل أحدهم بما كان عليه من بر والديه، فأراحهم الله، وتوسل الثاني بالعمة حين طأوعته أمة عمه عن نفسه، فأراحه الله بعد أن جلس منها مجلس الرجل من المرأة وقام، فأراحه فتيلا عما كادت عليه، وتوسل الثالث بتنمية الأمانة لصاحبها دون علمه، فراح الله عنهم^(٣) ومن التوسل لجائر في الدعاء التوسل بدعاء عبد مؤمن حاصر، أو يظهر العيب، لقول الله تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِذْ صَلَّوْكَ سَكَنَ لَهُمْ﴾ [التوبة ١٠٣]، أي ادع لهم عبد أحد الركعة، ومنه قول النبي ﷺ حين أتاه عبد الله من أبي أوفى بركته «اللَّهُمَّ صَلِّ

(١) مسند أحمد ١٨٤٢ وفتح لاري ١٤، ٢٤٧

(٢) مسند حديث رقم ٤٨٢

(٣) البخاري حديث رقم ٢٢٧٢

عَنْ آلِ أَبِي أُوَيْسٍ^(١)، وَلَمَّا حَاءَ فِي الصُّبْحِ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ رَحَلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ النِّمَنِ، يُقَالُ لَهُ أُونَسٌ، لَا يَدْعُ بِالنِّمَنِ غَيْرَ أُمِّ لَهْ قَدْ كَانَ بِهِ نِيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ فَأَنْعَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ اللَّيْتَارِ أَوْ اللَّزْهَمِ فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ فَلْيَتَفَرَّغْ لَكُمْ»^(٢).
وَتَوَسَّلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِدَعَاءِ الْعَاسِ عَمِ السَّيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَيْتِنَا فَتَنَقَّيْنَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَيْتِنَا فَاسْتَقْنَا، قَالَ: فَيَقُولُونَ»^(٣)
وَقَالَ السَّيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعُمَرَ: «لَا تَتَنَا يَا أَحْيَى مِنْ دُعَائِكَ»، قَالَ عُمَرُ: «فَقَالَ كَلِمَةً مَا يُرْتَنِي أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا»^(٤)

ومن التوسل الجائر أيضا بالاتفاق التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفته العلى، لقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ذُوبَ بِلْجُدُوكَ وَاسْمِيهِمْ سُبْحَانَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٨٠]، وفي الحديث عن أسس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَالِيًا وَرَحْلًا يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَتَانُ يَبِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٥)

«وَسَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحَلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٦)

التوسل المختلف فيه

من التوسل المختلف فيه التوسل بذات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجهه عند ربه، بأن يقول

(١) صحدي حديث رقم ١٤٩٨

(٢) مسلم حديث رقم ٢٥٤٢

(٣) صحدي حديث رقم ١٠١٠

(٤) سنن أبي داود حديث رقم ١٤٩٨

(٥) أبو داود حديث رقم ١٤٩٥

(٦) سريدي حديث رقم ٣٤٧٥

الداعي اللهم استجب لي بجاء نبيك محمد ﷺ، وهذه الصيغة في الدعاء لم تكن معهودة عند الصحابة، ولا التابعين، ولا متعارفا عليها بينهم. فمن العلماء من معها، وقد لو كانت حادثة لأرشد النبي ﷺ إليها أصحابه، وتقدموها بين يدي دعائهم، ولنفس إليها، لأنه لم يترك بابا للخير إلا ودلهم عليه، ولم يرد عنه ﷺ ما يحمل أن يبدل عليها إلا حديث واحد، وهو حديث الصريير، عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا ضريير البصر أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني قال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال فادع، قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجّهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي، اللهم فثقتك في^(١)

هذا الحديث، صححه أكثر الحفاظ، ومن العلماء من أعده، سدا ومسا، لعدة أمور؛ منها جهالة أحد رواة^(٢)، ولأن في قصته «وأن عثمان كان يحجب عن رعيته»، وعثمان رضي الله عنه لم يكن يحتجب عن الرعية، بل كان يجلس على المصططب بعزم الناس الوضوء، ومنها قول الرجل للنبي ﷺ عند أس حريمة والحاكم اللهم شفعه في شفعتي فيه^(٣)، وهذا خطأ ظاهر، إذ كيف يشفع الرجل في النبي ﷺ؟ إلا أن يكون المراد بالشفاعة سؤال الدعاء، بمعنى أن الرجل يدعو نبي ﷺ، ونسب رضي الله عنه يدعو للرجل ببرد بصره، فيصح الكلام، ولا يكون في الحديث حينئذ دلالة على المطلوب؛ لأن التوسل بدعاء الغير حائر بالاتفاق، وقد زوي عن الإمام أحمد في هذا النوع من التوسل بالنبي ﷺ خاصة قولان بالسمع والجوار، وقبل رواية الجوار عنه محمولة على لسؤل بالإيمان به ومحضته، لا بذاته، فلا تكون من محل الراعي^(٤)

التوسل المحظور

منع الشريعة التعليق بغير الله في كشف الضر وتفريج الكرب، وسعت اتحاد

(١) الترمذي حديث رقم ٣٥٧٨، وانظر تحفة الأحويدي ٢٥/١٠

(٢) وهو أبو جعفر، بل هو الحطمي، وهو قه وقيل هو نزي وهو صدوق سي، تحفظ نظر تحفه

الأحويدي ٢٤/١٠، وتقريب التذهب رقم ٨١٩

(٣) صحيح ابن حزيمة ٢/٢٢٥، والمستدرک ٤٥٨/١ تحقيق مصطفى عبد القادر

(٤) انظر فاعلة حذره في التوسل والتوسل من ٦٣، ٩٤

المساند وشفعاء من دون الله، قال تعالى ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ مَكِينًا لَا يَتِيمُونَ شَيْئًا وَلَا يَضِلُّونَ﴾ ﴿١٣٥﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَمْ تُدْرِكُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الرسم ٤٣، ٤٤]، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعَيِّ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لَمْ يَشَأْ وَيَرْضَى﴾ [التهم ٢٦] والشفاعة معها الطلب من الله عن طريق غيره، فصعهم القرآن من ذلك وأمرهم أن يطلبوا الشفاعة ممن يملك الأمر كله ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الرسم ٤٤]، وبين لهم أن شفاعة غيره لا تعي شيئاً إلا أن يأذن الله لهم بشاء ويرضى، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرٌ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧]

ومن قُلْ إن هذه الآيات وأمثالها حطاب لأهل الجاهلية الذين يعدون الأوثان، وليس في أهل لوحيد من يعد الأوثان، يقال له. نعم، هي لهم، ولكن القرآن ذكر ما كانوا عليه لسحدير من عملهم، وللاعتار بحالهم، فلا يجوز لمسلم أن يفعل فعلهم، ويشبه بهم، فقد قُلْ ﴿خَالِفُوا الْمَشْرِكِينَ﴾^(١)، وقال ﷺ «خالفوا اليهود»^(٢)، فمن فعل فعلهم أو شابههم في أحوالهم أصابه ما أصابهم، والقرآن ليس حاصداً بامة من الناس، ولا يعصر من العصور ﴿لَا بُدَّ لَكُمْ بِهِ وَمَنْ يُلْحَقْ﴾ [الأنعام ١٩]، إني قديم الساعة، وقد قال الله تعالى حطاباً للمؤمنين ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذْ دَعَانِ﴾ [البقرة ١٨٦]، فلم يرشد المؤمنين أهل لوحيد إني شفعاء ومساند إلى الله تعالى، وقد حاطب النبي ﷺ ابن عباس، وهو من أهل الإيمان، فقال له «إِذَا سَأَلَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ»^(٣)

إن الداعي لا يحتاج إلى واسطة لسمع الله تعالى دعاءه، مهما كان بعده من ربه في العصور، إن لشيطان بعد أن طرد من رحمة ربه وأبعد، دعا ربه بدون واسطة وأحيب، ولم ينجى إلى الملائكة بتقرب بهم ليحيب الله تعالى دعاءه، بل ﴿قَالَ أَطْرِقْ﴾ [يوسف ١٧] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الحجر ٣٧]، والمشركون ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَحْمَنَّا مِنْ غَمْمِنَا لَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يوسف ٢٢]، فاستجاب الله

(١) صحاح حديث رقم ٥٨٩٢

(٢) سنن أبي داود حديث رقم ١٥٢

(٣) سنن سريسي حديث رقم ٢٥١٦

تعالى لهم، كما أحبر سبحانه ﴿عَلَّمَا أَنَّهُمْ بِذِهِمْ يُخَوَّنُ فِي الْأَرْضِ بِمِثْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس ٢٣] والمؤمن مهما كان ضالاً فهو أسعد حالاً برته، وأرجى لرحمته من إديس وحبوده

ومن مقاصد الالتجاء إلى المخلوق فيما هو من شأن الخالق أنه حتى مع التسليم بما بدعيه أولئك من أفراد الله تعالى بالصر والنع، فإن الوسط بالشفعاء فيه تشبه بأهل الشرك والجاهلية، فإنهم أيضاً كانوا يقولون عن الأوثان ﴿مَا سَبَّحُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ رُلَى﴾ [الزمر ٢٣]، ولم يكونوا يعتقدون قط أن للأوثان قدرة على الحق والصر والنع، ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ حَقَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِقَوْلِكَ اللَّهُ﴾ [لقمان ٢٥]، ثم إن شدة التعلق بالوسائط والشفعاء من الأولياء والتماذي على ذلك بحيث تنهض بهم الألسنة كما هو مشاهد ويذكرون ويبادون ويستعاث بهم ويسئ الخالق تبارك وتعالى نهايته أن يصل بأهله إلى ما وصل إليه حال أولئك الذين ذكرهم الله ﷻ ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ شَخَّرَ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر ٢٤٠] وذاك الشرك بعينه

الاستغاثة بالمخلوق

لا يجوز لأحد أن يستغيث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، فلا يستغيث المسمم بالنبي ﷺ ولا بالملائكة، ولا بالصالحين، فلا يجوز لمن وقع في كرب أو ضيق، أو محنة أن يقول يا محمد، ولا يا عبد السلام، ولا يا بدوي، ولا يا ابن عيسى، قد تعالى عن المشركين ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ السُّعُورُ فِي النَّارِ مَنْ تَدْعُو؟ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء ٦٧]، وقال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ؟﴾ [الزمر ٣٦]، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَسْكُوتُ مِنْ قِطْعٍ ۖ لَهُمْ دَعْوُهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دَعْوَهُمْ وَهُمْ يَسْمَعُونَ مَا اسْتَجَابُوا لَهُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِنْهُ خَبِيرٌ﴾ [فاطر ١٤٠]، وقال ﷻ ﴿إِذَا سَأَلَ قَامَالُ اللَّهِ، وَإِذَا اسْتَعَثَّ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾، وفي الحديث الصحيح إن العال يأتي يوم القيامة يقول يا رسول الله، أغثني، فأقول لا أميلك لك شيئاً، قد أبغضتك^(١)، فالاستغاثة بعير الله لدفع الضر لا تجوز بحال من الاحوال، وأهل الجاهلية على كفرهم وشركهم كانوا عبد الكرب والفرع

(١) البخاري حديث رقم ٣٠٧٣

يحبسون لئلا له، ولا يدعون معه غيره، قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتَ فِي ثَقَاتٍ وَخَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَوَیْةٍ وَفِرَّحُوا بِهَا جَنَّاتٍ رِیْحٌ عَاكِفٌ وَجَّاهُهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَلُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَیْنَ أَصْحَابُ مِنْ هَدِيدٍ لَّكُوفٌ مِنَ الشَّكِرِیْنَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَصْحَبَهُمْ بِذَٰلِكَ هُمْ یَتَّبِعُونَ فِی الْأَرْضِ بِحَرِّ النَّارِ﴾ [یوسف ٢٢، ٢٣]، هذا حال الجاهلي المشرك عرف قدرة الله عند الصیق، وأنه لا ینجیه من كربہ سواء، فكیف یرتكب المسم ما لم یقله قلب الجاهلی؟ فیدعو المخلوق لیسقذه أو شعیبه، أو عطیه، المحبوی عاخر میت، لو كان یملك لعیبه شفاء، أو حاجة یسفع نفسه وأحرره.

تشیید الأضرحة وبناء القبور

مما شرع لحماة التوحید بهی السی ﷺ عن تشیید الأضرحة، وساء القبور، وأمره بهدم المائل منها وتسویته بالأرض، حتی لا یؤدي ذلك إلى تقدیسها وتعظیمها والمسح بها، والنوحه إليها لقضاء الحوائج، كما هو مشاهد الیوم فی كثير من بلاد المسمین، فی الصحیح من حدیث أبی الهیاج الأسدي قال قال لی عنی ﷺ ألا أبعثك علی ما یعنی علیه رسول الله ﷺ. «أَنْ لَا تَدْعَ بَنَاتِهَا إِلَّا طَفَنَتْهُ، وَلَا قَبْرَ امْرِئٍ إِلَّا سَوَّيْتَهُ»^(١) وفي الصحیح من حدیث جابر ﷺ قال قال أنهل رسول الله ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقَعَّدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُنْشَأَ عَلَيْهِ»^(٢)، وفي رواية «وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا»^(٣)، فلا یحل لمسلم وهو یسمع هذا الشی أن یشید قبرا، أو یسی علیه، قال الله تعالى ﴿وَمَا إِلَٰكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأْتُوهُ»^(٤)

[الحشر ٧]

اتخاذ القبور مساجد

بهی السی ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، وأن یصلی إليها أو تتخذ عیدا یجمع الناس عندها تعظیم لها، لعادة أو غيرها، وذلك حماة للتوحید، وقد أخرجنا ﷺ ما أدى إليه تعظیم القبور فی الأمم قبلنا من الشرك تحذیرا لأمتہ

(١) مسند حدیث رقم ٩٦٩

(٢) مسند حدیث رقم ٩٧٠

(٣) مسند سمری حدیث رقم ١٠٥٢

(٤) انظر تفصیل المسألة فی کتابه (المعلو فی الدین) للمؤلف ص ١١٢

حرج مالك في الموطأ عن النبي ﷺ أنه قال «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١) وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ في مرصه الذي لم يقم منه «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» لولا ذلك أُنْزِرَ قَرْنُهُ، غير أنه حُشِيَ أَوْ حُشِيَ أَنْ تُسَحَّدَ مِنْحَدًا»^(٢)

وقد ﷺ «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(٣)، وقد ﷺ «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»^(٤) وعدم ذكر أم سمية وأم حبيبة رضي الله عنهما لوسوء الله ﷺ كيسة رأتاها في العشة فيها تصاوير، قال «إِنْ أُؤْتِيتُ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّحْلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنُو عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرِ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥)

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الأصنام التي عليها الناس في الجاهلية (وَدَّ وسُواعَ وَيَعْقُوثَ وَيَعْقُوقَ وَنَسْرَ) كانت أَسْمَاءَ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِيهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَصَلُّوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَسَّحَّحَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ^(٦)

وقد تهالك العامة على تعظيم القصور وإقامة الأعياد عيدها، انداع لمأنوف وهوى النفوس، وتزيين العاطلين، ووعود الجاهلين، معرضين عن هدي النبي ﷺ، غير ما ليس بحديده وبهية، قال تعالى ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّيَ الَّذِي يَخْلُقُ عَنْ أَمْرِئِهِ أَلَمْ تُبْصِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النور: ٦٣]

(١) حوطاً حديث رقم ٤١٦

(٢) سحدي حديث رقم ١٣٩٠

(٣) حوطاً حديث رقم ٤١٦

(٤) مسلم حديث رقم ٥٢٣

(٥) سحدي حديث رقم ٤٢٦

(٦) سحدي حديث رقم ٤٩٢٠

النذر للأضرحة والذبح عندها

حذر الإسلام من الذبح عند القبر، وجعله من عادات الجاهلية، فلا يجوز للمسلم أن يسوق حيوان ليدبحه في مكان من الأمكنة، تركاً لذلك المكدن، لا سدر ولا بغيره، إلا إلى مكة في حج أو عمرة، قال ﷺ: «لا يحقر في الإسلام»^(١)، وذلك حمادة للتوحيد، لأن النذر والتضرب بالذبح عادة، والعادة لا تكون إلا لله، فمن توحه بها إلى غير الله فقد صل صلاتاً بعيداً، وسب هذا الداء ما يشهد في بلاد المسلمين من تعظيم الأضرحة، والتناكل باسمها حتى صار حراسها يتقدمون على حرائنها، وعلى الدور التي تقدم إليها من الجاهليين والعافلين

فيحب عنى لعلماء وعلى كل من أعطاه الله فهما وعقلا من عمدة المسلمين إنكار تشييد هذه الأضرحة، وما يقام فيها من احتفال وعادات، واستنساخه، والزجر عنه أشد الزجر قبل موت الأوان. فلا يجوز لمسلم فعل ما ذكر، ولا حضوره ولا إرضاء به، ولا السكوت عنه ما أمكنه ذلك، لأنه من المكر العظيم، الذي يؤدي إلى الهدم بعقائد المسلمين، ويباقرص التوحيد

(١) مسر أبي دود حديث رقم ٣٢٢٢

نسخة إلكترونية متاحة مجاناً غير مأذون بطباعتها للاستخدام الشخصي أو التجاري

من مظاهر ضعف الإيمان

التطير والتفاؤل.

التطير أصله. الشيء المكروه من قول أو فعل، أو رؤية شيء لُحمر، فبتشدهم به ويوقع حدوث المكروه به. وكان أهل الجاهلية يعولون في مجريات حياتهم على هذا الداء كثير، ويرون الأقدار تبعاً لما يحصل لهم من تشاؤم أو تفاؤل، فكانوا يسمون الطيبي والطائر وهي السوانح والبوارح إذا أردوا أمراً له بال كسفر ونحوه، فإن أخذت عند انطلاقها ذات اليمين تماءلوا واطنقوا، وأقدموا على أمرهم، واعتقدوا فيه الخير والروح والنجاة. وإن أخذت السوانح والبوارح ذات الشمال أحجموا وتركوا ما عزموا عليه، واعتقدوا فيه الشر والهلاك. وكان تصدهم ويشي عن نعمهم كلمة يسمعونها لا تمنعهم، أو طير غير من فوقهم، وإذا سقطت الهامة، وهي طائر اليوم أو غيره على بيت أحدهم تشام به، ورآه داعياً إليه نفسه، أو أحداً من أهله، فقال لهم النبي ﷺ «لَا غَدَوَى وَلَا صَفَرٌ وَلَا هَامَةٌ»^(١)

كما كانت تصدهم الأرقام التي كان لها أيضاً حظ في اتحاد فرائداتهم، فإذا حُرحت قطعة الخشب (نُزلَم) من الوعاء مكتوباً عليها، امص، يمضي إلى سبيله، وإن حُرحت مكتوباً عليها لا تمص، لا يمضي في أمره مهما كانت حاجته إليه شديدة، ويرى في محادثة الرلم الهلاك المحقق، وكل ذلك من رحس الشيطان الذي أمر الله تعالى باعتداله

و لتطير و لتفاؤل ما ف لتوكل على الله وما ف للإيمان ما ف قدر الذي سقى في عدم

(١) مسلم حديث رقم ٢٢٢٠

الله أن سيكون، وأنه لا بد أن يكون كما علمه، لا يتأخر ولا يتقدم، لا يوفعه تطير ولا بدفعه تصدؤ، قال تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحراب ٣٨]، وقال تعالى ﴿يَنْفُسُهُمْ وَرِداً آردَ اللَّهُ يَقْوِمُ شُومًا مَلَا مَرَدَ لَمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الوعد ١١] وقال تعالى ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَصِيرَ مَلَا كَاشِفَ لَهُ؛ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَسْأَلْكَ عَجْرَ نَهْوٍ عَلَى كُلِّ مَنٍّ وَفَيْزٍ﴾ [الأنعام ١٧]

وقد حرم الله تعالى التطير على هذا النحو، وشرع للأمة التوكل على الله، والأحد بالأسباب المشروعة، وترك الوسائل الممنوعة، كما شرع لهم فيما ليس عليهم أمره من الأمور العائرة الاستخارة بالالتجاء إلى الله، والاعتماد عليه والثقة باحتداده، ولحجوج من عهدة النفس، والتبري من الحول والطول، إني حول الله وقوته ومراده، فكان النبي ﷺ يعلمها أصحابه في الأمور كلها، كما يعلمهم السورة من القرآن^(١)

وقد بقي في لباس بعض من تطير الجاهلية، فأهل المدن يستدلون بالأرقام التطيع في الأبراج والحظ، ويتقيدون بما قاله المنجم والمنسئ الكذاب، حتى إن من الصحف والمجلات التي يتولاها من له في معتقدات الجاهلية نصيب لها رواية شائعة، بعنوان (حطت هذا اليوم) وأهل النادية يكثر فيهم ما يسمونه فتح الكذب، وحط الرمل، وما يسمونه (السَّير) العادة المتبعة ومعاها أن الواحد لا يستطيع أن يفعل أمراً معه (لَسِير) على الرغم من مشروعيته، ويعتقد أنه لو فعله لوقع له مكروه، وكذلك يحب عليه أن يفعل ما أوحى عليه (السَّير) مع أنه غير واجب، لأنه يخشى من وقوع المكروه لو لم يفعله.

فمثلاً لا يستطيع أحدهم أن يضع حجر الأساس لسا بيت إلا إذا أسال الدم عليه، ودبح دبح ولو دحاجة، فأحلف أساساته بالجاسة، وهو ما يؤكد أن العمل من الشيطان، لأنه يحب الحشوش وسكى أماكن الجاسة، ويبر من النظيرة وكذلك لا تدخل لروحة وهي عروس بيت الروح إلا إذا دُبحت تحت قدميه شاة، ولا بد أن يأكلوا يوم المولد عصيدة، وإلا وقع المكروه.

وعادات الناس في ذلك كثيرة، لا يحصرها عد، وكثيرا من ضعف الإيمان

(١) حديث الاستخارة في البخاري مع فتح الباري ٤٣٨/١٤

ومحطات الجاهلية، والواحب على المؤمن بالله وحده الحاصص لقضائه وقدره، أن يترك ذلك كله ليسراً من التشبه بأهل الجاهلية، ومعتقداتها الفاسدة، ويعتصم بالله وحده لا شريك له، فإنه لا يأتي بالخير إلا هو، ولا يدفع الشر إلا هو، ولا يقدر أحد غيره على أن يقدره أمراً أو يؤخره، أو يوقع صراً، أو يدفعه، فلا يقع شيء في الدنيا، ولا في الآخرة إلا ما علمه وقدر وقوعه في الوقت الذي أراد، ولا يدفع شيء إلا ما دفعه، ﴿ثُمَّ يَصْحَ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَتِهِ فَلَا تُشْرِكُ لَهُمْ وَمَا يُشْرِكُ فَلَا مَرْتَبَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [طهر ٢]، ﴿وَرَدَّ اللَّهُ بِقَوِيٍّ مَوْماً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد ١١]، ولو سأل أحد ممن يعمل الأعمال السابقة لأقر لك بهذا التوحيد، وبالإيمان بالقضاء والقدر، وسلمه تسليماً كاملاً، ولكنه عند التطبيق يترك ما عهده، ويطلق ما ألفه وورثه عن دونه، دون أن يعيه

ومن دفع لحرع في الشريعة أن الله تعالى عما يحظر على السال من التطير لأول حادثة سبب أمر من الأمور، لأن إزالته عن النفوس غير داحية في الاستطاعة، وذلك شرط أن يسارع المكلف إلى الإعراض عنه، ويتكل على ربه ليسجو من أثره، ففي حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «الطيرة من الشرك، وما بها، ولكن الله يُنَجِّبُهُ بالتَّوَكُّلِ»^(١)

ولما قال معاوية بن الحكم لرسول الله ﷺ: «... ومنا رجال يتطيرون، قال: ذاك شيء يحدونه في صدورهم فلا يصدنهم»^(٢)، فمن وقع له شيء من التطير في صدره، ولم يعو، عليه بل مضى في سبيله متكللاً على ربه لا يؤم عبه، وعبه أن يقول كما أرشد رسول الله ﷺ عندما ذكرت عبه الطيرة، فقال: «أَحْسَهَا الْقَالَ، وَلَا تُرُدُّ مُسْلِماً، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَخْرُهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»^(٣)

أما ما ورد في حديث عبد الله بن عمر وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «لَا عَذْوَى

(١) مسر. سرمدى حديث رقم ١١١٤

(٢) مسلم حديث رقم ٥٣٦

(٣) مسر أبي دود حديث رقم ٣٩١٩

وَلَا طَيِّرَهُ، إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ، فِي الْقَرْسِ وَالْمَرْأَةِ وَالْذَّارِ^(١)، فليس هو على معنى ما كانت تعتقده الجاهلية من أن الطيرة تؤثر بذاتها، وإنما المعنى أن هذه الثلاث الدار والمرأة والقرس، أشد ما ينشأ من الناس به عادة وطعنا، لحلازمتها لهم، ومن وقع به شيء منها، كأن كره الدار، لما سمعه عنها ممن سكنها قلبه من إصابتهم بالأذى، أو كره المرأة ولم يتقبلها لسبب من الأسباب، أو القرس لأنه يصرع راحته، وتشاءم بما ذكر وتطير، فإن الشرع أباح له أن يترك ما تطير منه على خلاف القاعدة في التطير، ولا يكرهه الشرع على المقام في بيت، أو مع امرأة يكرهها، فإن ذلك من الضرر اليقيني، لكن مع اعتقاد أن الله تعالى هو المعان لما يريد، وليس لتطير منها أثر في جلب نفع أو دفع ضرر^(٢)

المعاذل المشروع أن يستبشر المرء ويستريح عند رؤيته ما يحب، ويوقع قدر الله تعالى على وفق ذلك، فقد كان النبي ﷺ يعجبه المال الصالح والاسم الحسن، وكان يعجبه إذا خرج لحاجته أن سمع يا راشدا، يا نجيح^(٣)، وكان إذا بعث أحدا أو جاءه رسول سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به، فعندما أرسل المشركون يوم الحديبية في المرة الثانية سهيل بن عمرو، ليفاوض المسلمين، استبشر النبي ﷺ وتفاءل، وقد «لقد سهل لكم من أمركم»^(٤)، وذلك لأن المال الحسن تشرح به النفس، ويستريح به القلب، فيحسن الظن بالله تعالى، ويتوقع قدره على ما تحبه النفس، قال له تعالى في الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي»^(٥)

المدونى

كان أهل الجاهلية يعتقدون أن المريض إذا دخل على الأصحاء واختلط بهم، أمرضهم بمرضهم وتأثيره، والشبهة الحاملة لهم على ذلك ذكرها قاندهم لمسي ﷺ بقوله

(١) صحدي حديث رقم ٥٧٧٢

(٢) نظر حقهيم ٥ - ٦٣٠

(٣) نظر سمرندي حديث رقم ١٦١٦

(٤) صحدي حديث رقم ٢٧٣٤

(٥) صحدي حديث رقم ٧٤٠٥

«فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الطَّبَاءُ، فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيُخْرِبُهَا كُنَّهَا»^(١)

فأطلق النبي ﷺ شبهتهم بكلمة واحدة، وقال لهم «فَمَنْ أَغْدَى الْأَوَّلُ»، فهو كدست العدوى هي لمؤثرة نفسها فمن الذي أمرص الجمل الأول الذي لم يحسب بعيره؟ في الأول مرض دون أن يعديه أحد، فلا بد أن يكون المؤثر والممرص على الحقيقة قدرة أخرى غير العدوى، وهي قدرة الخالق ﷻ، الذي بيده الأمر كله ولا يُرد قضاؤه. أما قوله ﷺ بعد ذلك في الحديث «لَا عَذْوَى، وَلَا طَيْرَةٌ، وَلَا هَامَةٌ، وَلَا صَفَرٌ، وَبُرٌّ مِنَ الْمَخْدُومِ كَمَا تَقُورُ مِنَ الْأَسَدِ»^(٢)، وقوله ﷺ «لَا يُورِدَنَّ مُفْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»^(٣)، فهذا من أمر العباد بأحد أسباب ما ينفعهم، وترك ما يكون سببا في ضررهم بحسب العادة الكونية، التي يوجد الله تعالى مسساتها عند حدوثها.

فعلى النبي ﷺ اعتقاد الجاهلية من أن للأسباب قدرة وتأثيرا بنفسها، وأثبت للأسباب دلتا ظاهريا بمسساتها على حسب المش التي مسها الله في الكون، من إيجاد المسبب عند وجود السبب، لتصحيح للناس أعمالهم ونصرفاتهم، فيؤخرون عبيدها ويعاقبون.

وليس في الحجر الصحي وعزل المريض عن الصحيح، أو عزل من به مرض معد حسب العادة عن سائر المرضى، ليس في هذا العزل مخالفة ولا مصادة لشرعة، إذا أحدث العدوى على أنها أسباب معتادة قد يحدث عندها المرض إذا أراد الله تعالى، بل هذا العزل مطلوب ومأمور به شرعا، لما فيه من العمل بالأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى للمخلوق، ورتب بمقتضاها العقاب والثواب والصالح والفساد، والله يفعل ما يشاء ويختار^(٤).

استطلاع الغيب بالكهانة والأبراج وتنزيل الخاتم

الغيب كل ما عاب علمه عن العيان، سواء في ذلك ما يتعلق بالمستقبل، مثل

(١) مسند حديث رقم ٢٢٢٠

(٢) ذكره سعد بن عبد الله بضمه النحر في كتاب الطب (باب العذوة)، ومسند أحمد حديث رقم ٩٤٢٩

(٣) سعد بن عبد الله حديث رقم ٥٧٧١

(٤) انظر شرح النووي على مسلم ٢١٣/١٤

الإحبار بما سيحدثه الله من موت فلان، أو رواجه بفلاتة، أو طلاقه، أو سفره، أو عده، أو فقره، أو علاء الأسعار، أو وقوع فس أو قس، أو دوام منك أو انقطاعه، أو حدوث حذب أو حصب، إلى غير ذلك من أحوال المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله. وكذلك ما تعلق بالماضي، مما وقع من أحوال الناس وأسرارهم التي ستروها عن غيرهم، كالإحبار عن السحر، أو موضع السحر، أو عن السرور، إلى غير ذلك.

والدليل على أن الغيب يشمل ما تعلق بالماضي كما يشمل المستقبل ما بني ١ أن له سمي ما وقع من عدم اطلاق الجبر على موت بني الله سبحانه ﷺ عيب، وهو أمر متعلق بالماضي، فقال تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَ الْإِنْسُ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا يَشُورُ فِي كُذِّبَ تَنْهِي﴾ [سجدة ١٤]، والآية تدل على أن الجبر أيضا مثل الإسر، لا يعموم الغيب، فلا يجوز سؤالهم عن أسرار الناس وأحوالهم، ولا يجوز الجرم بصدق ما أحسروا به، لأنهم يكذبون، وفيهم أشرار، وفيهم كهنة كما في الإسر، لا يجوز تصديقهم، قال تعالى مخبرا عن قول الجبر ﴿وَمَا يَمْنَأُ الصَّيْحُونَ وَمَا ذُو ذَلِكَ كُنَّ طَائِفًا فَيَنْدَأُ﴾ [الجن ١١]، وقال سبحانه . ﴿وَأَنَّا مِمَّا تَسْمَعُونَ وَمَنْ تَسْمَعُونَ فَمَنْ أَسْمَعُ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن ١٤]

٢ قد تعالى عما أعطاه لعيسى ﷺ من معرفة ما نستره الناس في بيوتهم ﴿وَأُبَيِّنُكُمْ لِمَا تَكُونُونَ وَمَا تَنْجِرُونَهُ فِي يُؤْتِيكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ٤٩]، فجعل الله تعالى إحبار عيسى ﷺ، عما تكتبون ويدحرون في بيوتهم، معجزة له من دلائل سوته ﷺ، التي لا يطلع عليها إلا من أوحى الله إليه، فلو كن ادعاء معرفة ما وقع بين الناس ممكنا لأحاد الناس، ولا يعد من التعنق بالغيب، لما جعله الله آية لنبيه، ومعجزة دالة على صدقه.

أما حكم استطلاع الغيب بالحساب وتزويل الحاتم وحط الرمل والظر في (الصحاح) والمجوم، فالذين يفعلون هذا هم الكهان الذين أضلهم الله، وأعواهم الشيطان، فاتبوا سبيله، وقد نهى النبي ﷺ عن إتيان الكهان، فقال: «فلا تأتوا

الكهان»^(١) ، فلا يجوز الذهاب إليهم ، وإن كانوا يقرءون القرآن ، فقد يقرأ القرآن من لا حير فيه . ومن أناهم معتقدا صحة ما يخبرون به ، فقد كفر بما أمر الله عليه محمد ﷺ كما ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ

أما هم أنفسهم ، فمن ادعى منهم مشاركة الله تعالى في علمه ، بواسطة صرب حص ، أو تحميم ، أو تريل حاتم ، أو غير ذلك ، فقد كفر بالله وكذب قوله ، قال تعالى ﴿ قُلْ لَا يَقَعُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اللَّيْلُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل ٦٥] ، وقال تعالى ﴿ وَبَعْدُ مَتَاعٌ اللَّيْلِ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام ٥٩] ، وقال تعالى ﴿ عَمِمْ تَعَسَّبَ فَلَا تَظْهَرُ عَلَى عَيْنِهِ لَمَدًا ﴾ [يونس ٢٦] ، وقال ﷺ «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»^(٢) ولا يعتبر أحد بما يخبرون به مما يوافق الواقع ، فإن إخبارهم بشيء من المعينات ، هي حمل تلقيا إليهم الشياطين ، قليل منها يوافق الحق ، فيمررون به ما يشاءون من الكذب بضللون به العباد

فلا حائر أن يحجر أحد غير الأنبياء صلوات الله عليهم ، شيء من المعينات ، على وجه الحق والصدق ، إخبارا متواليا فيه تفصيل ووصوح ، من غير أن سجده عنط وكذب ، ولد فإن عادة الكهان أن يعطوا جملا مقتصة ، وأخبارا مجمدة ، مجمدة لوحوه مجمدة ، كما وقع لآب صياد اليهودي حين حثا له النبي ﷺ شيئا من سورة الدخان في كُفِّهِ ، وهو قوله تعالى ﴿ قَرَّبْتُ يَوْمَئِذٍ السَّمَاءَ بِشَارٍ مُبِينٍ ﴾ [الدخان ١٥] ، وكان ابن صياد يتكهن ويدعي النبوة ، فقال ابن صياد هو الدخ أي الدخان فقال له النبي ﷺ «أخا فلن تغدو قلدرك»^(٣) ، يريد إليك لا تقدر على أكثر من ذلك ، ولا يمكنك أن تأتي بالأمور على تفاصيلها ، كما يحجر الأنبياء الموحى إليهم ، وإنما تنقي إليه الكلمة تصادف العيب فإذا طلب منه أكثر منها ، أضاف ما شاء من الكذب ، فإن ابن صياد لم يقدر على أن يأتي بأكثر من كلمة الدخان ناقصة ، فقال الدخ

(١) مسلم حديث رقم ٥٢٧

(٢) مسلم حديث رقم ٧١

(٣) مسند حديث رقم ١٣٥٥

ومثله أبيض ما وقع له رقل وكان كاهنا، وقد أصبح ذات يوم حيث نفس فسألوه عن ذلك فقال «لاني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر»^(١)، أي عيب، فقد أخبر بهذا الخبر المجمل الذي حير وقص مصعبه، وحشي منه على منكه، ولم يقدر من حجة الكهانة على معرفة أريد من ذلك، كعنة النبي ﷺ وصفته وظهر أمره، وما ينتهي إليه شأنه ومتى يكون ذلك

وصعيف الإيمان إذا ألقى إليه العراف والكاهن الكلمة المبهمة المحممة، فسرها على الوجه الذي يريده من الإحار بالعبث، ووقع في قلبه تصديقه في كل ما أخبره به بعد ذلك من الكذب والتخليط، وربما حووه من وقوع أمر له إن فعل كذا، أو لم يفعل كذا، وربما فرض عليه مالا، فدفعه حائشا أن يقع له المكروه، فيعتقد بذلك بفع العراف وضربه

فحذر من تصديق أمثال هؤلاء، واحتياط أمرهم، وليكن لدى المؤمن من اليقين والإيمان ما يرد به كيدهم، مقتديا برسول الله ﷺ في قوله لا بأس صياد «اخشا فلن تعدوا قدرك». والله كميل أن يكفيه باليقين والإيمان كل مكروه

وأما قول الله تعالى: ﴿فَكَفَّرَ نَظْرَهُ فِي ثُجُورٍ﴾^(٢) قَالَ إِبْنُ سَفِيٍّ: [المصائد ٨٩]، فليس هو من الكهانة في شيء، وإنما معناه أن إبراهيم عليه السلام نظر إلى السماء والنجوم، وفكر في عكوف قومه على عبادة الأوثان، فقال لهم ﴿إِبْنُ سَفِيٍّ﴾، معندوا عن الحروج معهم في يوم عيدهم، كما قال أهل التفسير، يُفْرَعُ في عيشتهم لكسير أصنامهم، مستعملا في ذلك معاريف الكلام، التي فيها صدوحة عن الكذب

فقد عسى هو سُقِمَ ما أصابه من العم، من عكوف قومه على عبادة الأوثان، وإعراضهم عن عبادة الله، وفهموا هم من السقم، المرض الحاج من الحروج معهم فعندوه، وهو معنى ما ورد في الحديث «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، اثْنَتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ ﷻ، قَوْلُهُ ﴿إِبْنُ سَفِيٍّ﴾، وَقَوْلُهُ ﴿لَنْ نَعْبُدَكَ كَعِبَادَةِ هَذَا﴾»^(٣)، اثنتين منهما في ذات الله، إحداهما قوله. ﴿إِبْنُ سَفِيٍّ﴾، فليس المراد حقيقة الكذب، وإنما هي المعاريف يُتَقَى بها الكذب، ويوصل بها إلى العرص

(١) البخاري حديث رقم ٧

(٢) البخاري حديث رقم ٢٢٥٨

وأما قول معاوية بن الحكم السلمي للمسيح عليه السلام «... وما رجال يخطئون»، فقال له المسيحي عليه السلام «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»^(١)، فقد اتفق العلماء على أن الحديث بعيد تحريم الخط، والمبني على لا إباحته، فإن معناه إذا غلبت فيه موافقة الخط لمعيب، كما علمه ذلك المسيحي بخطوا، وهذا العلم لا سبيل له فيه، فلا يكون الخط مباحا في حقا، لأنه معلق على أمر متعذر الحصول

(لو) تفتح عمل الشيطان

الرضا بالقضاء من أركان الإيمان، والمسلم قبل وقوع القضاء مطالب بأمرين

١ الاستعانة بالله والتوكل عليه، والالتجاء في كل أمر إليه

٢ الأحذ بالأسباب بحرم وذلك بالجهد والحرص على ما يقع في أمر دينه ودينه، فلا يعجز ولا يتعذر، ولا يفرط في ما يقدر عليه من عمل، بل تكون همه عالية وعزمه قوية، وزيادته صلوة، في تحقيق ما يقع به نفسه ويضع الناس، وسهص بأمر المسلمين. قال عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اخِرْصْ عَلَى مَا يَفْعَلُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ» أما بعد وقوع القضاء، فالواجب هو الرضا بالقضاء، والتسليم لما قدره الباري عليه السلام، والإعراض عن المصير وعما كان من نعم، أو وقع من ضرر، قال تعالى ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [التعبيد ٢٣]، وقال عليه السلام «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرَهُ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(٢) فيكف المسلم نفسه عن التكبر فيما فاتته وفي أسسه، ويقطع عنها وسوس الشيطان، فإن استرسال الفكر فيه يؤدي إلى التسخط ورد القضاء، ولا يريد القلب إلا هما وحربا، لأنه يفتح على النفس باب اليوم والدم والأسف، وتصح به (لو) عمل الشيطان، لو فعلت كذا لكان كذا، فيسد بذلك التأثير إلى فعله وقدرته وعمله وعلمه وحيرته، ويسبى قدرة ربه كما كان حال قارون، ﴿ذَلِ إِنْشَاءُ أُوتِيَهُمْ مَقَامٌ عِيمٌ جِيدٌ﴾ [القصر ٧٨]، وكما كان حال الصافيين يوم أحد ﴿يَقُولُونَ لَوْ كُنَّا لَمَّا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ [آل عمران ١٥٤]، فظنوا أن فعلهم بالحروب أو عدمه بمعهم

(١) مسلم حديث رقم ٥٢٧

(٢) مسلم حديث رقم ٢٦٦٤

من الموت، فرد الله تعالى عليهم ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُؤْتِكُمْ لَبَرًا لَّبِئْسَ كُتِبَ عَلَيْهِمْ
لَقُلُّ إِلَىٰ مَصَاجِدِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

المسلم بعد وقوع القصاص، عليه أن يبادر إلى الرضا والتسليم، لكن بقده قبل
لسانه، ويكون قوله باللسان قدر الله وما شاء فعل تعبيراً عما أصلاً به فنه من
الإيمان ولوص، ولا يقول لو كان كذا لكان كذا، فإن لو تصح عمل الشيطان،
والسحرة على القصاص

والمسحور (لو) ليس دائماً مذموماً، وإنما يكون مذموماً إذا كان في سياق
الاعراض على لقدراً كما تقدم، أما إذا كان العرص الإرشاد وبيان الحكم لما يقع في
المستقبل، فلا خلاف في حواره، فقد طلق به النبي ﷺ قال: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي
مَا اسْتَنْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْ لَا أَنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ لَأَخْلَلْتُ»^(١)، وقال ﷺ «لَوْ كُنْتُ
رَاحِجًا أَحَدًا بِغَيْرِ بَيْتَةٍ لَرَحِمْتُ فَلَانَّة»^(٢)

لا يُقال: هلك الناس

من لجهل بالله الناتج عن ضعف الإيمان الحكم على الناس جميعاً بالهلاك، وهو
من الحكم على الله تعالى بوقاط الناس من رحمته، والناس لا يهلكون جميعاً إلى
أن تقوم الساعة، ولا تزال طائفة من الأمة على الحق كما جاء في الصحيح^(٣) وفي
الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ
النَّاسُ فَهُوَ أَهْلُكُهُمْ»^(٤)، روي بصم الكاف (أهلكهم) ومعناه أن القائل أحق بالهلاك،
وهو أشدهم هلاك إن قال ذلك محقراً لهم ومعجاً بنفسه ومدكياً لها

ويروى (أهنيكم) بالفتح، ومعناه أن الذي قال ذلك هو الذي أهنيكم، ولم يهلككم
الله تعالى، وهو منته على الله تعالى، ومقط للناس من رحمة الله ﷻ، وموقع
لهم في الهلاك

(١) بخاري حديث رقم ١٦٥١

(٢) مسر من مساجد حديث رقم ٢٥٥٩

(٣) مسلم حديث رقم ١٥٦

(٤) مسلم حديث رقم ٢٦٢٣

قال القرطبي في المفهم «ولا يدخل فيه من قال ذلك على جهة الشفقة على أهل عصره، وأنهم بالنسبة إلى من تقدمهم من أسلافهم كالأهالكين، فإنها عادة جارية في أهل الفصل ولعمري، يعظمون أسلافهم ويلومون بالتقصير والتعريض من بعدهم في باب التدكير ولموعظة، ليقنذي اللاحق بالأسبق كما قال الحسن عليه السلام لقد أدركت أقوام لو أدركموهم لقلتم مرصى، ولو أدركوكم لقالوا هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب»^(١)

وهذا الحديث فيه رد اعتقاد الخوارج وأهل التكفير الذين يقولون بهلاك الناس جميعاً، فلا يصلون معهم الجماعات، ولا يعتدّون لهم بعمل ويرون الحروح عندهم وقداهم، فإن نقول ذلك هم الذين أهلكوا الناس ظلماً وتحكماً على الله تعالى، وليس الله هو الذي أهلكهم، لأن الله تعالى حكم بأنه لا ترأى طائفة من الأمة على الحق لا يضرهم من خالفهم، وهؤلاء يكذبون ذلك ويحكمون بهلاك الأمة^(٢)

تعليق الدعاء على المشيئة

المسلم مأمور في جميع ما يريد فعله أن يترأ من حوله وقوته، وأن يعقده على مشيئة ربه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف ٢٣]، ويستثنى من ذلك أمران. الإيمان والدعاء، فلا يقل أحد أنا مؤمن إن شاء الله، ولا يقل اللهم اعمر لي إن شئت، ففى الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، تَغْزِمُ الْمَالَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرَمَةَ لَهُ^(٣)، قال ابن عبد البر «لا يجوز لأحد أن يقول اللهم أعطني إن شئت وغير ذلك من أمور الدين والدنيا، لأنه كلام مستحيل لا وجه له، لأنه لا يفعل إلا ما شاء»^(٤)

وسبب النهي عدم الجرم بالدعاء وتعليقه على المشيئة أن التعليق يتضمن فور الرغبة في المطلوب، وعدم المسالاة بما إذا حصل أو لم يحصل، فكان الداعى مستعز عن ربه لم يحقق من حاله الافتقار والذل والاضطرار، وهذا حال من قسا قلبه وضعف

(١) المفهم ٦٠٨/٦

(٢) انظر المفهم ٦٠٩/٦

(٣) البخاري حديث رقم ٦٣٣٩

(٤) فتح الباري ٤٢٧/١٢

إيمانه، وقل كثرته بدمه وحاحته إلى رحمة ربه وإذا كان الله ﷻ لا يسجيب دعاء من قسب عادل لاه كما ورد عن النبي ﷺ، فكيف بمن قل اكترائه بما عد ربه؟^(١)
 قال ﷻ «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُؤْتُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلَّبَ عَاقِلٍ لَاهٍ»^(٢)

طاعة الشيطان بتنفيذ ما يوسوس به

أحد للشيطان على نفسه العهد أن يصل العباد ويعتصم كما أحمر عنه القرآن
 ﴿فَعَرِّكَ لِأَعْيُنِهِمْ تَجَنُّبًا ۖ لَا يَسْكَدُكَ مِنْهُمْ التَّحْتَصِينَ﴾ [سورة ص ٨٣]، ﴿قَالَ يٰٓأَيُّهَا
 عِبْرَتِي لَأَقْضِيَنَّ لَكَ حَرَمَكَ السَّعْيَةِ﴾ ۖ ثُمَّ لَأَنْبِيَهُمْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ خَلْقِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ
 تَمَایِهِمْ وَلَا تَجِدْ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف ١٦، ١٧]

وللشيطان في الإغواء لإصعاف إيمان المؤمن أو الإذهاب به طريقين طريقين
 المعصية، والإغراء عليها، وتحسيسها إلى النفس، وتسهيل آثارها عليها، بعدم المصلاة
 بها، حتى تصير هيئة بتقلها القلب ولا يبرح منها كأن يزين له الزنا ووسائله من
 النظر، لما فيه من لمتعة المؤقتة التي يعقبها بدم عاجل أو يزين له العيش في السبع،
 أو أحد الرشوة، لما فيه من تهيؤ الحصول على الحال سهلا سريعا أو يزين له الكذب
 والزور والتميمة والغيبة لما يورعه في ذلك من المصلحة أو الصيحة، إلى غير ذلك
 من أنواع الحرام التي يريها الشيطان، فإن استجاب له اكتفى منه بذلك، واطمأن إلى
 أنه حقق منه ما يريد

وإن لم يجد الشيطان استجابة من العبد من هذا الطريق، بأن وجده قوي الإيمان،
 عالما بمكره وكيد، حريصا على دينه، لا يفرط فيه ولا يتهاون به، ولا يقدر إليه،
 أتاه من الطريق الآخر طريق الوسوسة والتشكيك في دينه، فيهمج عليه بالأفكار الردئة
 الحبيثة في معتقده، أو يشككه في عبادته، بحيث إذا فعل منها شيئا قال له لم تفعله؟
 ليحمره ويضعه، فإن كان العبد على فقه وبصيرة ولم يعأ به، واستعان عليه بربه، رجع
 الشيطان حاسنا مذحورا، وإن لم يكن كذلك اشتدت وطأة الوسوسة عليه حتى يمل ويأس
 من إصلاح نفسه ومن عمله، وبذلك يكون قد استجاب للشيطان ونال منه ما أراد

(١) انظر انعمهم ٢٩/٧

(٢) الترمذي حديث رقم ٣٤٧٩

أنواع الوسواس

الوسواس قد يكون في العقيدة، بالشك في الإيمان به، أو بإلفاء الحواطر والافكار الرديئة نسبتها إلى الله ﷻ أو إلى رسله، وملائكته، وقد يكون في العبادات بالعمى فيها، وفعل ما لم يطلب الشارع فعله من العباد ولا كنعهم به، كتكرار العمل في الوضوء، أو الغسل مرات ومرات، بحيث كلما غسل الوسواس بعيد، ويقول: إنه لم يغسل مع أنه معمس في الماء، أو تكرر الطق بالكثير، أو الية عند دخول الصلاة، أو تكرار السلام عند الخروج منها، ويعالج ذلك حتى يصبح باللفظ أحياناً إذا اشتد عليه الأمر، ما طفاه كالحيران، وذلك من تليس إبليس عليه

الوسوسة في العقيدة

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسالوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان»^(١)

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سئل النبي ﷺ عن الوسوسة، قال: تلك مخض الإيمان»^(٢)، وفي الصحيح: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِشَاءِ لَوْنٍ، حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَنَقَ اللَّهِ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ»^(٣). وفي رواية: «إذا وجدت شيئاً من ذلك، فقل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم»^(٤)

وفي حديث بن عباس: «أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَنَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالشَّيْءِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ حُمَمَةً أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَقْبِزْ مِنْكُمْ إِلَّا عَلَى الْوَسْوَسةِ»^(٥)

دللت هذه الأحاديث على أن الوسوسة في العقيدة، وورود الحواطر الرديئة عن

(١) مسلم حديث رقم ١٣٢

(٢) حفيد بن عباس

(٣) مسلم حديث رقم ١٣٤

(٤) مسلم ١ ١١٩

(٥) مشكل الآثار ٢/ ٣٢٦

القلب مع كراهته لها، وشعوره بالهم والغم منها، لا تدل على ضعف الإيمان، بل إن الخوف منها والحزن والقلق بسببها هو صريح الإيمان، كما أخبر النبي ﷺ، ولو كان الوسوسة من ضعف الإيمان لما وقعت لأصحاب رسول الله ﷺ، وهم خيار الأمة، فقد كان أحدهم يقول عما يقع في قلبه: لأن يكون أحدنا حُمة -أي فحما- أحب إليه من أن يتكلم به، وقال ﷺ للذي وجد في نفسه ما يتعاضم أن يتكلم به: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال فاك صريح الإيمان.

فالموسوس لا تضره الخواطر الرديئة التي ترد على قلبه كرها، ولا يجد لها مدفعا، ولا تفسد إيمانه، بل بمعاناته ومكابدته إياها يقوى إيمانه، ويعظم أجره، ولا يؤاخذ به الله -تعالى- عليها، لأنها ليست من فعل العبد ولا من كسبه أصلا، بل هي من فعل شيطان مريد جالس بعجنه، يتكلم بها عنه، ليغيظه ويحزنه، وهذا من رحمة الله -تعالى- بعباده ولطفه بهم، وتعام عدله وحكمته، فإنه تجاوز لهذه الأمة عما حدثت به نفسها ما لم تفعل أو تتكلم، كما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ.

ومن أنفع العلاج لخواطر النفس ووسواس الشيطان في العقيدة أن يفرح بها العبد، ويعتبرها علامة على قوة إيمانه، فإنه بذلك يغيظ الشيطان، ويقطع طمعه فيه.

شكا رجل إلى أبي سليمان الداراني الوسواس فقال: إذا أردت أن ينقطع عنك فأني وقت أحسست به فافرح، فإنك إذا فرحت به انقطع عنك؛ لأنه ليس شيء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمن، وإن اغتممت به زادك، قال النووي: وهذا يؤيد ما قاله بعض الأئمة إنما الوسواس إما يتلى به من كمل إيمانه، فإنه اللص لا يقصد بيتا خراباً^(١).

وهذا كله في الخواطر والوسوسة الواردة غير المستقرة في القلب، أما شبه الإلحاد المستقرة في القلب، كشبه أهل البدع والزيف، المعتقدين للخرافات، المحدثين في الدين ما ليس منه، بعبادات باطلة، أو معتقدات فاسدة، يرون أنهم يؤجرون عليها، أو المعتقدين لمذاهب فلسفية أو كلامية خاطئة تقوم على التشكيك في المعتقدات أو معتنقين مذاهب علمانية، أو شيوعية، أو أي مذهب فيه زيف وانحراف، أو كفر وإلحاد، فهم مؤاخذون بما استقر في قلوبهم، فإن كان على اقتناع فالأمر واضح في

(١) الأذكار ص ١١٨.

مواخذتهم بما اعتنقوه، وإن كان شبهة، فعليهم أن يدفعوها بالنظر والاستدلال والاطلاع على حجج أهل الإسلام، وإلا كانوا من الضالين.

الوسوسة في العبادات:

وللوسوسة في العبادات صور في غاية العجب، قال الشعراني: وقد رأيت من يقفز في الهواء إذا نوى الصلاة، ثم يقبض بيديه على صدره كأنه يخطف شيئا كان هاربا منه، ثم يقول: أستغفر الله، ثم يقول: الطلاق يلزمني ثلاثا لا أزيد على نية واحدة ثم يزيد، وكان ذلك في صلاة الجمعة، فما زال كذلك حتى قانت الجمعة^(١).

وذكر ابن الجوزي عن أبي الوفاء بن عقيل أن رجلا لقيه، فقال له: إني أغسل العضو وأقول: ما غسلته، وأكبر وأقول: ما كبرت، وأنغمس في الماء مرارا كثيرة، وأشك هل صح لي غسل أم لا، فما ترى؟ فقال ابن عقيل: دع الصلاة، فإنها ما تجب عليك، فقالوا له: كيف تقول ذلك؟ فقال لهم: قال النبي ﷺ: رفع القلم عن المجنون حتى يعقل، ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس يعاقل.

الوقاية من الوسوسة:

من أراد أن يعجنبه الله -تعالى- الوسواس قبل وقوعه، فليأخذ بأسباب الوقاية منه، والوقاية منه تكون بالتفقه في الدين، وتعلم العلم الشرعي، ومصاحبة أهل العلم والفقهاء العاملين، فإن ذلك أجود ما يتوقى به وسواس الشيطان، وفي الأثر: فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد -أي جاهل-.

ومن أسباب الوقاية منه أيضا الحرص على أكل الحلال، وتطيب المطعم والمشرب، فإن ذلك ينور القلب، فلا يجعل الله للشيطان عليه سبيلا، هذا مع المحافظة على ذكر الله -تعالى-، وما كان يقوله رسول الله ﷺ ونقل عنه من الأذكار، وأدعية اليوم والليلة، وتلاوة القرآن، كل ذلك يجعل منه المسلم وردا لنفسه كل يوم، مع التدبر وحضور القلب، سواء في التلاوة أو في ذكر الله -تعالى-، والأدعية الماثورة، فإن حضور القلب، واستحضار معاني الذكر التي فيها تعظيم الله -تعالى- يتحقق معه النفع، ويتحقق مع حفظ الله -تعالى- الذي رتب عليه، ووعد به قائله، وهو حفظ الرب، الفعال لما يريد، الذي لا يقدر على اختراقه جان ولا مريد.

(١) انظر لطائف المنن ٥٥٥، وتبليس إبليس ص ١٣٤.

علاج الوسواس بعد وقوعه :

أما بعد الابتلاء بالوسواس وحصوله، فعلاجه يكون على الوجه الآتي :

١- الإعراض عنه، فإنه ليس لعلاج الوسواس بعد وقوعه كالإعراض عنه، وعدم المبالاة به، وترك الالتفات إليه، وإلى ذلك نبه النبي ﷺ بقوله في الحديث : «... فليستعذ بالله وَلْيَسْتَعِذْ»^(١). خرج مالك في الموطأ عن سليمان بن يسار أنه سئل عن البلل يجده الإنسان -أي من أثر الوسوسة- فقال : «انْضَحْ مَا تَحْتَ ثَوْبِكَ بِالْمَاءِ وَآلَهُ عَنَّهُ»^(٢)، والمعنى في ذلك أن الموسوس إذا نضح بالماء فإنه إن أحس بللاً فدر أنه من أثر النضح بالماء، وسد الباب على الشيطان بالوسوسة.

ولا يقلق الموسوس ويضعف إذا رأى في بادئ الأمر مع الإعراض عن الوسوسة زيادة فيها، فإنه شائع في الموسوسين. يأتي الموسوس ويسأل، فيبين له أن الوسوسة لا تضر المؤمن، وهي ابتلاء يعظم له به أجره، وخوفه منه دليل على قوة إيمانه، والله ﷻ لا يعذب عباده بما لا قدرة لهم على دفعه، فإن الحاكم من البشر لا يؤاخذ بذلك إن كان معه شيء من العدل، فما بالك بعدل الله ورحمته وحكمته وعلمه؟. وتقول له : إن حجر الزاوية في التخلص من الوسوسة هو الإعراض عنها وعدم المبالاة بها، فيجد راحة لمثل هذا القول ينشرح به صدره، ثم لا يلبث أياماً قليلة حتى يعود للسؤال نفسه، وهو في حالة أسوأ من حاله الأول، ويقول : إنه لم ينفع معه الإعراض وأن الوسواس اشتد عليه أكثر من ذي قبل، ويعتقد أنه لم يبق له من الإيمان شعرة، وهو في يأس من حاله.

وقوع مثل ذلك متوقع من كل موسوس، فإن ذلك من تمام مكر عدو الله وكيد، وهي علامة على أن الخناس أذن بالرحيل، فإن كل عدو إذا ما حاربه بما لا يطيق من سلاح، يقاوم أول الأمر كأشرس ما يكون، ثم تخمد قوته ويذهب ريجه.

٢- على المؤمن إذا ما ابتلى بشيء من الوسواس أن تكون ثقته بالله -تعالى- كبيرة، واعتصامه به لا يتزعزع، واعتماده وتوكله عليه في دفع الخواطر، يقينا

(١) البخاري حديث رقم ٣٢٧٦.

(٢) الموطأ حديث رقم ٩٠.

لا ارتياب فيه، فإن الموسوس إذا قويت نفسه على دفع الشيطان، وقال له: أنا أدرى بنفسي منك، انقطع طمعه فيه، ويتس منه، وليعلم العبد أن الشيطان ضعيف لا قدرة له، ولا حول ولا طول، فإنه لضعفه وتخاذله سماء الله - تعالى - الخناس، والخناس: الذي عادته الاختفاء، والتأخر بعد الظهور، مرة بعد مرة، وقد أخبر الباري أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥].

٣- الاستعاذة من الشيطان والاستعانة عليه بذكر الله والاستغفار، وتلاوة القرآن، وأفضل الذكر بعد القرآن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، قال - تعالى -: ﴿وَلَمَّا يَرْزُقُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، وقال ﷺ في جواب السائل عن الوسوسة: «... فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ»، وفي رواية: «فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ»^(١)، وفي رواية: «إذا وجدت شيئاً من ذلك، قل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم»^(٢). ومن صيغ الاستعاذة الواردة في السنة «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»^(٣). والاستعاذة معناها: الاستعانة بالله وحده والالتجاء إليه والتوكل عليه، وهي أنفع لدفع الشيطان من سببه ولعنه، فإنه يتصاغر مع الاستعاذة، ويتعاطم عند السب، حتى يقول: بقوتي صرعت. ففي الحديث إن دابة عشرت بالنبي ﷺ، فقال رجل: تعس الشيطان، فقال: «لَا تَقُلْ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ النَّبِيِّ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»^(٤) وفي رواية: «حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ»^(٥).

تم ما قصدت إليه والحمد لله أولاً وآخراً،
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

(١) البخاري حديث رقم ٣٢٧٦.

(٢) مسلم حديث رقم ١٣٤.

(٣) مسلم ١/١١٩.

(٤) سنن الترمذي حديث رقم ٢٤٢.

(٥) أبو داود حديث رقم ٤٩٨٢.

(٦) مستد أحمد حديث رقم ٢٠٠٦٨.